

بوراوي الطرابلسي

جامعة تونس المنستير

# تاریخ تونس المَنْسِی

## السكان والأرض



**تاريخ تونس المنشي  
السكان والأرض**

الناشر : الأطلسية للنشر

86 شارع بورقيبة - أريانة

الهاتف - فاكس : 71709018

البريد الإلكتروني : atlas1.editions@yahoo.fr

---

٢ سحب من هذا الكتاب في طبعته الأولى

١٠٠٠ نسخة

جوان 2015

**جوراوي الطراجلسي**

جعفر بن عبد الله بن جعفر

**تاريخ تونس المُنْسَى  
السكان والأرض**

  
**الماضي للنشر**

## الإِهْدَاءُ

### Dédicace

Ce livre est dédié à ma femme Nathalie  
Et, à mes deux filles : Naïma et Anjelli



## **مقدمة**

مرّ على تأسيس المدرسة التاريخية التونسية قرابة الأربعين عقود من الزمن، ألف فيها مؤسسو الجامعة التونسية عديد الكتب المهمة بتاريخ البلاد، من ما قبل التزريح إلى التاريخ الآني. وتواصل عملهم بعد ذلك من خلال إشرافهم على عديد البحوث والرسائل والأطروفات الجامعية، والتي تجاوزت فيها أصحابها الدراسات الاستشرافية الكلاسيكية، بعد أن حينوا المعطيات إثر الاكتشافات الأركيولوجية، وبعد أن اعتمدوا وسائل عمل جديدة، واطلعوا على مختلف المقاربات، فاستطاعوا بذلك استيعاب إشكالية التداخل بين علم التاريخ من جهة والعلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى من جهة ثانية.

للمكتبة التاريخية التونسية رصيد ثري تم فيه تجميع كل الكتابات الأكاديمية عن مختلف حقب البلاد التاريخية. وتزامن ذلك مع تنوع مسالك ومناهج البحث والتخصص، التاريخ الاقتصادي، والتاريخ الاجتماعي، والاثنولوجيا، والتاريخ الحضاري، والمونغرافيا... لكن يبدو أن تاريخ الأriاف بقي مسكتنا عنه، مع أن كل الكتابات التاريخية اهتمت بالمسألة الفلاحية التونسية، إلا أنها لم تتعذر مجرد فصول في باب الحديث عن الأوضاع الاقتصادية. بل إن الخوض فيها أصبح معقداً جداً بسبب انغلاق هذه

الدراسات وراء الحدود الزمنية حتى أنه أصبح من السهل التسليم بوجود «قطيعة» عندما يكون الحديث عن تاريخ الفلاحة في البلاد التونسية، بل ورفض فكرة «التواصل».

فهل نستطيع كتابة تاريخ الأرياف التونسية؟ قد يكون ذلك ممكناً إذا ما اكتفينا في البداية بتصميم موجز لهذا التاريخ المنسى، وأن لا يكون هذا الموجز مجرد عملية «تأليفية»، بأن ننهج أسلوباً يقوم على جمع المادة المتراكمة عن الأرياف وفلاحتها والموزعة في عديد الدراسات، ولاقتصار على ربطها باتباع التسلسل التاريخي الذي عرفته البلاد: أي الفلاحة في مختلف العصور التاريخية: ما قبل التاريخ، العهود القديمة، العربية الكلاسية والحديثة والمعاصرة. فقد كانت الغاية من وراء هذا العمل البحث عن الثابت والمتحول في تاريخ الأرياف التونسية.

قد تبدو هذه المهمة صعبة، لدقة الدراسات التي وضعها الباحثون عن تاريخ الفلاحة في تونس عبر مختلف العصور وعمق تلك الدراسات. لكنها مهمة قد يصبح من اليسير إيجاد مخرج لها إذا ما ابتعدنا قليلاً عن ما حتمته «موضوعية» قراءة النصوص، وحاولنا الشعور أكثر «بالبعد الفلاحي والريفي» لتاريخ البلاد. لأن النصوص وحدها قد لا تكفي إذا ما لم ننتبه إلى ما هو ريفي في أعماقنا، قد يشعر به كل تونسي، خاصة ذلك الذي كان الريف موطنه الأصلي. لكن الشعور وحده قد لا يكفي كذلك لإبراز معنى تاريخ الأرياف، لذلك ينبغي المراوحة بين ما هو موروث مكتوب وما هو منقول شفوي وفى دقائق الحياة اليومية.

فلو أخذنا على سبيل المثال لا الحصر شمال البلاد التونسية ، فمن البدائي القول إنّ كل رقعة منه لا تخلو من أطلال قديمة، أمازيغية، قرطاجية، رومانية، بيزنطية، عربية، تركية، أندلسية و فرنسيّة، وإنّ كل الشعوب الوافدة عبر مختلف العصور عنّيت بالفلاحة، و الدليل على ذلك ما تركته من منشآت

لها علاقة، مباشرة أو غير مباشرة، بالفلاحة. لكن يبقى ذلك مجرد موروث محسوس لا يشغل به المرء طويلاً، لو لا ما يحدث للطبيعة من تغيرات فصلية. فاللون النبات تغير، من صفرة إلى خضرة إلى ألوان متعددة إلى صفرة من جديد، فيبدأ عندها الوعي بتعاقب الفصول. ويزداد إحساسك بالزمن الفلاحي عندما تشاهد البلارج والخطاف، تجيء وترحل، تبني أعشاشها وتترك أفراخها. لكنها ليست الرحلة الوحيدة، فهناك رحلة الآدميين. تكتشف إثراها ولأول مرة أناساً جدداً، ودواب لم تعرفها، الجمل أو سفينة الصحراء. عندها تعرف ميقات الزرع والمحصاد ونتائج الماشية، عندها تعرف المواسم الفلاحية، عندها تقيس الزمن من خلال تلك الروزنامة الزراعية- البدوية. عندها يجيء «الجنوب» و«الوسط» إلى «الشمال» في الصيف، ويرحل «الشمال» إلى «الوسط» و«الجنوب» في آخر الخريف. عندها يصبح لكلمة تونس معنى، فتشعر باتساع مجال البلاد وتنوعه. وتفهم ما الذي يجمعك بذلك القادم من الجنوب والوسط.

في ذلك الحين تستطيع رسم ملامح هوية البلاد، لأن مسألة الهوية ما زالت تثير جدالاً عنيفاً بين المثقفين، بسبب توقيت طرحها و ما تحوم حوله من تساؤلات عن أسباب تَنَكُّر بعض أصحاب القلم لأصواتهم، وهو أمر اعتادت عليه الأمة العربية منذ أزمان خلت، لأنه تعبير قبل كل شيء عن انتهازية مقيمة التحفت بلحاف مَقْوِلة ابن خلدون الشهيرة «في أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب». فكلما اتسعت الهوة بين الشرق والغرب كثُرَّ هؤلاء من طرح الأسئلة المغلوطة عن العرق والحضارة والثقافة. لكنَّ المتنكرين لأصواتهم الثقافية والحضارية قد يجدون صعوبة في إقناع أنفسهم قبل أن يقنعوا **المتكلّي** و يدعونه إلى التنازل من مسؤولياته القومية، لذلك لا تستغرب سعيهم لتبرير تركهم السفينة وهي لم تغرق بعد.

و من المؤسف أن نرى البعض يضع أركاناً من سراب لبناء هوية مزعومة

معتمدين على قانون العرض والطلب الذي يسود سوق الأفكار في زمن العولمة للحصول على مكاسب معنوية ومادية.

قد يكون من المفيد بالنسبة إلى كل مؤرخ محترف قضى حياته في الالتزام «بميثاق» الموضوعية التاريخية أن يتحرر، ولو لحظة، ليخوض في قضايا أمته ووطنه، لأن هذا «الميثاق» أصبح يثير السخرية بسبب ما نعيشه في هذا الزمن البائس، خاصة أن الكل يعلم - بمن فيهم المؤرخ - بأنه لا وجود لموضوعية تاريخية في المطلق، وإنما وسائل عمل المؤرخ هي وحدها التي ينبغي أن تكون «موضوعية» وهي السبيل الوحيدة كي لا تفقد هذه البلاد ذاكرتها الثقافية فندوب بسرعة في هذا النظام العالمي الجديد.

سأحاول من خلال هذه البحث تقديم دراسة موجزة لتاريخ أرياف البلاد التونسية واستجواب ذلك الريف التونسي الذي لم يُسأل سكانه يوما عن هويتهم. لكن البداية ستكون بطرح السؤال أولا على الأرض التي لئن وَفرت العمل والسكن والغذاء والمبتس للتونسيين فإنها جلبت لهم الاستعمار و العبودية وكذلك الحرية.

**الفصل الأول**

**زمن الأرض**



# البحر والأرض

تتميز المشاهد الطبيعية في البلاد التونسية بتنوعها، وقد لا تحتاج إلى أكثر من يوم واحد، خاصة في فصل الصيف، لقطع البلاد من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، والانتقال من غابات خير إلى نخيل واحات الصحراء مرورا بحلفاء السبابس. ولئن بدت هذه المشاهد الطبيعية ثابتة، فإنها في حقيقة الأمر وليدة تحولات جيولوجية و مناخية هامة لعبت دورا كبيرا في نحت تركيبتها و تشكيلها.

البلاد التونسية هي بلد السهول، لم تلعب فيها الجبال دورا كبيرا في نحت شخصيتها، لقلة ارتفاعها. لكن هذه السهول الممتدة من بنزرت إلى جفارة على الساحل، و من جندوبة إلى قمودة في الداخل، وجدت منافسا قويا لها هي الصحراء الإفريقية الكبرى<sup>1</sup>.

يحتل هذا الثالوث التضاريسى موضعًا انتقاليا بين شمال معتدل و جنوب صحراوي مداري، هذا ما يجعلها تحت تأثير الكتل الهوائية القطبية والأخرى

1 - العيدى (إبراهيم)، حضارة تونس الحديثة، تونس، 1952، ص 14 و هذا ماسقى في استخلاصه رميه الفرسى "Marcel Dubois" حين ذكر

Point de remparts continus, de montagnes qui séparent les gens du Tell ou du Sahel, de ceux des plateaux ou du désert ! De l'une à l'autre de ces régions, l'on passe par une série de nuances, rarement par un soudain et violent contraste. Le paysan des bords de la Medjerdah et assurément moins surpris, si on le transporte à Djerba ou à Gabès, que le Berbère de Grande Kabylie envoyé à Laghouat. L'opposition entre le sédentaire et le nomade est moins vive aussi en Tunisie que dans le pays voisin" انظر Marcel Dubois, la France en Tunisie, in Revue générale des sciences pures et appliquées, Paris, 1897, p 16

المدارية، تعمل كلها على تداول حكم البلاد مناخيا. فعندما تتفهقر الكتل المدارية في الشتاء يُفسح المجال للرياح الشمالية الغربية الرطبة المصحوبة بأمطار. لكن سرعان ما تترك مكانها في الصيف للهواء الصحراوي الحار والجاف حين تقرر الصعود نحو البحر الأبيض المتوسط. عند ذلك تُسجل رياح الشهيلي أول ظهور لها. لكن الظاهرة لا تلعب دوراً حيادياً في تعاقب تأثير رياح الشمال والصحراء في مناخ البلاد، فهي تعمل على منع الرطوبة المكثفة من التوغل صوب الجنوب في حين لا تمانع من عبور الشهيلي إلى الشمال، هذا التحالف بين الظاهرة و الصحراء قد يكون على حساب فلاحة البلاد التي تغلب عليها الأودية الموسمية باستثناء واد مجردة النابع من الجزاير.

قد تكون العوامل الطبيعية قسمت البلاد التونسية إلى ثلاثة أقاليم: إقليم **الجبل** في الشمال وقلبه النابض «افريقة»، والزيتاتين في الوسط، والواحات في الجنوب. لكن تنقل السكان، منذ آلاف السنين، من الشمال إلى الجنوب، قد يكون وراء ذلك التناقض بين هذه الأقاليم الثلاثة، جاعلا منها بلداً واحدا.

### **البحر: داخله مفقود و خارجه هولود**

لعب البحر دوراً كبيراً في نحت المشاهد الساحلية و لكن أيضاً في بناء المشاهد الداخلية. فلهذه البلاد «تاريخ» جيولوجي متقلب، قد يعود إلى عشرات ملايين السنين، إلى عصر ما اصطلاح عليه في علوم الأرض، بعصر «جزيرة القصرين». حين كانت أغلب مناطق الوسط والجنوب مغمورة بمياه البحر ولم يكن بارزاً منها غير أرض صغيرة هي جهة القصرين حالياً. تاريخ كاد يُطمس بسبب حركة الأرض التي فكت عقدة الانبساط، فتضرس و طفت بعد أن كانت مغمورة، لو لا تلك الأحفورات التي عثر عليها العلماء في مناجم الفسفاط، و في عديد صخور البلاد، و التي كانت شاهداً على

---

1 - الوسلياتي (عامر)، المشاهد الطبيعية في تونس، تونس، 1994، ص 194

طغيان البحر على اليابسة<sup>١</sup>. لكن البحر، ورغم تشكّل التضاريس وبروزها، لم يعرف الهدوء بل شهد حركات تقدم وانحسار، أقدمها ارتفاع مستوى مياه مائة ألف سنة خلت، بعد أن فاق مستوى السابق بحوالي عشرة أمتار<sup>٢</sup>. فناتج عن الأمواج العاتية وجود المسطحات في أماكن عديدة من سواحل الواجهة الشمالية والشواطئ الحجرية وسباخ جزر جربة وقرقنة<sup>٣</sup>. فكانت بحيرات الشمال أكثر افتاحاً وامتداداً على البحر، حتى إن بحيرة بنزرت كانت تضم قسماً كبيراً من منزل عبد الرحمن ومتزل الجميل والعزيز والجوادة وأم هاني ومتزل بورقيبة<sup>٤</sup>، بل وغمرت مياه البحر سهل رأس الجبل وسهول خليج تونس<sup>٥</sup>. على أن البحر سجل انحساراً بعد ذلك ، أي قبل عشرين ألف سنة تقريباً، إذ تراجع بما لا يقل عن مائة متر، فأصبحت مدينة قابس على سبيل المثال في الداخل، ففارقت البحر قرابة 180 كلم<sup>٦</sup>. ثم عرف مستوى البحر من جديد ارتفاعاً متواصلاً في مستوى في الفترة الممتدة بين 15000 و 6000 سنة ق.م.

### وإذا الأرض أخرجت أثقالها

عرفت الأرض، بعد طور البحر طوراً جديداً هو طور الأرض حين تحركت قشرتها، واصطبغ على هذه الحركة بالحركة التكتونية، خلصت على إثرها البسيطة من مياه البحر فطفّلت، فظهرت تضاريس البلاد الالتواية التي اتخذت شكلها وتنظيمها الحالي. وقد ناتج عن الحركات المتواصلة في التواء ما كان قد ترسّب قبل ذلك، بروز الجبال التي غمرت المياه في النصف الأول من الزمن الثالث، ولعل أهم شاهد على ذلك جبل الناظور و جبل منزل غول

١ - راجع p. 32 1967 Depois (J), *La Tunisie Ses régions*, Paris ,

٢ - الوسلي (عامر)، مص المراجع، ص 196

٣ - مص المراجع

٤ - مص المراجع

٥ - مص المراجع، ص 198

٦ - مص المراجع

و جبل الكشابطة<sup>١</sup>، لكن حركة قشرة الأرض صحتها انكسارات أدت إلى ظهور الأحواض الانخسافية.

## جبل السماء، والأرض

غير أن هذه الأشكال، وقد تكون اتخذت رسماً منها منذ الزمن الرابع، لم تقدر على المحافظة على شكلها بسبب التعرية، بعد حدوث تغيرات كبيرة على المناخ خلال الزمن الرابع<sup>٢</sup>. فأشكال النحت والرواسب هي نتيجة لتابع الأزمنة المطيرة (الماء) وأخرى يُسمى بـ«المطرة» (الجافة). فقد عاشت البلاد الفترة المطيرة قبل 20000 سنة خلت كان للسيول الدور الكبير في تحول السفوح وتشكل الوديان. وهذه الفترة عرفت فيها البلاد «عصر» الغابات والتي كانت ممتدة في السبابس. ومن غير المستبعد أن تكون البلاد سجلت انخفاضاً كبيراً في درجات الحرارة، قد يكون ممكناً الجَمَد من نحت بعض السفوح، ونذكر على سبيل المثال رواسب سفوح جبل الغرف عند مدخل مدينة حام الأنف. كما نحت الجَمَد التجاويف والفجوات، مثل تجاويف جبل برقو<sup>٣</sup>.

١ - الوسلاتي (عامر)، نفس المرجع، ص 200

٢ - راجع Depois (J ), *op cit*, p 32

٣ - الوسلاتي (عامر)، نفس المرجع، ص 201

# ها قبل و بعد عصر جزيرة القصرين

## السواحل

تمتد سواحل البلاد على 1300 كلم تقريباً، من الشمال إلى الجنوب، حتى أن كل نقطة في البلاد تبدو وكأنها مشرفة على البحر، فتكتشف شرق المتوسط للغرب، و تمثل رؤوسها في الشمال أعمدة الفصل بين حوضي المتوسط الشرقي والغربي<sup>1</sup>. وقد دأب المختصون على توزيعها إلى سواحل الواجهة الشمالية والواجهة الشرقية بسبب امتدادها الكبير وكذلك نظراً إلى المعطيات التوبوغرافية والجيولوجية والهيdroلوجية.

## الرؤوس والخلجان

هي أهم ما يميز مشاهد سواحل الواجهة الشمالية، تتكون من رؤوس صخرية ضخمة شديدة البروز و متقدمة في البحر، يقع أغلبها على السواحل الواقعة بين رأس الأبيض والحدود الجزائرية، لعل أهمها رأس كاف عباد و رأس سرات و رأس بودماغ (رأس نيقرو) و رأس كاف الري و رأس فيض

---

٦ - نفس المرجع، ص 78

الدبوية. هذه رؤوس تفصلها خلجان ضيقة بين كاف عباد ورأس بودماغ، والتي يسمىها أهالي الجهة الرئيس، لعبت فيها التعرية التفاضلية التي تقوم بها الأمواج دوراً كبيراً في تتابعها<sup>1</sup>.

### الشواطئ

تغلب على سواحل البلاد التونسية الشواطئ الرملية التي غالباً ما تشكلت بفعل الأودية، هذا ما نلحظه بوضوح في الشواطئ الواقعة بين بنزرت وطبرقة، مثل شواطئ كل من رأس إنجلة ورأس سرات والزوارع وبروكش، وكذلك حول مصبات وادي الشفار، بين صفاقس والمحرس، ووادي الملاح ووادي قابس. تتميز بتشابهها عرضاً وطولاً وامتداداً، مثل تلك الشواطئ الممتدة، ودون انقطاع، بين رأس الطرف وسيدي الرئيس، وبين مديتي قليبية والمنستير، وبجزيري جربة والعكارنة، وبين المهدية وراس الديباس.

ولهذه الشواطئ شواهد جيومورفولوجية لعلاقتها المباشرة بالبحر، لعل أبرز الأمثلة ألسن شواطئ الأراضي المنخفضة، حين تقدم على حساب البحر في شكل سهام، نذكر الألسن الواقعة بين غار الملح وقلعة الأندلس على مستوى المصب المهجور لوادي مجردة، سهم فم الواد، ورأس قبودية بالشابة، وعلى واجهة جزيرة جربة الشرقية.

وقد تغامر الشواطئ وتتحدى البحر فتقدم في شكل ظهور رملية متوازية ومتتابعة، قبلة شواطئ الواجهة الشهالية الشرقية لجزيرة جربة، وشواطئ الشفار، وشاطئ وادي الملاح في خليج قابس، وتلك الممتدة بين رواد وغار الملح. وقد يتتحول هذا التحدي إلى اتساع كما حدث ذلك في منطقة الديباس حيث تبرز الشواطئ في شكل جزيرة صغيرة، لكنها شديدة البروز،

1 - نعم المرجع، ص 80-84

يسميه أهالي منطقة طبلبة-الديهاس «الدزيرة»<sup>١</sup>.

## عندما تتوغل الرياح في الترّ

تنتج الحقول الرملية عن مواجهة السواحل للرياح وانعدام غياب الغطاء النباتي الذي يساعد في نقل الرياح للمواد الرملية إلى البر. و تتوزع أهم الحقول الرملية بسواحل الواجهة الشهالية للبلاد التونسية، بين نفزة وشّاتة وسيدي مشرق وكاف عباد، وبين وادي دار الجنة ومدينة بنزرت. تتقدم المواد الرملية داخل الأودية بفعل تعامدها مع السواحل وقبوها لمرور الرياح في مراتها، ونذكر هنا وادي الداموس ووادي قمقوم ووادي الزوارع. كما أن سرعة الرياح قد تمكن الرمال من التوغل أكثر في البر، وقد يكون أفضل مثال على بلوغ الرمال قمة جبل الناظور وتقدمت أكثر من عشرة كيلومترات بعيداً عن ساحل سيدي البشير، وعبرت جبل الذيب الذي يبلغ ارتفاعه 232 متراً<sup>٢</sup>.

## البحيرات الساحلية

هي مسطحات مائية دائمة تتصل ب المياه البحر عبر منافذ، وهي إما منافذ دائمة أو فصلية. وأهم هذه البحيرات الساحلية في الشمال: بحيرة إشكل، وبنزرت، وغار الملح، وتونس، وبحيرة البيبان في الجنوب<sup>٣</sup>.

## السباخ والشطوط والمستنقعات

يمكن التمييز بين الشطوط والمستنقعات من جهة، والسباخ من جهة ثانية بوجود النبات من عدمه. إذ تنعدم النباتات في السباح، وتبرز في الشطوط والمستنقعات، وتكون في غالب الأحيان ملحة، تتوزع على الأطراف لتحيط بها. وهي أراضٌ منخفضة و منبسطة السطح، يعود وجودها إلى عوامل

١ - من المراجع، ص 86-94

٢ - من المراجع، ص 96-104

٣ - من المراجع، ص 107

طبوغرافية و مناخية و هيدرولوجية، فكلما انخفضت الأراضي الساحلية صعب على الأنهر صرف مياهها و استعصى عليها مواجهة أمواج البحر، الذي قد تتسرب مياهه إذا كانت تربتها نفاذة. لذلك تكثر السباح و بصفة خاصة على سواحل خليج تونس، و خليج الحمامات، و خليج قابس، وعلى الشريط الساحلي الممتد بين جزيرة جربة و الحدود الليبية التونسية<sup>1</sup>.

### التقاء البحر بالبابس

تظهر عند التقاء البحر بالبابس حافات خالية من النبات مكونة أكثر المشاهد الساحلية امتداداً و ذلك على طول 400 كلم لتنافس بذلك الشواطئ الرملية، مع أنها قليلة الارتفاع. و تنقسم هذه الأجرف إلى صخرية مرتفعة نسبياً عن باقي الأجرف الأخرى و ترك خاصة في الواجهة الشمالية لعل أهمها جرف رأس الدرك، و رأس الدار، و رأس الفرطاس، رأس الطرف، رأس الزبيب، رأس سرات و أخرى طينية تنتشر على الواجهة الشمالية، و واجهة خليج قابس الشرقية، و حول بوغرارة. أما النوع الثاني من الأجرف فيكون من مواد طمية، قليلة الارتفاع حيث لا يتجاوز ارتفاعها الأربع أمتار، تكثر خاصة في سواحل المناطق الشمالية، في مرسى الذوبية، و برینیط، و سوین، و بني عطاء، وهي أجرف منخفضة<sup>2</sup>.

### باطن الجبال و ظاهرها

تنتمي السلاسل الجبلية التونسية إلى الأطلسيين التالي و الصحراوي اللذين يلتقيان في البلاد التونسية بعد نفور افتراق في الجزائر. و من أهم جبال البلاد، تلك المنتمية إلى الظهيرية التونسية، و جبال خير و مقعد، و المشرفة على حوض مجردة. يتوجه معظمها من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، و يكون امتدادها جلياً رغم تقطيعها بفعل الأودية المتفاوتة الاتساع و العمق.

1 - نفس المرجع، ص 112-121

2 - نفس المرجع، ص 124-140

لكنها قليلة الارتفاع مختلفة الحجم و متباعدة السفوح<sup>1</sup>. على أن ما يميز جبال البلاد التونسية أن التي تبرز أكثر من غيرها ليست هي تلك الدائمة الارتفاع، بل إنّ لسهول الدور الكبير في إظهار الجبال و جعلها مرتفعة للعيان، فجبل مغيلة مثلاً يظهر حضوره على حساب جبل الشعاني، أعلى قمة في البلاد 1544 متر<sup>2</sup>. و تختلف الجبال من حيث لونها الظاهر: ف تكون في الجنوب ذات ألوان فاتحة تميل إلى الحمراء و مرد ذلك ندرة النباتات على سفوح فتبرز ألوان صخورها، هذا ما قد نشاهده في جبال قفصة، و المرتفعات المطلة على شط الجريد. و قد تكون متعددة الألوان كما هو الحال في السفوح الشرقية للظهورة. لكن ما إن يتوفّر الغطاء النباتي، كما هو الحال في جبال خير و مقعد، حتى يسود اللون الداكن<sup>3</sup>. و تختلف الجبال حسب شكل سفوحها و قممها، فمنها جبال ذات قمم عريضة و سفوح شديدة الانحدار مثل جبل صماما (1314 متر)، و جبال تكون سفوحها شديدة الانحدار غير أن قممها ضيقة أو حادة أو متموجة أو مستننة مثل جبل المنشار بباجة<sup>4</sup>.

يعود وجود هذا المظهر و هذه الأشكال المتنوعة للجبال في البلاد التونسية إلى سببين رئيسيين، أولها بنيتها الالتواية، و ثديها عمل التعرية التي قد تغيّب تلك الصورة الباهة لتلك الكتل الصخرية<sup>5</sup>. و من بين هذه الأشكال يمكن أن نذكر ذلك الشكل الطوبوغرافي البارز بفعل عمل المياه الجاربة، أو بفعل الانكسارات الناتجة عن حركة قشرة الأرض، و اصطلاح المختصون على تسمية هذا الشكل بالأعراف. و يرتبط عمل التعرية الانتقائية بطبيعة الصخور التي تكون منها الأعراف، فكلما كانت صلبة بربّت بنى أحاديد من فصيلة الحواجز. و كلما كانت هشة بربّت الأودية، و هو ما نلاحظه

1 - راجع p 12 Depois (J), *op cit*,

2 - نفس المرجع

3 - الوسلامي (عامر)، نفس المرجع، ص 26

4 - نفس المرجع، ص 12

5 - راجع p 13 Depois (J), *op.cit*,

في خير و مقداد، حيث تتبع القمم المكونة من الصخور الصلبة والأودية ذات التكوينات المتشنة. و تزداد هذه الأشكال وضوحاً في الجنوب و تحديداً في سلسلة جبال قفصة و تلك الممتدة بين المكناسي و الشريشة. كما تنتظم الأعراف في شكل حلقات تحيط بمنخفضات من بينها تلك التي يطلق عليها الجغرافيون اسم البُهْر، و التي يسميها الأهالي الحُفر، و هي ناتجة في الغالب على تعرية المحدبات، و قد نذكر البهرة أو الحفرة التي تتوسط محدب ساطور الحمامات بجهة النفيضة أو بهرة جبل الكشابطة. أما الأعراف الناجمة عن الانكسارات فيمكن أن نذكر الأعراف التي تطل مباشرة على سهول بوسالم و جندوبة مثل جبل الربيعة و منطقة هذيل مثل جبل الطابونة و جبل الحفيرة و جبل دمنة جبارة و جبل الأجرد. كما تمتاز الجبال بأوديتها العميقه المرتبطة بصلابة الصخور و التي تؤدي إلى وجود الحفافات القائمة فتتحول الأودية إلى خوانق شديدة الوعورة. وقد يفسر تنوع الصخور تعرج الأودية، فتكون إلى حد ما مستقيمة المسار عندما تكون المجاري صغيره و تجري فوق سطوح قليلة الامتداد و الانحدار<sup>1</sup>.

---

1 - الوسلاقي (عامر)، نفس المرجع، ص 56

# بين الجبال و السهول

## أقدام الجبال

تتميز الجبال التونسية بالتبان الشديد بين سفوح الجبال وأقدامها. فقد تشكلت أقدام الجبال على إثر عمل تعرية المياه الجاربة، رغم الدور الذي قد يلعبه الغطاء النباتي. فوجود السطوح كان بعد عملية نحت، أطلق عليها المختصون اسم الحوادير، وبعضاً بعد عملية تكديس متواصلة، أطلق عليها اسم المراوح الفيوضية. ومن بين الحوادير يمكن أن نذكر تلك السطوح المتدرجة بأقدام جبال قصبة، ومغيلة، وعلى صفتى وادي الكبير بين سيدي سعد وسيدي زيد. وقد تسبب التعرية في تقطيع بعض الحوادير وعندما تبرز للوجود الروابي والتلال المتصلة بالسفوح، وتكون مُدَّدة يسمى بها الأهالي «الرَاوِيَة» أو العَرْقُوب أو «الكُرُومَة»، وإن كانت ممتدة يطلقون عليها اسم الكُنْدِيَّة أو المِيدَة، مثل موائد ظهير مدینتي منزل قميم وقرية. أما التعرية الريحية، وفي ظل غياب الغطاء النباتي في الوسط والجنوب، فإنها تعمل على تذرية الجزء الدقيق من الرواسب لتركز المواد الخشنة، فيطلق الأهالي على هذه السطوح الخصوصية اسم الحِمَادَة. كما تتميز أقدم الجبال بكثرة المراوح الفيوضية، ويمكن أن نذكر قدم السفح الغربي لجبلبني وليد بشبه جزيرة الوطن القبلي والماتلين - رأس الزبيب بجهة بتترت<sup>1</sup>.

1 - نفس المرجع، ص 66-76

## **العصاب**

هي الأرض النبوطة الضعيفة الانحدار وهي تغطي جزءاً هاماً من البلاد، تظهر توافقها أحياناً وسط الجبال مع القمم المسطحة أو بعض المقررات الشاسعة، مثل جبل كسرة و جبل القراع. لكنها تبرز خاصة في التضاريس المنعزلة، التي تشرف على السهول، كذلك الموجودة في جنوب البلاد، خاصة في الظاهر التونسي، الذي يعرف بجبل مطاطة أو «الجبل». كما نجد المضاب في أقدام الجبال، والمقصود هنا تلك الأسطح النحتية والتي اصطلح عليها بالحوادير، مثل ما هو الحال في القدم الشرقي لجبل الفكيرين، و جبل مغيلة، و عند القدم الغربي لجبل طرزة، و جبل الطويلة بمنطقة حاجب العيون، و القدم الشرقي لجبل عبد الرحان، وبين جبل الشعاني و جبل السلوم. كما توجد المضاب في الأراضي التي تحيط بها الجبال و التي توافق و الأحواض الانخسافية، كذلك الموجودة بين جبال كسرة و سلات و طرزة، والتي يشقها وادي مرق الليل و الجباس و روافدهما.

وتوجد المضاب في المناطق المنخفضة مثل المضاب المتاخمة لخليج قابس، و في ظهير ساحل المهدية و الشابة و جبنيانة و الجفارة. و يؤدي تقطع المضاب بفعل المياه الجارية إلى بروز التلال و الروابي مثل كُذبة بوطويل بين وادي السراق و وادي المرسيت بجهة قابس، أو العَرْقُوب مثل عرقوب الزعتر بجهة مجاز الباب، أو الراقوية مثل راقوبة الزقايقى و السبعة رقود و الموتى عند القدم الشرقي لجبل مغيلة، و ذراع الحمار بين جبلي مغيلة و تيوشة، و ظهرة قلالة بجرية<sup>1</sup>.

## **التلال والروابي**

تنتشر التلال و الربى على مساحات كبيرة، خاصة في السبابس السفلى و الساحل و صفاقس، و كذلك في الأراضي التي تتقدم الجبال أو التي تمتد

1 - نص المرجع، ص 144-152

عند أقدامها. ويعود وجودها إلى ثلاثة عوامل رئيسية: منها ما نحتته التعرية، و منها ما كان بفعل التكديس، ومنها ما يعود إلى عوامل بشيكية. و تتوسط الربى السهول ف تكون منعزلة، مثلها هو الشأن في الضاحية الجنوبية لمدينة تونس بالكبارية و جبل الجلود و مقررين.

## السهول

تهيمن السهول على كامل البلاد، وهي أراض منبسطة ذات سيلان سطحي أو قليل التعمق، وهي التي احتضنت الإنسان و جعلته أكثر حضورا و أكثر تفاعلا إلى درجة أنه ساهم مع التعرية على تغيير شكلها نسبيا. يتافق القسم الأهم من السهول التونسية والأجزاء الأكثر انخفاضا من التضاريس ذات الأصل التوايي لتحتل قيعان مقررات و تفصل بين الجبال. ويكون بعضها نتيجة لحركات هبوطية لقشرة الأرض لتحتل أحواضاً انخسفية، تحدوها في غالب الأحيان حفارات شديدة الانحدار توافق و انكسارات كبيرة، مثل سهل القصرين و بوسالم و بوعرادة-الفحص و قرمبالية و سمنجة. كما أن العديد من السهول حديثة النشأة، يعود وجودها إلى عملية تكديس هامة عند مصببات الأودية، قد ذكر على سبيل المثال سهل الزهراء و حمام الأنف بفضل رواسب وادي مليان، و سهل وادي الشفار، و سهول قرعة إشكل بفضل رواسب وادي سجنان و جومين و الملاح، و سهول وادي مجردة. و وجدت السهول بعد التزامن ما بين تراجع مستوى البحر و تكديس الرواسب التي تركتها الأودية الخارجية الصرف، مثل سهول طبرقة و بنزرت و راس الجبل و تونس و قليبية و نابل و الحمامات و سوسة و المهدية و صفاقس و المحرس و قابس و جرجيس، و جريبة بكل من أجيم و حومة السوق. كما كانت عملية التكديس وراء اختلاف مظهر الأترية، فهناك تلك التي تميل إلى السواد أو البني في إقليم التل التونسي، وبالخصوص على حوض مجردة، و تكثر الألوان السمراء الفاتحة بين الأخضر والأصفر بسهول الشمال الشرقي والوسط، و

الألوان الوردية والتي تميل إلى الأحمر الفاتح في السواحل الجنوبيّة الشرقيّة. على أن السباح تحتل مكانة متميزة في السهول حيث تكثر في المناطق المحاذية للسواحل، مثل سبخة الكلبية التي تستقبل مياه وادي زرود و مرق الليل الصعبة التصريف، و مكنين و سidi الهاني و الشريطة و الجم و الغرة و بوجمل و النوال و عرق المخزن وأم الخيالات، وفي الشمال سبخة السيجومي، وقد تبعد عن البحر مثل سبخة الكرزية بجهة مجاز الباب، و سidi منصور القطار و قرعة دوزة، لكن أهم سباح البلاط التونسي هي التي يطلق عليها اسم الشطوط، وهي المتدة مباشرةً جنوب جبال قفصة، مثل شط الفجيج و شط الجريد و شط الغرسة<sup>1</sup>.

### الكتبان الرملية

يتجوّل عن عملية التكديس أشكالاً ريمية تعرف بالكتبان الرملية تطغى على مساحات كبيرة، خاصةً غرب الظاهر، حيث يسجل العرق الشرقي حضوره في البلاد. و تتنوع أشكال الكتبان الرملية: فمنها الكتبان الصغيرة، التي تتفرع إلى كتبان مستطيلة الشكل عرفها الجغرافيون بالنباقة و تكون خلف الحواجز، و منها كتبان هلالية الشكل تتبع محديبة الجهة التي تهب منها الرياح و اصطلاح على تسميتها بالبرخان.

و كثيراً ما تلتجم الكتبان فتكون سلاسل متدة تفصلها منخفضات في شكل أوّدية، يسمّيها الأهالي الفج، تكون رمماها أقل جفاً فما تمكن من نمو نباتات في قيعانها، لكن قد تتحلّلها السباح. و يتّبع عن تلامِح الكتبان ميلاد الأعراف ذات القمم الحادة أحياناً شبّهها أهل الصحراء بالسيوف.

و عندما تلتقي قمم الأعراف مختلفة الاتجاهات فإنّها تأخذ شكلاً مخروطياً تعرف بالغرود.

1 - نفس المرجع، ص 168-174

## **الأودية**

تكون الأودية في السهول سطحية حيث لا تتجاوز الحافات التي تحدها المتر أو المترین خاصة في مستوى مصبها، مثل وادي شفار و وادي مليان و وادي مجردة، وكذلك الشأن في قلب الأحواض الانخسافية في كل من وادي الفكة و سيدى بوزيد و المالح بالقيروان. وتكون قيعان الأودية عريضة و منبسطة في شبه جزيرة الوطن القبلي وادي لبنة و شيبة و تاخسيت خاصة في مجاريها الوسطى. أما في المناطق التلية فتقطع مواد لينة خاصة في المناطق الواقعة بين تستور و الكاف. و تمتاز أودية سهول الوسط و الجنوب بمجاري عريضة و كثيرة التغير لا سيما إبان الفيضانات، وقد ذكر على سبيل المثال وادي زرود حيث يبلغ عرضه في منطقة حاجب العيون عدة مئات من الأمتار، و مرق الليل عند بلوغهما السبابب السفل، و وادي الفكة عند عبوره سهل سيدى بوزيد. و تتميز أنهار السهول برسومها المتموجة بسبب ضعف الانحدار، مثل سرير وادي مجردة بجهة تستور-مجاز الباب، و وادي مليان بين جبل الوسط و الضاحية الجنوبية لمدينة تونس.



# الأرض تتهيأ للإنسان

## هزاجية المناخ

تقع البلاد التونسية شمال خط العرض الثلاثين و تتحل بذلك موضعها انتقاليا بين المنطقة المعتدلة بالشمال و المنطقة الصحراوية المدارية بالجنوب. هذا ما يجعلها رهينة ذلك الصراع الدائم بين الكتل الهوائية، القطبية والمدارية. فعندما تتغلب الجبهة الأطلسية في الشتاء على المرتفعات الجوية المدارية، تلجم طوعاً أو إكراها نحو الجنوب، عندها تكثر الرياح الشمالية الغربية الرطبة المصحوبة بالأمطار، والتي تكون غير متتظمة في الربع للتباين بين الحرارة و الرطوبة. لكن سرعان ما تصعد المرتفعات الجوية المدارية في الصيف في اتجاه المتوسط عندها يبدأ فصل الهواء الصحراوي الحار و الجاف، لتسجل رياح الشهيل أول ظهور لها. هذا ما يفسر تتبع الفصول، ففي الصيف يصعد الهواء الصحراوي نحو الشمال ليكون بعد ذلك الاصطدام بين هواء حار و آخر بارد قادم من أوروبا، هذا الصراع بين المتوسط والأطلسي يحدث اضطرابات رعدية شديدة مؤذنة نهاية الصيف وبداية الخريف لتفاسل كل نواذر الصيف. و تتحل الجبهة الأطلسية البلاد لتدخلها مرحلة فصل الشتاء ف تكون الأمطار. لكن أعباء هذا الصراع لا تتحمله البلاد بالتساوي، فالبحر مثلا لا يلطف إلا السواحل لأنها يتتجاهل الداخل و يتركه لبرد قارس و حر لافح، أما التضاريس فهي تحرم في الشمال الداخل من الرطوبة المكتفة و في المقابل ترك

رياح الشهيلي القادمة من الجنوب العبور إلى الشمال<sup>1</sup>.

هذه المعادلة المناخية تعطينا الأقاليم المناخية التالية: إقليم تلّي رطب، تتجاوز فيه كميات الأمطار 400 مم / سنة، تصل فيها معدلات الحرارة الدنيا بجندوبة إلى 3.8 درجات في شهر جانفي والقصوى إلى 37.4 درجة في شهر جويلية، و 5.2 و 31.5 درجات في بنزرت. إقليم سبابسي شبه جاف، تراوح كميات الأمطار فيه بين 200 و 400 مم / سنة، و تصل معدلات الحرارة الدنيا بالقيروان إلى 5 درجات في شهر جانفي والقصوى إلى 37.5 درجة في شهر جويلية، وبين 6.9 و 31.4 درجة في سوسة. إقليم صحراوي جاف، لا تتعدي فيه كميات الأمطار 200 مم / سنة، تصل فيها معدلات الحرارة الدنيا بتوزر إلى 5 درجات في شهر جانفي والقصوى إلى 40 درجة في شهر جويلية، و 5.9 و 32.7 درجة في قابس<sup>2</sup>.

رغم ارتباط تقهقر الغطاء النباتي من الشمال إلى الجنوب ببنوعية الصخور والترب و الطبوغرافية والواجهة، يبقى للمناخ دور كبير في ذلك التقهقر التدريجي، الذي يلاحظه بوضوح المتوجول في البلاد. وقد نخص بالذكر توزع الأمطار و درجات الحرارة. فالجفاف و التعرية يؤثران على تربة البلاد التونسية بسبب النحت الحيمناخي و الريحي مما يجعلها تفتقر للدباب. لذلك تتوزع الترب على النحو التالي: الترسية والروندين، والبنية الكلسية، والبنية الغائية، والجبسية المالحة و الملحية و المنحوتة<sup>3</sup>. فتتميز الجبال الواقعة شمال وادي مجردة بشدة كثافة نباتها و ارتفاعها، حيث تخلل أشجار السنديان و الفرانان و الزنان، التي يفوق ارتفاعها أحياناً عشرين متراً، نباتات أقل ارتفاعاً مثل الخلنج و الرند و الآس و القطلب، ليتكاثف الصنوبر البحري قرب السواحل تاركاً المجال للغيل والأشب في جبال مقعد<sup>4</sup>. ثم يبدأ الغطاء النباتي في التدهور، من غابات الصنوبر و الصنوبر الحلبي خارج منطقة التل، إلى

1 - نفس المرجع، ص 19

2 - اطر Kassab (A) /Sethom (H), *Géographie de la Tunisie*, 1980, p p 51-63

3 - راجع p 25 Depois (J), *op cit*,

4 - الوسلياني (عامر)، نفس المرجع، ص 60

الكشري و العرعر والجبوz والخروب والسرور والبلوط، فالإكليل والمليّة و القندول والبحداري، لنصل في الآخر إلى النباتات المتخذة شكل آجم، تكون منعزلة و محدودة الامتداد و كثيراً ما يطلق عليها سكان تلك الجهات اسم «الزملة» و كذلك الشوشه<sup>1</sup>. هذا التدرج في الغطاء النباتي و الذي كان سببه الرئيسي المناخ لعله هو الذي جعل الإنسان يميز بين أقاليم البلاد، هي بلدان ثلاث الشمال و الوسط و الجنوب.

### **نسمة البلاد**

توجد سرّة البلاد حيث جبال السبابس العلية، جبل سيامة- طيوشة و جبل بربو و جبل الشعاني في الغرب، و سهول قمودة و حوض المكناسي من الشرق. و فيها يطغى المناخ الشبه جاف القاري و السباسي. فلا تنزل الأمطار بكثرة إلا في الفصول الビينية الخريف و الربيع، بمعدل يفوق ثلثي التساقطات السنوية لكن مع إمكانية نزول البرد في الصيف. و تهيمن الحلفاء<sup>2</sup> غرب السبابس العلية، مقابل تواجد الشيخ و السدر الذي نجده كذلك في السبابس السفلي. أما السبابس السفلي فتهيمن عليها سهول القيروان تلك التي تحدها الجبال من الغرب، جبل السرج و وسلامات و منارة و جبل الشراحيل، و مجموعة من السباخ من الشرق، سبخة سيدى الهانى و الكلبية و الشريطة. و يكون المناخ جافاً مع تذبذبات مطرية شديدة قد تبلغ 150 مم في السنة، و قد تتعدي 1000 مم في العام الواحد، و يتميز هذا الإقليم بارتفاع الحرارة الصيف. و تشقه مجموعة من الأودية مثل وادي نبهانة، و وادي مرق الليل، و وادي الزرود<sup>3</sup>. و يتخذ الساحل شكل رئيسيًّا متوسطة الارتفاع تتحول نحو الشمال و الغرب و الجنوب إلى سهول وطئة و منبسطة، و تكون الأمطار فيها ضعيفة 370 مم في التفريضة عندها تكثر السبخات الداخلية و الساحلية.

1 - نسخ المرجع، ص 157

2 - راجع ، op.cit (J), p 102 Depois

3 - نسخ المرجع، ص 139-133 و 109-103 و 86-77

ونكون عندئذ في «بلد الزيتاتين».

## الجنوب

هو بلد الواحات، تهيمن عليه التضاريس المنبسطة غرباً، وتشتد الحرارة وتنعدم الأمطار، حيث لا يتعدى المعدل غالباً 100 مم في السنة، لكن قد يحدث في مناسبات قليلة أن تنزل بغزارة، في فصل الخريف والربيع، أمطار سيلية تحدث فيضانات كتلك التي تشهدها منطقة قفصة. هذا ما يجعل المناخ ملائماً للنخيل إذا توفر لها الماء، فنحن إذن في «بلد النخيل». أما في الشرق فيتميز جبل جفارة بأهمية الأمطار، التي تراوح بين 200 و250 مم، في حين تكثر السبخات والقرعات والبحيرات في سهل جفارة<sup>1</sup>.

## الشمال

يقع شمال سلسلة الظهرية، تكون من أخصب سهول البلاد خاصة تلك الواقعة بين جبال مقعد و خمير من الشمال الغربي<sup>2</sup> و جبال التل الأعلى و سهول الكريب السرس و سليانة من الجنوب الغربي<sup>3</sup>. هي سهل مجردة الوسطى بكل من غار الدماء التي تصعد فيها كميات الأمطار إلى 565 مم، و جندوبة 449 مم، و بوسالم 476 مم، و باجة التي تتجاوز فيها كميات الأمطار 600 مم، و سهول مجردة السفل، بكل من تستور و محاذ الباب التي تصعد فيها كميات الأمطار إلى 400 مم، التي تتبع شكل مخروط عندما تلتاح بالسهول الساحلية. و تشرف سهول مجردة الوسطى من الوسط على سهول إقليم تونس، ومن الشمال الشرقي على سهول طبرية و ماطر و بنزرت و تتجاوز فيها كميات الأمطار بين 400-500 مم، مما يوفر المياه و يسمح بتعاطي الزراعات البعلية في أي موضع كان. و تشرف من الجنوب الشرقي

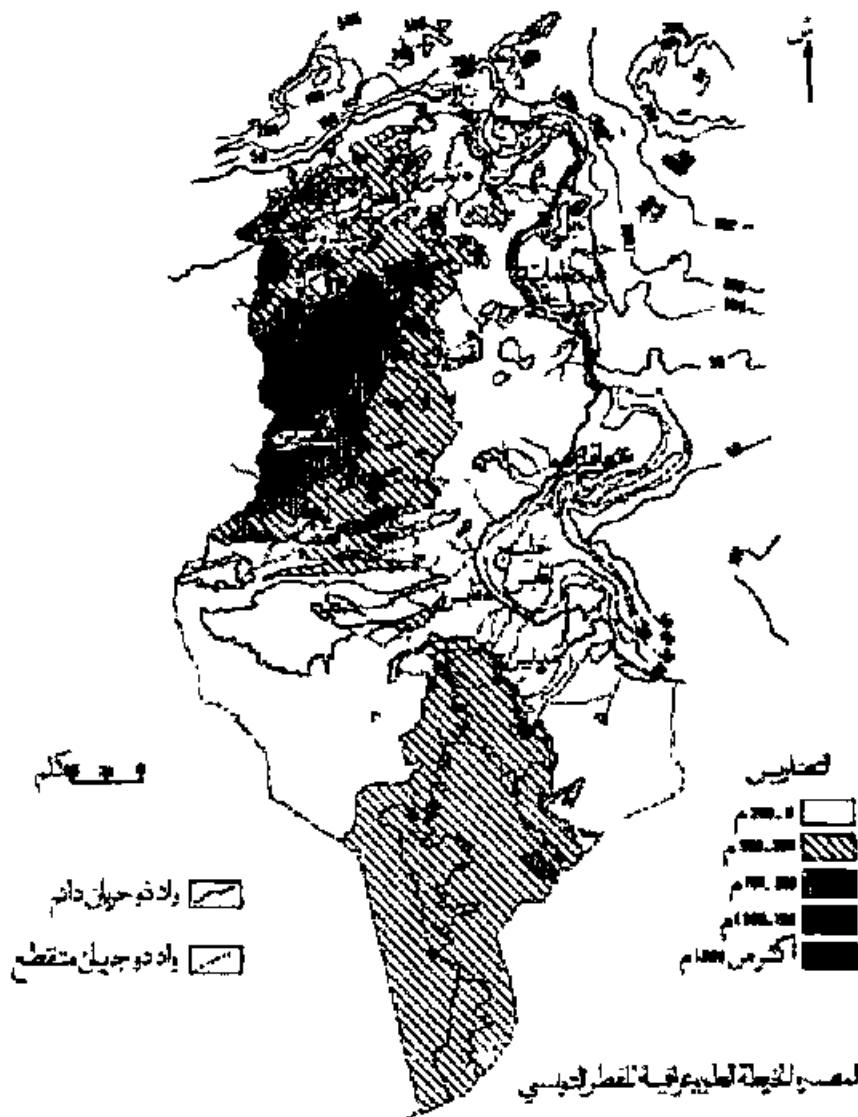
1 - نفس المرجع، ص 21-25 و 47-52

2 - تريل في قعدها الثابوح في كل سنة و تتحدى فيها كميات الأمطار 1500 مم في عين دراهم و 1030 مم في طرقة

3 - والتي تكثر فيها الأودية

على سهول بوعرادة و الفحص و زغوان و قرمبالية التي تتراوح فيها كميات الأمطار بين 400-500 مم<sup>1</sup>. فنحن إذن في «بلد الحبوب» و قلبها النابض «أفريقة» و نهرها الكبير مجردة.

### لتضاريس والمياه وعمق البحر



<sup>1</sup> - سليم (حاطط)، نفس المرجع، ص 182-189 و 211-217 و فيما يتعلق بالوطن القبلي انظر Sethom (H ), *L'agriculture de la presqu'île du Cap bon, Géographie de la Tunisie Le pays et les hommes*, Tunis, 1977, pp 34-230



# بداية تاريخ الإنسان شواهد الأزمنة المبكرة

## اساطير الأولين

ما إن بدأ تاريخ الإنسان حتى انتهى زمن تكون الأرض بعد أن حُسِّمت مسألة تشكيلها. فلما ظهر الإنسان تراجع البحر عن ذلك المستوى الذي عرفه منذ مائة ألف سنة، وعجزت قشرة الأرض عن التحرك، ولم ترتفع الجبال من جديد، أو أن تتكددس الرواسب، ولم تنزل تلك الأمطار التي حدثت لآخر مرّة منذ خمسة عشرة ألف سنة<sup>1</sup>. غير أن مشاهد زمن الأرض قد يكون بقى منها الشيء القليل، وهذا ما قد نستخلصه من بعض الأساطير المدونة في عهود مختلفة.

لعل أبرز هذه الشواهد ما ذكرته النصوص القديمة من أنه خلال الحروب البوئية واجهت عساكر القنصل الروماني مارقوس آتيليوس رَغولوس على صفاف مجرد ثعبانا عملاقا، وصل طوله 120 قدمًا (35 مترا). واستعمل عسكر الرومان ما لديه من أسلحة، وقد مات الكثير منهم ، قبل أن يُقتل الثعبان الأسطوري. وحُمل ثوبه إلى روما، وبقي معروضا للناس طيلة قرن. لو قبلنا ببعض ما ورد في هذه الرواية، لافتضنا أن يكون المكان المناسب لها، هي البحيرة القديمة بجهة الدخلة والتي عرفت في الأزمنة الجيولوجية

1 - ابوسلامي (عامر)، نفس المرجع، ص 198

السابقة انحسار المياه و تكدس الرواسب. و من غير المستبعد كذلك أن يكون هذا الشعبان من فصيلة الزواحف المتبقية بهذه البحيرة<sup>1</sup>.

أما الأسطورة الثانية فقد وردت في المصادر العربية الكلاسيكية، في باب الحديث عن ظروف تنصير القيروان، والتي جاء فيها أن القائد عقبة بن نافع حين أراد بناء القيروان، دعا الوحش والسباع التي استجابت إليه صاغرة لإخلاء الموضع. و من بين أشهر هذه الروايات ما ذكره البلاذري في كتابه *فتح البلدان*: «فافتتح إفريقية واحتضن قيروانها. وكان موضع القيروان غيبة ذات طفأء وشجر لا يرأت من السباع والحيات والعقارب القتالة. وكان ابن نافع رجلاً صالحًا مستجاب الدعوة. فدعاه ربه فأذهب ذلك كله، حتى إن كانت السباع لتحمل أولادها هاربة بها». هذا ما قد يذكر أن هذه الجهة التي لم يعد غطاؤها النباتي غير الشجاع والسدر كانت قبل عهود خلت غابات كثيفة تأويها الوحش والسباع.

### خبراء البلاد الأوائل

لقد ساعدت المياه و الرياح الإنسان على اكتشاف طبيعة أرضه و بداية استغلالها، فبفضل التعرية و ما أوجدته من مشاهد طبيعية اكتشف الإنسان أهمية الأماكن المرتفعة حتى إنه اتخذها كمناطق استدلال، و اختار لها إسمًا له عديد الدلالات من ذلك تسمية «الكاف»، وهي التي لا يمكن أن يسكنها غير الطيور الجارحة، فكان كاف العقاب و الرخمة في جبل طرزة و كاف النسور بمقعد<sup>2</sup>. كما استغل الإنسان قيمة الأودية الجبلية فاستعملها كمسالك طبيعية للترحال من بلد إلى آخر. و استغل أقدام الجبال للاحتفاء بها فكانت

1 - مطر

Pellegrin (A), La Medjerda aperçu historique, in *Bulletin économique et social de la Tunisie*, n° 102, juillet 1955, p 34-47, p 34

2 - الوسلي (عامر)، معن المراجع، ص 56

له مواطن لجوء<sup>1</sup>. واستغل الحقول الرملية المتحجرة الموروثة عن ارتفاع مستوى البحر، التي تبدو في شكل روابي كثيرة التجاويف، كتلك الموجودة بين مدينة الهوارية و سيدى داود، لاستخدام حجارتها في البناء. و وفرت الحفر والمعارات ملجاً أو مقابر كما هو الحال بسيدي داود<sup>2</sup>.

## عهود الحجر

اقتصر الإنسان في بداية هذه العهود على صيد الحيوانات البحيرية الموجودة على ضفاف شط الجريد و التي كانت بحيرة شاسعة بسبب نزول الأمطار الغزيرة بالجنوب، ترتادها عديد الحيوانات، و ما وجود تلك الحجارة شبه المكورة إلا دليل قوي على ذلك، وهي حجارة قد يكون استبطط الإنسان صنعها من خلال تكسيرها بحجارة أخرى أصلب<sup>3</sup>. ليطور الإنسان فيها بعد أدوات صيده، فচنع فؤوسا مسطحة من الحجارة، عشر على البعض منها في المتلوى والرديف و ققصة و العلا، وقد عشر على بقايا حيوانات الكركدن و فرس الماء و الفيل و الجاموس مختلطة بأدوات الصيد في جهة الكاف. كما نجح الإنسان في البلاد التونسية في صنع السكاكين و رؤوس الرماح من حجر الصوان و التي عشر عليها في مناطق ققصة و القيروان و بنزرت<sup>4</sup>.

عرفت البلاد بعد ذلك ثلاثة حضارات، هي الحضارة العاتيرية (35000-25000) حيث عشر على شواهد لها في منطقتي طبرقة و بنزرت. و الحضارة الوهرانية (18000 و 8000) التي غمرت المياه جزءها الشرقي بسبب ارتفاع مستوى البحر، ولم يعش على شواهد منها إلا في الواجهة الشمالية للبحر في كل من نفزة و طبرقة و بنزرت. و الحضارة القَبْصِيَّة (7000-5000) و مركزها

1 - نفس المرجع، ص 58

2 - نفس المرجع، ص 103

3 - أنظر

, t 1, p 132 Vaufrey (R ), *Préhistoire de l'Afrique*, Paris, 191955

4 - راجع , p 32-33 Depois (J ), *op cit*,

الجنوب الغربي للبلاد حين اتخذ السكان فيها الأكواخ من القش و خبروا أهمية الموضع والموقع، وعيون الماء و المناطق المرتفعة والمرات. و مع حلول الألفية الرابعة دبوا الفلاحة والملاحة فزرعوا و حصدوا و ربوا الماشية<sup>1</sup>.

و صنع سكان البلاد القوارب للتنقل فاتصلوا بالحضارات الأخرى برياً و بحراً، و لئن تعاملوا مع الوافدين من الجزر الإغريقية و بلاد كنعان فإنهم انقطعوا عن شعوب إفريقيا بعد أن قالت الأرض كلمتها الأخيرة بأن اشتد الجفاف فظهرت الصحراء<sup>2</sup> و انقطعت السبل إلى ما وراء الكثبان الرملية.

### رحلتا الصيف و الشتاء

لقد ذكرنا أن مزاج المناخ المتقلب حتى التشدد في بعض الأحيان قد يكون دفع إلى التمييز بين ثلاثة أقاليم كادت أن تتحول إلى بلدان متنافسة لو لا بروز حركة تنقل، هي الأقدم في تاريخ البلاد، وهي التي وحدت البلاد و مكتتها من بداية تشكيل هويتها، و نقصد هنا ظاهرة الانتجاج، أو رحلة الصيف إلى «افريقة»، هما رحلتا الصيف و الشتاء اللتان وحدتا الجنوب و الوسط و الشمال، هما الرحلتان اللتان جعلتا للزمن معنى لدى سكان البلاد إذ يكون ترحال القبائل إلى الشمال للانتجاج و العمل في موسم الحصاد، فكان المتجمعون يطلقون على منطقة التل العالي اسم «افريقة»<sup>3</sup>، و يكون مسلك العمال

1 - نفس المرجع، ص 34

2 - نفس المرجع، ص 34

3 - قد يكون من الميد أن أقول ما ذكره ذئوا عن الاتجاج في مطافة التل العالي

« Les pasteurs qui, en mauvaise année, accompagnent leurs troupeaux vers le Nord ou viennent y chercher du travail quittent les paysages monotones et desséchés des Steppes pour pénétrer, par les dépressions transversales de la Dorsale, dans des régions de relief plus varié et d'aspect plus divers avec leur végétation et leurs cultures méditerranéennes c'est le Tell, le pays des terres fertiles qui portent le même nom. Le Tell est, pour les pasteurs du Sahara et des Steppes, le pays bienheureux où a toujours quelque chose à récolter, où les pâturages ne manquent jamais totalement et où l'on a peut-être des chances de trouver du travail soit dans les campagnes, soit à Tunis » Depois (J ), op cit, p 139

الموسمين أو «المطابيا»<sup>1</sup> و المتجمعون «ناجع قمرة»<sup>2</sup>، كما يلهمج بها التونسيون إلى اليوم، مكثر-جامة<sup>3</sup>-عين فرنة<sup>4</sup>-سيدي بوعرقوب<sup>5</sup>-عين تقة<sup>6</sup>، و من عين تقة يدخل المتجمعون التل العالي عبر تبرسق، في حين يدخل العمال الموسميون فريقة، إما عبر المرور بالفصر فالدورات، أو بالمرور بالسلوقية فممرسة، بوابة «افريقة»، ومنها يتذدون المسلوك القديم: توکابر-شواش-الدورات، و من الدورات يكون دخول بلاد باجة عن طريق قصر مزوار، و دخول ماطر عن طريق بجارت-قبة. و يعتبر مسلك مرسية-توکابر-شواش-الدورات من أقدم المسالك حيث تكثر العيون و هي نقاط ضرورية بالنسبة للمتجمعين و دوابهم، هذه الرحلة تسمى الصيفية، و تكون في أواخر الربيع عند جمع الفول في أفريل-ماي قبل انطلاق موسم الحصاد، فتكون البداية سهول مجردة السفل بنواحي مرسية، ثم سهول مجردة الوسطى حول باجة<sup>7</sup> ثم سهول شمال مجردة حول ماطر<sup>8</sup>.

قد يكون ترحالهم في البداية دون عناء إلى أن ظهرت السلطة المركزية و ظهرت الحدود، فأصبح الانتجاج ملعونا و الترحال نكمة، عملت كل السلط المعاقة على إيقافه بكل السبيل.

1 - يقول أحد حليل الوهّاط والوهاط هو المكان الأطمئن المُشتري، و وهّاط بيظ، أي صعب، والوهاط كذلك فهو أما من سطور فعرف الوهّاط على أنه شنة الوهّاط والصعف، ووهّاط وبيظ و وهّاط يعني الصعوبة والصياغ، والوهّاط يعني الجماعة كذلك، مهل كلمة «المطابيا» كان المقصود بها سesse العمال الموسميين الراغبين إلى

الإداية و الصحاري، أو هو وصف لأصحابهم الصيفية والحلبة أو وصفا لرحلتهم الصيفية في شكل مجموعات

2 - أي الاتجاع بالليل عند صمام القمرة، ويسمون كذلك وإلى يومنا هذا "القبائل"

3 - (Zama)

4 - (Furnos Maius)

5 - (Thimisura)

6 - (Thignica)

7 - تپیس على بلاد باحة التلال متوسطة الارتفاع و السهول المحصنة و الترب الطمية الاعمة من نوع الطين و العریس، أي ترب صالحة لزراعة الحبوب و خاصة القمح، و الحصروات الفول و الحمص، هذا ما أشار إليه الككري الذي ذكر إن أوصى باحة "سوداء" مشقة بجود فيها جميع السرور و بها حصن و قلعة الككري (أبو عبد الله)، المسالك والملالك، بعداد، دت، ص 56

8 - تمثل سهول ماطر أحواصا حسنية تحيط بها المحدين المشرفة، و تكون الترب من صلب التل العني الصالح لزراعة الحبوب، أما سهاح وطن ماطر فيتصف بالاعتدال و بدرة الشهيلي في الصيف هذا ما قد يمسـر لماـذا يتـأخر موسم الحصاد مقاـرنة بـمحـارـالـاتـ وـ ماـحةـ

## رِزْنَاهَةُ زَرَاعِيَّةٍ - جَدُوِيَّةٍ

13 جانفي	خروج الليالي البيض
14 جانفي	دخول الليالي السود
2 فيفري	انتهاء الليالي السود
3 فيفري	العزّارة
13 فيفري	انتهاء العزّارة
14 فيفري	قرّة العينز
21 فيفري	نزول جمّرة الهواء
27 فيفري	نزول جمّرة الماء
6 مارس	نزول جمّرة التراب
10 مارس	المُشُوم
17 مارس	انتهاء الحُسُوم
25 جويلية	أُوسُو
2 سبتمبر	انتهاء أُوسُو
25 ديسمبر	دخول الليالي البيض

**الفصل الثاني**

**دردشة فوق الأرض**



# زهان الاستيطان

## العجرة السامية الأولى

قد نبهن برواية عَلِيَّة و تشدنا إليها روعة جبكتها الأسطورية وجمالية مساحتها الأدبية لكن لا ينبغي أن نقبل بأسطورة التأسيس هذه خاصة إذا ما تحول قيام أكبر إمبراطورية في الحوض الغربي للمتوسط إلى حدث عرضي لعبت فيه الصدفة دوراً كبيراً<sup>1</sup>. لقد كان الكنعانيون، كما كانوا يسمون أنفسهم إلى عهد القديس «أُوْغُسْطِينُوس»<sup>2</sup> أو الفينيقيون كما يسميهم اليونانيون في وضعية صعبة منذ نهاية الألف الثانية قبل المسيح بعد أن أكدت الأخبار القادمة من الشرق وجود رغبة آشورية في عبور نهر الفرات و ابتلاع مدن سواحل لبنان و فلسطين. و تزامن ذلك مع محاولات الإغريق، غرماء الكنعانيين التقليديون، السيطرة على الحوض الغربي للمتوسط ذلك «المجال الحيوي» لبلاد كنعان، فكان لا بد من البحث عن حلول مصيرية كتحويل الحوض الغربي للمتوسط إلى قاعدة خلفية تكون بعيدة عن خطط الآشوريين و «الملجأ» الآمن لهم في حال الاحتلال الغزاة «الوطن-الأم». فكان الاختيار على قرطاج بعد أن خَرِبَ بحارة صور و صيدا و تجَارُهُم ، وقد كانوا يجربون المتوسط من لبنان إلى إسبانيا، أهمية موضع و موقع هذه «القرية الجديدة» أو

1 - عدالى , p 47-50. Decret (F ), *Carthage ou l'empire de la mer*, Paris, 1977  
 وكذلك , p 35 Lancel (S ), *Carthage*, Paris, 1992  
2 - راجع , p 11 Decret (F ), *op cit*

المدينة الحديثة التي قد يعود تأسيسها إلى نهاية القرن التاسع قبل المسيح<sup>1</sup>. لكن قرطاج سرعان ما تحولت إلى عاصمة لأقوى إمبراطورية في الحوض الغربي لل المتوسط إذ لم يخضع الكنعانيون السواحل فحسب بل توسعوا منذ القرن الرابع قبل المسيح في دداخل «إفريقيا» لحاجتهم الشديدة لأراضيها الخصبة و الصالحة للفلاحة مثل سهول مجردة و وادي مليان و «السهول الكبرى» و سهول الوطن القبلي و الساحل، لذلك سيطرت قرطاج على السواحل و على الداخل، فكانت لها دائرة ترابية تسمى بالإغريقية «كُركي»، هذا التوجه المبكر نحو سهول البلاد التونسية الخصبة قد يكون من بين الأسباب التي أخرت سقوط قرطاج خاصة إذا ما علمنا أن حبوب مجردة و زيتين الساحل عوضت قرطاج ما خسرته بعد حروبها ضد روما، سهول صقلية اثر معاهدة 241 قبل المسيح و سردينيا خلال «حرب المرتزقة» و الأندلس اثر معاهدة 201 قبل المسيح<sup>2</sup>.

### **قرطاج بين النوميديين و الرومان**

لقد كانت الرغبة في السيطرة على أراضي إفريقيا السبب الرئيسي لذلك التحالف بين مَسِنْسان ، و روما في حربها ضد قرطاج لأن الملك النوميدي الجديد كان يسعى إلى توسيع مملكته ، فكان له ذلك بعد هزيمة قرطاج في الحرب الثانية بين روما و قرطاج (البونية) و إثر معاهدة 201 قبل المسيح<sup>3</sup>، لكن مَسِنْسان كانت له أهداف أوسع تتجاوز مجرد استعادة أراضي أجداده، لذلك قد يكون من المفيد أن نعود قليلا إلى السنوات التي سبقت اندلاع الحرب البونية الثالثة و الأخيرة. فقد جاء في بعض المصادر أن مَسِنْسان كان يخطط للاستيلاء على أراضي قرطاج الخصبة و أن روما كانت على علم بنوایا

1 - نفس المرجع، ص 53

2 - اظر

p 106-107 Decret (F )/Fantar (M ), *L'Afrique du Nord dans l'antiquité*, Paris, 1981

3 - نفس المرجع، ص 106 و التي يعدها

حليفها بل كانت تشجعه بطريقة غير مباشرة لأنها لم تذكر هذا الملك الطموح بضرورة احترام بنود معااهدة 201 قبل المسيح، لأن سياسة الاممalaة كانت تُخفى إستراتيجية واضحة المعالم تقضي بأن يقع تجويع سكان الإمبراطورية القرطاجية *يترك مَسِينسان* يستولي على حبوب البلاد لكن دون أن يؤول الأمر إلى سقوط «الفلاحة القرطاجية» في يده. تفطنت قرطاج لأبعاد هذا المخطط وأيقنت أن روما لم تلعب دور «ال وسيط النزيف» في صراعها ضد مَسِينسان لأن كل المؤشرات تؤكد أن الرومان كانوا يتحينون الفرصة الملائمة للانقضاض عليها، و تجلّى ذلك بوضوح عندما لخص قاطون<sup>2</sup> الذي زار قرطاج في سنة 153 قبل المسيح حقده الدفين وكراه الرومان الشديد لقرطاج في قوله الشهيرة: «*فاتُسْحَقْ قَرْطَاجَ*»<sup>3</sup>، ولم يلعب مَسِينسان دور «حصان طُرُوَي (أثروي)<sup>4</sup>» فحسب بل أبتلع سهول مجرد السفل و وادي مليان بعد أن استولى على بلاد مكث و «السهول الكبرى» و هو يعلم كما تعلم روما أن قرطاج لن تقبل بذلك. و اندلعت الحرب بين الخصمين، و اتخذت منها روما ذريعة لإنزال جيوشها في الأراضي القرطاجية و كان ذلك سنة 149 قبل المسيح و شرعت في تطبيق خطة تدمير قرطاج و حموا ثراها من المجال المتوسطي، فكان اقتحام أسوار المدينة سنة 146 قبل المسيح فسقط الميناء في بداية التدمير ثم تلت الساحة العمومية فالأخياء السكانية المجاورة و في الأخير حصن *پِرْصَا* بعد صمود دام ستة أيام، و بسقوط الحصن هوت قرطاج و أمر الرومان بحرقها و ذر الملح على أرضها و *حُجَّر السكن* فيها أو حتى إعادة إعمارها، و أعلنت قرطاج أرضا محَرَّمة<sup>5</sup>.

١ - أظر

p 47-50 Heurgon (J ), " l'agronomie carthaginois Magon et ses traducteurs en latin et en Grec", CRAI, 1976, p p 441-456

(Cato) - 2

*Delenda est Carthago* - 3

*Trete* - 4

5 - المحجوب (عثار)، ولاية إغريقيا إلى نهاية العهد السوري (146 ق م - 235 م)، تونس، 2001، ص 57

تأسست على أنقاض قرطاج مقاطعة «إفريقيا» أو لنكون دقيقين على أنقاض ما تركه ميسنسان ، بعد أن اقطع الملك النوميدي و طيلة 40 سنة تقريبا، بين 152 و 193 قبل المسيح، سواحلها الجنوبيّة الشرقيّة من لبدة<sup>١</sup> إلى هنّشير طينة<sup>٢</sup> جنوب صفاقس ، و بلاد مكثر و التل العالي و باجة و جندوبة و بوسالم ، وقدرت مساحة المقاطعة الرومانية بين 20000 و 25000 كلم<sup>٣</sup> وهي تقريبا مساحة الشمال الشرقي للبلاد التونسية حاليا، لتمتد من مصب الوادي الكبير، على بعد 4 كلم عن طبرقة<sup>٤</sup> في اتجاه الجنوب الشرقي صوب جبل فكيرين إلى هنّشير طينة، حوالي 12 كلم جنوب غرب صفاقس ، و حلّت أويتقة<sup>٥</sup> محل قرطاج فاحتضنت مقر الحاكم الروماني الجديد و جالية إيطالية قدرت بحوالي 300 ، جلهم من التجار، كانت مهمتهم الرئيسية تدبير الشؤون الاقتصادية للتركة الكنعانية خاصة و أن ما تبقى من «الجثة»، على حد تعبير مُسسان، أصبحت «ملكاً لعموم الشعب الروماني». أمر «اسقييون آيميلياوس» بحفر خندق يحيط بالمقاطعة الرومانية عُرف «بالخندق الملكي»<sup>٦</sup> الذي كان له دور خطير قد يكون استعصى على ميسنسان فك رموزه في حين أن روما كانت تعى جيدا خطورة نجاحات هذا الملك في بعث فلاحة متطرفة في مملكته بفضل «تزابوج» العلوم القرطاجية مع الخبرات اللّوبيّة القديمة، كما خبرت عجز السكان الكنعانيين على ردع حليفها التقليدي و توقيف زحفه نحو ما تبقى من «دائرة قرطاج التراية»، لذلك كان حفر هذا «الخندق الملكي» بمثابة الرسالة إلى ميسنسان و ورثة حكمه من بعد تحذيرهم من عواقب عدم احترام حدود «إفريقيا»، متكلّمات روما الجديدة و مطمورها في المستقبل. على أن ميسنسان لم يكن هاجس روما الوحيد، ذلك أنّ عديد العراقل كانت تعيق

---

(Lepcis Magna)	- 1
(Thaenae)	- 2
(Thabraca)	- 3
(Utica)	- 4
(Regia Fossa)	- 5

---

مشروع «المطمور» لعل أهمها الأستقراطية الإيطالية، فالظاهر أن مشكل استغلال هذا المطمور في عهد «الجمهورية» كان يكمن في عدم قدرة روما على رفع قرار التحجير والتحريم عن ميسنستان، لكن السبب الباطن يكمن في قرار رفض التجار وال فلاحين الكبار في إيطاليا وأسبانيا لمشروع روما خشية مزاحمة الفلاحة القرطاجية. كل هذه الأسباب والعوامل قد تكون دفعت روما إلى التريث قبل تتنفيذ خطة الاستعماز الزراعي إلى أن تجد «الجمهورية» حلولاً بكل هذه المشاكل.

### الرومان يحتلوا إفريقيا

لقد حافظت أستقراطيات المدن السبعة التي خانت قرطاج على أراضيها وفي مقدمتها أستقراطيو أوتيقا في الشمال وحضرموت في الساحل، أما ما تبقى من الأراضي فقد أصبحت «أرضاً فلاحية عمومية» للشعب الروماني<sup>1</sup> تتكون من الأراضي التي حافظ أصحابها على استغلالهم لها مقابل دفع ضريبة عقارية سنوية على الأرض تسمى باللاتينية «ستيبنديوم»<sup>2</sup>، وأراض عادت إلى التوميديين، وأخرى كانت ملك حكام قرطاج وأثريائهما. استحوذ الرومان في بداية الأمر على هذا الصنف الأخير من الأراضي لتُفرَط فيه فيما بعد إما بالبيع إلى النبلاء والأثرياء، أو عن طريق التسويغ للسكان المحليين، كما قامت روما، وقد يكون ذلك بعيد سقوط قرطاج ، بتقسيم أراضي «إفريقيا» إلى مربعات تبلغ مساحة المربع الواحد خمسين هكتار تقريباً ومن غير المستبعد أن تكون عملية قيس ومسح الأراضي المحتلة لغايات جبائية أكثر منها لأسباب استيطانية لأن بداية التفكير في بعث مستوطنات بالمقاطعة الرومانية كان مع محاولات الآخرين «غراقوس»<sup>3</sup> بين 134 و 121 قبل المسيح، محاولة «تبريوس» الأولى التي باعه بالفشل، وبعد مرور عقد من

(Ager publicus) - 1

(Stipendium) - 2

(Carus و Tiberius Gracchus) - 3

الزمن تقريباً، وتحديداً في سنة 123 قبل المسيح وبمقتضى «قانون روبيا»<sup>١</sup>، تم بعث أول مستوطنة في قرطاج بلغ عدد سكانها ستة آلاف مستوطن حيث تحصل كل مستوطن على قطعة أرض ما بين أربعين و خمسين هكتاراً. لكن «المحافظين» في روما وهم الذين يعرف بالأوينتاس<sup>٢</sup> أجهضوا أول محاولة استيطانية رومانية حيث تم تفكيك المستوطنة سنة 121 قبل المسيح، و برر المعارضون ذلك أنَّ الآلهة لم تستجب لرفع التحرير بعد، و من المرجح أن يكون المستوطنون حافظوا على ملكيتهم للأرض، لكن ما هو ثابت أنَّ البعض الآخر فضل بيعها للأثرياء مما أدى إلى ميلاد «الملكيات الرومانية الكبرى»، و بروز كبار الملاكين، كما تمت مكافأة المحاربين الذين انتصروا مع قائدتهم «قاييوس ماريوس» على يوغرطان سنة 105 قبل المسيح بأن منحتهم روما أراضي في منطقة بوسالم و جندوبة و تيبار<sup>٣</sup> قدرت مساحة القطعة الواحدة بخمس و عشرين هكتاراً.

### افريقيا خري روها

لكن كيف نفسر هذه الحصيلة المزيلة «الاستعمار الزراعي الروماني» طيلة قرن كامل؟ هل سببه رغبة مجلس الشيوخ الروماني و خاصة «الأوينتاس» في الحصول على الموارد الجبائية على حساب مشروع الاستيطان؟ أم العراقل التي أوجدها الأرستقراطية التجارية و الزراعية الإيطالية «لتهميش» الفلاحية القرطاجية؟ يبدو أن سكان «القرى» حافظوا على ولاتهم لقرطاج، أم يقل القديس «أوغسطينوس» أن الفلاحين في قرطاج حينما يُسألون عن أصولهم كانوا يقولون إنهم كنעניون كما يبدو أن المستوطنين الجدد وجدوا صعوبات كبيرة في الاستقرار في وسط معاد لهم. غير أنَّ سياسة الاستيطان والاستعمار الزراعي سوف تعرف مرحلة جديدة بعد حصول انقلاب على مستوى هرم

(Lex Rubria) - 1

(Optimtes) - 2

(Thibaris) - 3

السلطة بِرُوما بعد أن تحول نظام الحكم مع يوليوس قيصر و «أكتافيوس» من نظام «جمهوري» إلى «إمبراطوري» وكان ذلك في سنة 27 قبل المسيح، ويمكن القول إن استكمال تشييد مطمور روما كان زمن حكم يُوبَا الأول الذي أساء اختيار حليفه في الحرب الأهلية التي دارت بين أنصار «بومبيوس» و «يوليوس قيصر» التي انتهت بانتصار قيصر على «بومبيوس» وأتباعه بعد معركة رأس ديماس<sup>١</sup> الخامسة سنة 46 قبل المسيح، فاستولى حاكم روما الجديد على مملكة يُوبَا الأول<sup>٢</sup> الذي فضل الانتحار، وأحدثت مقاطعة أطلق عليها اسم «إفريقيا الجديدة» كانت سيكا، فيها يجد عاصمتها. لقد كان هدف يوليوس قيصر من وراء هذا التوسيع العسكري إعادة إحياء مشروع «الاستعمار الزراعي» خاصة بعد أن تم الاستيلاء على أراضي ورثة مَسِينَسان في شرق نوميديا، ورغم اغتياله المفاجئ في 15 مارس 44 قبل المسيح، فإن المشروع تواصل مع خلفه أكتافيوس.

لقد حول «أكتافيوس» نظام الحكم من النظام الجمهوري إلى الإمبراطوري بأن أسند له السيناتورس لقب أُوغُستُوس<sup>٣</sup> و لُقب بالقيصر و كذلك الإمبراطور وبعث نظام «الأولية في الحكم»<sup>٤</sup>. كانت أولى التائج أن تم توحيد مقاطعة «إفريقيا القديمة»<sup>٥</sup> و «إفريقيا الجديدة»<sup>٦</sup> تحت اسم مقاطعة «إفريقيا البروْقُنْصِلِية»<sup>٧</sup>. حكم هذه المقاطعة وإلي برتبة «بروْقُنْصل»<sup>٨</sup>، يعنيه السيناتورس و مقره قرطاج عوضا عن أوتيقا، حليفه روما في الحرب القرطاجية الرومانية الثالثة.

---

(Thapsus)	- 1
(Juba 1er)	- 2
(Augustus)	- 3
(Principatus)	- 4
(Africa Vetus)	- 5
(Africa Nova)	- 6
(Africa proconsularis)	- 7
(Proconsul)	- 8

لقد أعاد «أوغسطينوس» بذلك جمع أشلاء تلك «الجثة الهاامدة» عندما استولى على كل سهول بلاد الحبوب، فعمل حتى قبل حصوله على لقب الإمبراطور على إحياء مستوطنة قرطاج التي أصبحت مهيأة لقبول ثلاثة آلاف مستوطن بالتوازي مع تطبيق مشروع يوليوس قيصر في بعث مستوطنات ساحلية في قربه وقلبيها ونابل وبتررت ومستوطنات في الداخل في الكاف ووذنه<sup>1</sup> وطبرية ورادس، لكن روما وإن تخلصت من الملوك التوميديين فإن استكمال تشييد مطمورها كانت تهدده قبائل الرحل القادمة من الجنوب.

### مقاومة البدو والرحل

طرحت مسألة التحكم في حركة البدو والرحل عديد المشاكل أمام السلط المركزية المتعاقبة حتى قبل الاحتلال الروماني، فالبدو وشبه الرحل يرون أن رحلة الصيف من السبابيس إلى «افريقيّة» أمر حيوي وأنّ منعهم من ذلك يعني الرغبة في القضاء عليهم، فقد بادر ميسان من قبل إلى وضع قلّاع لمنع مرورهم عبر منافذ الظهرية نحو التل العالي. أما الرومان فقد شددوا المراقبة عليهم بل واعتبروهم من «المشاغبين» خاصة قبائل الجيتول، لكنهم سعوا في نفس الوقت إلى توطينهم وتحويلهم إلى مجموعات زراعية مستقرة، إلى أن قررَ «أوغسطوس» الشروع في تنفيذ خطة التحكم في الجنوب فكان تأسيس ثكنة حيدرة في منطقة السبابيس العليا قرب الحدود الجزائرية لتكون مقرًا «للجيش الثالث الأوغسطي» من خلالها يسهل على الحكماء الجدد السيطرة على الصحراء التونسية وإخضاعها، وكان لهم ذلك في عهد «ترايانوس»<sup>2</sup> 117-89 قبل المسيح عندما تم ربط ثلاث مدن رئيسية هي حيدرة وقفصة وقابس بطريق إستراتيجية، وبعث نظام مراقبة متكون من قلّاع وختنادق وأبراج مراقبة أطلق عليه اسم لِماس<sup>3</sup> ، يمر بين سطوط الجنيد وأقصى شمال

(Uthina) - 1

(Trajanus) - 2

(Limes) - 3

## العرق الشرقي الكبير.

لكن الأرياف التونسية سوف تعرف تحولاً كبيراً مع قبائل الوندان القادمة من الدنمرك مروراً ببلاد الغال والمغرب والجزائر بعد أن استقرت في أول الأمر في «وندانوسيا» (المجنوب الأسباني)<sup>١</sup>، لكن زعيمهم «جينسيريك» قرر في سنة 429 بعد المسيح عبور أعمدة هرقل بنحو ثمانين ألف وندالي لأنه كان يرغب في دخول «إفريقيا الرومانية» والاستقرار بها، فاستولى أولاً على بلاد موريطانيا السطيفية<sup>٢</sup> وبلاد نوميديا<sup>٣</sup> سنة 435 بعد المسيح لتسقط قرطاج سنة 439 و المقاطعات الثلاث «البروونفصلية»<sup>٤</sup> و «البيزاقينية»<sup>٥</sup> و «الطرابلسية»<sup>٦</sup>. لقد سقط مطمور روما بعد مرور خمسة قرون على تشييده، واستولى «جينسيريك» وحاشيته على أخصب الأراضي التي كانت ملكاً للعرش الإمبراطوري و لكبار الملوك، لكن في المقابل تحرر أهلي أرياف السبابس والجنوب حين مكثهم من حق استغلال أراضيهم مقابل دفع ضرائب غير جائزة. و ابتهج الرُّحل لأندحار الرومان وراء البحر أولئك الذين حرمونهم من الانتجاج و جعلوا الصحراء القاسية محشداً لهم. و بعد وفاة جينسيريك تفتت الحكم المركزي من جديد فظهرت ممالك بكل من قفصة و جبال السبابس و فتحت بلاد الزياتين أمام قبائل الفراشيين و لواتة ليعودوا من جديد إلى موطن انتجاجهم القديم، و أمام عجز ورثة «جينسيريك» على التصدي لتقدم البدو نحو الوسط التونسي بعد أن سقط «ليهاس» روما و طريق حيدرة-قفصة-قبس و تحرر الزَّراع من وطأة الجباية و الاستغلال، قرر كبار التجار و الفلاحين الأفارقة اللجوء إلى «يوستينيانوس»

(*Vandalusia*) - ١

(*Mauretania Sitifensis*) - ٢

(*Numidia*) - ٣

(*Proconsularis*) - ٤

(*Byzacena*) - ٥

(*Tripolitana*) - ٦

لاسترجاع إفريقية تحت شعار إحياء «مجد روما»، فلبي الإمبراطور البيزنطي النداء وأرسل قائد جيشه «بليزار»<sup>1</sup> سنة 533 الذي نزل بالساحل التونسي ودخل إلى قرطاج فأصبحت إفريقية مطمور القسطنطينية، لكن فشل البيزنطيون، أو الروم كما يسميهم العرب، في الحفاظ على وحدة البلاد الترابية فعمت الفوضى السياسية من جديد وتزامن ذلك مع احتدام الصراعات المذهبية داخل الكنيسة المسيحية فكانت النتيجة أن بايع الأفارقة البطريرق «قريقريوس»<sup>2</sup>، أو جرجير كما تسميه العرب، إمبراطوراً على إفريقية إلى أن أطاح به الفاخون العرب<sup>3</sup> في سنة 647 قرب سيطة.<sup>4</sup>

---

(Belisaire) - 1  
(Gregorius) - 2

- 3 - ابن عبد الحكم (أبو القاسم)، فتوح مصر وأهارها، ليدن-بريل، 1920، ص 183  
(Sufetula) - 4

# زهان الفتح

## السكان يفعّلون الأرض للعرب

قبل أن نخوض في مسألة فتح العرب لأفريقيا نود أن نقدم الملاحظات التالية: الملاحظة الأولى تتعلق باستخدام مصطلح «فتح»، فالعديد من المؤرخين يرفضون استعمال هذه العبارة و يبررون ذلك بضرورة التحليل «بالموضوعية التاريخية»، و يرون أن الفتوحات هي شكل من أشكال الاستعمار والاحتلال لا غير، و هو موقف قد يكون وجيهاً، لكن و من باب «الموضوعية» كذلك قد يكون من المفيد القبول بالفكرة القائلة أن توسيع العرب في إطار ما أطلق عليه لفظ الفتوح لا يشبه التوسيع القرطاجي أو الروماني أو البيزنطي، زد على ذلك فإن الفتح هي الكلمة مصدرية قبل كل شيء تستعمل كما يستعمل البعض مصطلح «السلم الروماني»<sup>١</sup> أو مصطلح «الكولونيالي»، لذلك وبما أن استعمال مصطلح «السلم الروماني» ممكن فلِمَ لا نقبل بمصطلح الفتوحات، كما لا ينبغي أن نغفل على الحقيقة التالية و هي أنَّ العرب أنفسهم كانوا يُقْرُّون أن العديد من الفاتحين انخرطوا في الفتح لأطهاع مادية. أما الملاحظة الثانية فتتعلق بمسألة «صعوبة» فتح المغرب حيث دأب العديد من الباحثين على تقديم بعض التفاسير مثل مقاومة البربر الشديدة للفتح أو انعكاسات الحرب الأهلية الأولى و التي أضعفت السلطة المركزية في الحجاز قد يكون من الأجرد تفسير ذلك بِيُعد

(Pax Romana) - 1

بيت الخلافة عن ساحة المعارك، لذلك لا ينبغي أن نقارن بين فتوح «الشرق» وفتح «الغرب»، فعندما فتح العرب المجال السَّاسَاني ومقاطعات بيزنطة الشرقية كانت الخلافة قريبة من ساحة العمليات، سواء بالمدينة في الحجاز أو الكوفة في العراق أو دمشق في الشام، في حين أنَّ أقرب قاعدة خلفية للمقاتلة عند فتح المغرب كانت مصر، ثم لو قبلنا بمقارنة حركة الفتوح بالتوسيع الروماني فإنَّ الرومان لم ينجحوا في احتلال المغرب إلا بعد مضي أكثر من قرن ، في حين أن الفتح العربي استغرق تقريرياً نصف قرن. و أما الملاحظة الثالثة فتعلق بحركة الفتوح العربية فالثابت أنها لم تكن حركة «اعتباطية» حكمتها رغبة جامحة في الهجرة بعد أن لفظت صحراء «الجزيرة العربية» سكانها الساميين في آخر هجرة سامية، بل كانت حركة منظمة خضعت لـ«استراتيجية واضحة المعالم».

لقد بدأ التفكير في فتح إفريقيا منذ خلافة عثمان بن عفان و ولاده معاوية بن أبي سفيان على دمشق، و منذ اندلاع الحرب الأهلية الأولى سعى معاوية إلى تأمين الأموال لأهل دمشق قاعدة حكمه بعد أن أصبح الجناح الشرقي للخلافة تحت سيطرة على بن أبي طالب. لكن ينبغي أن نعود قليلاً إلى زمن خلافة عثمان بن عفان وبعد أن وطَّد عمرو بن العاص الحكم لدولة المدينة بالحجاز و تم إحداث قاعدة الفسطاط و السيطرة على برقة، قام عبد الله بن أبي سرح بأول حملة استطلاعية في سنة 27 هـ / 647 م انطلاقاً من طرابلس، فرُحِّف على قصور قسطنطيلية و هزم «إمبراطور» إفريقياً جرجير، فكانت أول معركة بين الروم و العرب في إفريقيا، رفض خالقاً الروم التخلُّي عن حياة «المطمور» مقابل تركهم بلاد المُرْأَق و الصحراء و الاحتماء بالبحر و بالظهيرية. في المقابل يبدو أنه تَمَّ شبه تفاهم بين أمير الجيش عبد الله بن أبي سرح و القبائل و الزُّرَاع ينصُّ على أن يجتمع العرب الغنائم شريطة أن يعودوا إلى مصر.

## بستان آل أمية وآل العباس

و بعد مرور سبعة سنوات قاد معاوية بن حَدَيْج حملة ثانية انطلاقاً من الفسطاط هدفها الاقتراب أكثر من شرق بلاد المُزَاق مجال الزياتين لتأسيس أول قاعدة في إفريقيا في سنة 45هـ / 665م انطلقت منها المقاتلة لفتح كامل المغرب فكان الاختيار على بلاد قُمُونية بالقيروان و منها انطلقت الحملات خاصة غزوة عبد الله بن الزبير الذي اقترب من بحر الروم بعد أن دخل سوسة، وغزوة عبد الملك بن مروان الذي دخل جُنُولاء. لكن تدعيم الدور الاستراتيجي لعسكر القيروان كان مع تعين عقبة بن نافع الذي سيطر في سنة 50هـ / 670 على بلاد المُزَاق وأرسل الجيش لفتح كامل المغرب. ولما توطّد الحكم لبني أمية إثر انتهاء الحرب الأهلية الثانية في الحجاز، فكر الحُكَّام الجدد في إعادة السيطرة على المغرب عبر الاستيلاء أولاً على كامل إفريقيا، فكُلِّفَ حسان بن النعمان الغساني بذلك ونزل بإفريقيا في سنة 76هـ / 695م، ونجح في إعادة السيطرة أولاً على بلاد المُزَاق لتجتاز بعد ذلك جيوشه الدفاعات الجنوبيّة والمتّصلة في الحواجز الطبيعية للظهرية، وأصبح طريق قُرطاج بذلك مفتوحاً، وسقوط قُرطاج في 79 للهجرة / 698م فُتحت «البرُوقُنصلية» وسقط «المطمور» في أيدي العرب. لقد كان العرب يخسرون من سيطرة الروم على الواجهة البحريّة لإفريقيا هذا ما قد يُفسّر مباغته قبائل جبال الأوراس لهم من الغرب بزعامة الكاهنة ملكة قبائل زناته البدوية التي سحقت جيوش حسان بن النعمان وطردته من بلاد المُزَاق وبلاد الجريد وقَابُس ودحرته إلى بَرْقة، ولم يسترد العرب سيطرتهم نهائياً على إفريقيا إلا في سنة 85هـ / 705م فأصبحت القيروان من جديد إلى القاعدة الرئيسيّة لفتح كامل المغرب. حافظ العرب في البداية على وحدة أراضي إفريقيا عندما أحذثوا توازنًا بين بلدان إفريقيا الثلاث، «إفريقيَّة» وبلاد المُزَاق وبلاد الجريد فقد أدى استقرار العرب في القيروان إلى فتح بلاد المُزَاق من جديد أمام قبائل الجنوب وإليها،

ونتج عن طرد الروم من فرطاج والتصدي لخطر قبائل زناتة البدوية الحفاظ على «السهول الكبرى» وسهول بلاد مكثراً وسليانة و مجردة و وادي مليان، لكن المعنى الجديد تمثل في عدم استغلال المطمور القديم لحساب سلطة مركزية خارج إفريقيا، إذ الخلافة الأموية في دمشق لم تكن في حاجة كبيرة للحبوب إفريقياً، خاصة وأن سهول إيران والعراق والشام ومصر كانت تزودها بالحبوب والمنتجات الفلاحية الأخرى لكن في المقابل ارتبط مصير المطمور نسبياً ب مصر التي كان لها دور كبير في فتح إفريقيا.

وفيما يتعلّق بخصوصية نظام الأرض في إفريقيا في صدر الإسلام، قد يكون من المفيد العودة إلى نظام الأرض في الشرق و تتبع تطوره في القرنين الأول والثاني للهجرة ليسهل علينا فهمه. لقد ارتبطت قضية تملك الأرض في الإسلام بالفتورات وكانت البداية مع الرسول و رغم أنها لم تتجاوز حدود الجزيرة العربية فإنها كانت كافية لوضع نظام جديد للأرض، فقسمت إلى أرض دخل أهلها الإسلام<sup>١</sup>، وأخرى فتحت عنوة حيث جرى عليها حكم الغنيمة، والأراضي التي بقى أهلها على دينهم يُمنحون حق استغلالها وأجري عليها حكم الفيء<sup>٢</sup>. لكن نظام الرسول لم يعد يتناسب والديناميكية الجديدة للفتوحات فاجتهد عمر بأن سَنَ قوانين مثلت منعراجا خطيراً في نظام الأراضي المفتوحة حيث رفض تقسيم الأراضي المفتوحة بين الفاتحين رغم معارضته شق كير منهم، واستثنى من الغنائم وبقيت في أيدي أصحابها شريطة دفع ضريبة الخراج والجزية التي تعود إلى بيت مال المسلمين<sup>٣</sup>. و عمل

١ - أنظر سن أبي داود، تحقيق محمد عبّاد عذا حميد، القاهرة، ١٩٥١-١٩٥٠، ح ٤، ص ٢٦٢، ابن سلام (أبو عبيد)، كتاب الأموال، تحقيق حليل محمد هراس، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٢٨٢، أبو يوسف (يعقوب)، كتاب الخراج، بيروت، ١٩٧٩، ص ٦٥

٢ - أبو يوسف، نفس المصدر، ص ٢٣

٣ - ابن سلام، نفس المصدر، ص ٦٧-٦٣؛ والملاوري (أبو الحسن)، فتح البلدان، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٣٢ و ٤٩ و ٥٤ و ٩٢، و ابن هشام (أبو محمد)، السيرة السوية، تحقيق مصطفى الستاوي وإبراهيم الأباري وعد الخطيب الشلي، القاهرة، ح ٣، ص ١٩١، والقرشي (بيهقي بن آدم)، كتاب الخراج، تحقيق أبو الأشغال أحمد محمد شاكر، بيروت، ١٩٧٩، ص ٣٦، والطيري (محمد بن حرير)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٣، ح ٣، ص ١٣٩ و ١٦٥

المسلمين «بالقوانين العُمرية» عند فتح العراق وإيران والشام ومصر، وأصبحت الأراضي المفتوحة عنوة أو صلحاً ملكاً للأمة الإسلامية، في حين استصفى أراضي كسرى وحاشيته وجعلها خالصة لبيت المال وعرفت بالصوافي. التزم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب «بالقوانين العُمرية»<sup>١</sup>، لكن الأحوال تبدلت مع بني أمية عندما اتسع مجال الدولة الإسلامية، فلم يعد من الممكن مواصلة تطبيق سُنة الرسول وقوانين عمر دون إدخال تحويلات وتعديلات خاصة مسألة العمل بقانون تحرير تقسيم الأرض المفتوحة، ولئن حافظ الأمويون على الملكية العامة، فإن الملكية الكبرى الخاصة اتسعت بعد أن سمحت الخلافة باقتطاع أجزاء من أراضي الصوافي وأرض الخراج عن طريق الهبات والشراء<sup>٢</sup>. قد يكون تطور نظام الأرض ونتائجها هو الذي دفعنا إلى تقديم الافتراض التالي، وهو أن العرب وعندما استكملوا فتح إفريقيا كانوا أمامهم نظام يشجع على الملكيات الخاصة الكبرى فطبقوا ذلك على أراضٍ كانت تابعة «للtag البيزنطي» وأخرى تابعة للكنيسة والطبقة الحاكمة الموالية للسلطة السياسية، وأراضٍ قدماء المحاربين وبعض الروم، وأراضٍ الأفارق<sup>٣</sup>. وأصبح التَّصْرُف فيها على نحو تعود الأرضي فيه التابعة للروم المهزومين والأفارق إلى الخلافة الإسلامية بدمشق لكن يتصرف فيها الوالي لأموي ويخدمها الزَّرَاع مقابل دفع ضريبة الخراج والجزية، أما أراضي القبائل فقد اعتبرت عشرية، أي تدفع ضريبة العشر لأن أهلها أسلموا عليها، وأما الأرض التي فتحت صلحاً فقد حافظ أهلها عليها وعلى مسيحيتهم لكن مقابل دفع الخراج والجزية. ومن غير المستبعد أن يكون الفاتحون قد استحوذوا على جزء كبير من أرض الغنيمة باعتبار أن الخلافة الأموية كانت تُشجع على الملكية الخاصة وعلى استقرار العرب، الذين تحولوا إلى عرب

١ - اطهري، مص المتصدر، ج ٤، ص ٢٤٥، والقرشي، مص المتصدر، ص ٢٢ والتي بعدها

٢ - ليغوري (أحمد)، تاريخ، بيروت، ١٩٦٠، ج ٢، ص ٢٣٣ والتي بعدها

٣ - س. حادي (عمر)، "بعض المعرفات الاهتمام في أوصاع الملكيات الزراعية إفريقية"، دراسات تاريخية، السنة ١٣، العددان ٤٢ و ٤٤، أيلول-كانون الأول، ١٩٩٢، ص ٨٣-٨٤

إفريقية تجلت نزعتهم الانفصالية بوضوح بعد سقوط الخلافة الأموية سنة 132 هـ / 750، غير أن نزعة كبار الملوك إلى «الاستقلال» اقترنت طيلة العصر الوسيط بعدم القدرة على ضمان وحدة إفريقية التراثية، لذلك كانوا يلجأون دائمًا إلى «الآخر» ويفضلون «الحماية» أو «الوصاية»، لعل البداية كانت مع عبد الرحمن بن حبيب الذي خطاب الخليفة المنصور بالقول: «إفريقية اليوم إسلامية كلها، وقد انقطع السبي منها»<sup>1</sup>، هذا الرد كان يعبر إلى حد كبير عن مواقف كبار الملوك الذين أصبحوا يمثلون «أرستقراطية إفريقية» والتي انبثق من صلبها إبراهيم بن الأغلب، مؤسس الدولة الأغلبية.

### المخزن الأغلبي

لقد تبنى إبراهيم بن الأغلب سياسة المراحل عندما طالب في البداية أن تتمتع إفريقية بوضعية خاصة وأن يُورث الحكم داخل بني الأغلب دون أن تتدخل بغداد في ذلك لكن في المقابل عليه الالتزام بالولاء والطاعة لبني العباس بالعراق. لقد كانت صياغة ذكية للمطالبة «بالاستقلال» الداخلي وفي نفس الوقت التمتع «بالحماية» في حال تعرض الإمارة لخطر خارجي<sup>2</sup>، لأن العباسين وحدهم كانوا قادرين على «حماية» إفريقية من خطر الروم وأموبي الأندلس ودوبيات الخوارج والشيعة. هذه المعادلة السياسية الجديدة كان لها الدور الكبير في التحكم في الأرياف في القرن الثالث للهجرة رغم تعدد الثورات، التي نجح الأغالبة في القضاء عليها دون الحاجة لتدخل حكام بغداد، و من بين هذه الثورات يمكن أن نذكر ثورة 209 هـ / 824 التي تزعمها منصور الطُّنْبُوِي، و هو من كبار الملوك العقاريين بمنطقة تونس ، استطاع زيادة الله (201-232 هـ / 838-817) القضاء عليها، ثورة 280 هـ في عهد إبراهيم الثاني الذي عمد إلى كسر شوكة الأرستقراطية

1 - المحامي (الحبيب)، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب، بيروت، 1986، ص 25

2 - الطالبي (محمد)، الدولة الأغلبية (296-800 / 184-909) التاريخ السياسي، فقهاء إلى العربية المسيحي الصيادي، بيروت، 1985، ص 118-131

العقارية بحرمانها من عبدها و خيلها، وقد شملت هذه الثورة مناطق تونس وببلاد باجة و الوطن القبلي و الكاف و انخرط فيها أهالي بلاد المزاق، و نجح إبراهيم الثاني في القضاء عليها و السيطرة من جديد على سهول الحبوب و موانئ تصديرها. قد تكون الخلافة العباسية وراء اندلاع هذه الثورات لكن الأكيد أن بطش الأغالبة بالأرستقراطية العقارية، بسبب عهديتها لسلطتها على أرياف إفريقيا، دفع عرب إفريقيا إلى قبول الدعوة الفاطمية في وقت لم تعد فيه خلافة العباسية قادرة على إرسال الجيوش فكان استيلاء قبيلة كتامة على قفصة و الأربُّس و القيروان التي فر منها آخر أمير أغلبي هو زيادة الله الثالث، و دخل أبو عبد الله الشيعي رَقَادَة سنة 296 هـ / 909 م و تمت البعثة في نفس السنة لعبد الله المهدي ، فأصبحت إفريقيا فاطمية<sup>1</sup>.

### **الشيعة يطلبون إفريقيا**

لقد اعتقد الأهالي في أول الأمر أن نهاية الحكم الأغلبي يعني سقوط المغارم، لكنهم سرعان ما تفطنوا إلى أن النظام المالي الفاطمي كان أكثر تعسفاً من سلفه بعد أن عَدَّل حكام القيروان الجدد الأرض عبر مسح وقياس جديد للأراضي، كانت الغاية منه سن مغرب جديد سُمي التقسيط كما فرضت على أرياف إفريقيا ضريبة نقدية جديدة يدفعها كل فرد<sup>2</sup>. لقد أضرت هذه الإجراءات بفلاحة إفريقيا لأنها كانت تدرج في إطار مشروع سياسي أشمل يقضي بالتحضير لخطة القضاء على بني العباس لكن نجاحها يتطلب توفر الأموال فَسُخِّرت أرياف إفريقيا لذلك و هذا ما قد يفسر نظرية حكام المهدية لإفريقيا التي لم تكن سوى محطة عبور نحو المشرق فلم يشعروا يوماً بالانتهاء إلى هذه الأرض، و تجلّى ذلك بوضوح من خلال تأسيسهم المهدية التي كانت تشبه السفينة العملاقة تتطلع الإذن بالإبحار إلى قاهرة المعز و كان

1 - المحاجي، نفس المرجع، ص 59

2 - بر حمادي (عمر)، نفس المرجع، ص 95

ذلك سنة 362هـ/. لكنهم تركوا عمالاً لهم من أخلص حلفائهم في حربرهم ضد صاحب الحمار زعيم الخوارج. تمسك بنو زيري الصنهاجيون في البداية بتبعيتهم لحكام مصر عبر مواصلة قوانين المالية الفاطمية مع أنها لم تكن تخدم مصالح إفريقيا بقدر ما كانت تخدم مصالح الشيعة في مصر، لكنهم انقلبوا عليهم فيها بعد فدخلت الأرياف عهود «الحماية» و«الاستقلال» تتخلله فترات استطاعت فيها الأرياف التحرر من سلط المخزن وحلفائه.

### **الأعواب «يحررون» إفريقيا**

يرى العديد من الباحثين أنّ زحف بني هلال مثل أهم منعرج في تاريخ إفريقيا الوسيط، لكن وقبل الخوض في خلفيات هذا الزحف ونتائجها، نرى لزاماً علينا إبداء بعض الملاحظات حول ما ذكره بعض المستشرقين من أنّ الزحف الاهلاكي على إفريقيا مثل «الكارثة الكبرى» و استند في هذا الرأي على ما أورده كل من ابن عذاري و ابن الأثير و ابن خلدون<sup>1</sup>. فمن المفيد التذكير قبل كل شيء بأن دخول البدو إلى المزارع والذى قد يكون أثر سلباً في الزراعة والغرس في إفريقيا كان قبل قدم بني هلال، كما أن الحروب والثورات السابقة لهذه الهجرة والتي أثرت سلباً في فلاحة إفريقيا ونخص بالذكر حروب قرطاج وروما، وقرطاج ومسينسان، والوندان والروم، والعرب وزناته حين أحرقت الكاهنة الزراعة والغرس حسب ما جاء في بعض المصادر، أضاف إلى ذلك تالي الثورات منذ عهد الولادة. كما أنه من غير المقبول أن نغفل عن مسألة الضرائب الجائرة المسلطة على سكان الأرياف ودورها في

1 - يقول أصحاب الطريقة التقليدية أن هجرة بني هلال وهي سليم إلى إفريقيا كانت العاية منه تأديساً سيء ويرى بعد قرارهم الانفصال عن الحلة العاطمية، ومن رواد هذه الطريقة يمكن أن يذكر Idris Marcais(G ), *Les Arabes en Bérérie du XI<sup>e</sup> au XIV<sup>e</sup> siècle*, Paris, 1913

(H R ), *La Berbérie orientale sous les Zirides aux Xe-XIIIe siècles*, Paris, 1962  
و خاصة مقاله Idris(H R ), "l'invasion hilienne et ses conséquences", *Cahiers de civilisation médiévale*, 11, 1968, p 353-71  
هذه الحملة بوسبي أنطون دعموس (راضي)، "العوامل الاقتصادية لهجرة بني هلال، مجلة أوراق، عدد 4، 1981، ص 147-163

إرغام الزراعة على الهجرة وترك أراضيهم بوراً. لكل هذه الاعتبارات قد يكون من الموضوعي عدم تحميم قبائل بنى هلال وبني سليم مسؤولية «الكارثة» بل قد لا ينبع إذا ما وصلنا إلى التسليمة التالية وهي أن قرار الزراعة فتح إفريقية للقادمين الجدد كان الهدف منه الإفلات من الضرائب السلطانية على أراضيهم وعلى رقابهم التي فرضها المخزن عبر مختلف العصور في قرطاج، والقيروان، والمهديّة. وخير دليل على ذلك حادثة إحراق ديوان الخراج في القيروان وإياب الفاطميين إلى رقادة بسبب تلك السياسة الجبائية القاهرة للأهالي.

تنتهي قبائل بنى هلال وبني سليم إلى الفرع المصري القيسى، وكان موطنها قبل الإسلام «الجزيرة العربية»، بنجد والجاز، وكانت تتنقل بين البصرة ومكة ويشرب بحثاً عن المراعي لإبلها ومواشيها وكان ذلك بحد السيف أحياناً لذلك كان رجالها من أبرز أبطال «أيام العرب»، في حين كان بنو سليم يقيمون بشرب وقرب خير واحتضروا بتربية الخيل. ثم انتقلوا في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في سنة 109 للهجرة إلى مصر فاشتغلوا كجمالين بين الفسطاط والبحر الأحمر، وانتشروا في العهد العباسي في الشام والعراق ومصر فاختصوا بغارتهم المتتالية على قوافل الحجاج المتوجهة إلى مكة. ومع انتصار الفاطميين في القاهرة قرر الخليفة العزيز بالله تهجير بنى هلال وبني سليم قسراً إلى الصعيد المصري وكان ذلك سنة 368 هـ / 978 ، لكنّ الفاطميين لم يستطعوا فرض إخضاع هذه القبائل في فترة تأزمت فيها الأوضاع في مصر وانقطعت موارد إفريقية بسبب قرار المعز بن باديس الانفصال، فانطلقت «تغريبة» بنى هلال في القرن الخامس من الهجرة<sup>١</sup> ولم يتعدّ عدد أفراد المُهَجِّرين مائتي ألف و كان ذلك عبر موجات متتالية. لم تتحدث المصادر عن صدام في البداية بين بنى المعز و مؤنس بن يحيى الرياحي أمير رياح أحد أبرز فروع بنى هلال، لكن سرعان ما تبدلت الأمور إلى

١ - دعوس (رامي)، مسن المرجع

حرب بين بني زيري و رياح، كانت معركتها الفاصلة حيدران، جبل بين صَفَاقُسْ و قَابُسْ، في سنة 443 هـ / 1052<sup>1</sup> أدت إلى فتح بلاد المُرَاقِّ أمام رياح و دخول القิروان سنة 449 هـ / 1057 بعد أن هرب الصَّنْهَاجِيُون إلى عاصمة الفاطميين المهدية. استغل سكان المدن الفرصة للإعلان عن «استقلالهم»، فانقسمت البلاد إلى عديد الإمارات، في سنة 449 هـ / 1058 إمارة بني الورد بصفاقس و عاصمتها بنترت، إمارة بني خراسان بتونس حوالي سنة 450 هـ / 1058 سيطرت على سهول مجردة السفل و بلاد باجة و حبوبها، إمارة بُرْغَاطَة بصفاقس سنة 451 هـ / 1059، إمارة بني جامع بقابس سنة 489 هـ / 1095، إمارة بني الرند في الجنوب الغربي بقفصة، و كادت سواحل إفريقية الجنوبيَّة أن تسقط تحت سيطرة أحد ماليك صلاح الدين الأيوبي و هو شرف الدين قراقوش<sup>2</sup>، في حين انحصر نفوذ بني زيري في المهدية، وفي هذه الأثناء ازدادت الأوضاع سوءاً عندما تعرضت إفريقية لغزو قادم من البحر تمثل في احتلال النورمان جُرْبَة سنة 530 هـ / 1135 و المهدية في سنة 543 هـ / 1148 فانهارت السلطة المركزية بعد القضاء على بني زيري. فكان الحل هو الاستنجاد من جديد «بالآخر» بعد أن قطعت أوصال البلاد، و يبدو أن الأرستقراطية العقارية و التجارية هي من شجعت على طلب «الحماية» من الموحدين لفك الحصار التُّرماني عن الموانئ و التمكّن من استئناف تجارة الحبوب و الزيت و استعادة الهيمنة بعد أن أعادتها دخول البدو.

1 - إدريس (المادي روحاني)، الدولة الصهاجية، ترجمة إلى العربية حمادي الساحلي، بيروت، 1992، ج 1، ص 254

2 - برشيفيك (روبار)، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ترجمة إلى العربية حمادي الساحلي، بيروت، 1988، ج 1، ص

# زنان الاستعمار

تحت حماية مصمودة

قامت الدولة الموحدية على أنقاض الدولة المرابطية في قبائل مصمودة بجبل درن بعد أن تم الاستيلاء في عهد عبد المؤمن بن علي الكومي على مراكش، فكانت السيطرة على المغرب الأوسط سنة 548 هـ / 1152 و التي مكنت بين 554 و 555 هـ المعروفة بسنة الأحساس من طرد التُورْمان وإجلائهم عن سواحل إفريقيا. و تم إلزام رياح الطاعة للسلطة المركزية بمراكش و واليها يأفريقية كي تتوحد البلاد من جديد. لكن إفريقيا سوف تعرف ثالث سلسلة من القوانين الزراعية في التاريخ الوسيط بعد القوانين العُمرية و الفاطمية حين أمر عبد المؤمن بالقيام بمسح جديد للأراضي، عبر «تكسير بلاد إفريقيا طولاً و عرضاً»، يقوم على التمييز بين ما هو صالح للزراعة وما هو غير صالح، و تقدير ما يمكن أن يحصل من الأرض الصالحة حبوباً وأموالاً فلتلزم كل قبيلة «بقطتها من الزَّرع و الورق» و يكون توزيع هذه القيمة على القبائل على حسب قسطها و أن تكون الضريبة الجديدة جماعية لا فردية<sup>1</sup>. وافتَّاكَ الموحدون أراضيبني زيري و اعتبروها ملكاً للدولة لأنها فتحت عنوة تستخلص منها ضريبة الخراج. على أن هذا النظام المالي الجديد كان يستهدف القضاء على خطر قبائل البدو العربية خاصة «رياح» التي انفردت برئاسةبني هلال و استقرت بسهول إفريقيا الخصبة، فكان التخطيط لتهجير رياح

1 - بن حادي (عمر)، نفس المرجع، ص 96

وإبعادهم عن المطمور وتم ذلك بعد معركة القرن التي حسمت الصراع وأدت إلى ترحيل رياح خارج إفريقية في اتجاه الغرب لعل جبال المغرب وصحرائها تتبع لهم فتتفرق ريحهم، فَطَهُرَتْ إفريقيَّةً فَبِلَيْاً بَأْنَ تم تعويضبني هلال ببني سليم. لكن الحماية الموحدية لم تدم طويلاً بعد أن خَبَرَ أبو زكرياء يحيى أن التحكم في فلاحة البلاد يعني النجاح في الاستقلال عن مراكش<sup>1</sup>، وكان الجهر بذلك سنة 634 هـ / 1236 ، بعد أن علم الحكم الجديد أن الدولة الموحدية لم تعد قادرة على التدخل في فترة تزايد فيها تململ الأهلي من شدة وطأة الفرائب المسلطة عليهم بعد «تسخير» الموحدين لأرضهم.

### عاصمة الخلافة الإسلامية

توطد الحكم للحفصيين مع المستنصر بالله لتحول من دولة إلى خلافة بعد سقوط الخلافة الموحدية في مراكش واحتضار حكم بنى العباس بسبب المغول. أصبحت إفريقيَّة في العهد الحفصي قادرة على المحافظة على وحدة أراضيها والتصدي للغزاة وتجلى ذلك في إفشال الحملة الصليبية الثامنة التيقادها لويس التاسع على تونس سنة 669 هـ / 1270 ، لكن في هذه الأثناء تفطن المخزن إلى ضرورة التخلٰي عن القيروان لصالح حاضرة جديدة تسهل عليهم السيطرة على محاصيل الحبوب ومناطق تصديره، فكان الاختيار على تونس حيث استطاع المخزن انطلاقاً منها التحكم في أراضي «افريقيَّة»، بعد أن تخلصوا أولاً من بني رياح بعد استجلاب بنى سليم في سنة 630 هـ / 1232 . كما انتهج المخزن سياسة «فرق تسد» لكسر شوكة القبائل الأخرى وإخضاعها لتونس بمنع القبائل الموالية له مكانة كبيرة على حساب القبائل المعارضة فبرز دور القبائل المخزنية، وحرصن الحفصيون على قمع أي محاولة للانفصال في مدن الجنوب الرئيسية مثل قفصة وقابس. لقد كان

Chérif (M H ), *Pouvoir et société dans la Tunisie de Husayn bin'Ali* 1 - انظر (1705-1740), Tunis, 1984, t 1, p 73

Chapoutot-Remadı (M ) Tunis, in *Grandes villes méditerranéennes du monde musulman médiéval*, Ecole française de Rome, 200, p p235-262, p235

الهدف من وراء السيطرة على الأرياف تأمين الموارد الرئيسية للمخزن الحفصي عبر ضمان استخلاص الجباية الزراعية، لكن هذه الضرائب لم تكن شديدة الوطأة كما كان الأمر من قبل نتيجة وجود موارد أخرى متناثرة من الجهاد البحري، لذلك من غير المستبعد أن يكون «البحر» خفف من آلام «البر». لكن هذا المسكن لم يكن ليعالج نهائياً أوجاع الأرياف لأنّ البحر الأبيض المتوسط سوف يشهد صراعاً شديداً بين حُوضَيْه، بين دار ملك التركمان في إسطنبول ودار ملك الإسبان في غرناطة وكانت إفريقية من بين مجالات الاحتلال التركي - الإسباني ، هذه التحولات أجبرت المخزن الحفصي على العودة من جديد إلى قهر الأرياف بإثقال كاهل السكان بالضرائب واغتصاب الأراضي بعد أن تقلصت مداخليل البحر لهذه الأسباب فلجماً الملاكون الكبار إلى حيلة التخسيس و جأ المخزن من جديد إلى الحل الخارجي بأن سمح السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد (899-932/1494-1556) لخير الدين بربُّوس و عرُوج من تحويل جريمة إلى قاعدة للأتراك لكن ما أن طالب الأتراك بامتلاك كامل إفريقية حتى استعان السلطان الحفصي الحسن (932-950هـ/1526-1543) بالحماية الإسبانية فكانت غزوة شارل الخامس لإفريقية سنة 942هـ/1535 أدت إلى اضطراب أحوال البلاد بعد أن «ارتدى» المخزن الحفصي. هذا التحالف الحفصي الإسباني هيأ الأرضية لقبول الحماية التركية من جديد، ولمجاهدة مطالبة الأهللي بقبول الحماية التركية قرر السلطان أحمد (950-978هـ/1543-1569) الاستنجدان من جديد بالإسبان الذين احتلوا تونس سنة 980هـ/1572 بعد حملة علّج على<sup>1</sup>، وفي سنة 982هـ/1574 قاد سنان باشا حملة جديدة تمكن على إثرها من طرد بالإسبان و حَوَّل إفريقية إلى إيدالة عثمانية.

### **تونس تحت الحماية التركية**

يبدو أن «الخل الإسلامي» لعب الدور الكبير في قبول أهالي إفريقية الحماية التركية و رفض الوجود الإسباني المسيحي فقد تجلت مساندة السكان

1 - انظر Chéref (M H ), op cit , t 1, p 73

للأتراك قبل وقعة حلق الوادي عندما ساند أهالي الجنوب دَرْغُوث باشا لدخول قَفْصَة سنة 1556 و ساند أهالي الوسط عسكر الخلافة العثمانية ليدخلوا القிரوان. لقد تحولت إفريقيَّة إلى مقاطعة تركية كان سنان باشا قد أحرقها بالباب العالي في استانبول، وأصبحت وجَّهاً عثمانيَاً يرأسه بَايِلْزِيَّا ي برتبة باشا يتلقى الأوامر من الأستانة ويساعده قائد عسكري برتبة آغا يقود الإنكشارية، التي تراوح عددها بين ثلاثة وأربعة آلاف، كما يساعد الباسا مجلس يتكون من الضباط السامين. انحصر مجال المخزن الجديد في البداية في الحاضرة تونس حيث يرابط معظم العسكر و يبلغ عدده ألفين تقريباً مع وجود محلَّة يقودها بَايٌ كانت تجوب البلاد في الصيف نحو حاضرة «افريقيَّة» بِاجَّة وفي الشتاء صوب القிரوان حاضرة بلاد الزيترين، ومنها إلى الجنوب، لكن محلَّة الأتراك وإلى غاية الثلث الأولى من القرن السابع عشر، لم تدخل في صراع مع القبائل المسيطرة على دواخل البلاد التونسية<sup>1</sup>. لم تخضع إفريقيَّة طويلاً للحكم العثماني المباشر بعد أن خطط ضباط صغار للانقلاب على الديوان، فكان لهم ذلك في يوم الجمعة 18 أكتوبر 1591 فقد على أثرها الباشا دوره كوال للمدينة و لحساب الدايات حُكَّام تونس الجدد<sup>2</sup>. كان عثمان ذَائِي (1595-1610) أولهم اعتمد على قائد عسكر البر برتبة باي و قائد عسكر البحر برتبة قبطان، لكن قائد البحر كانت له الحظوة الأكثر، إلى حدود منتصف القرن السابع عشر بسبب ما يَدُرُّه البحر عليهم من موارد في إطار ما عرف بالقرصنة<sup>3</sup> بعد أن انتعشت حركة الجهاد البحري في فترة انشغلت فيها أوروبا بحروبها الطويلة مما جعل الأرياف تعيش فترة سلم جبائية. لكن الأحوال تبدلت عندما فرض الباب العالي على أتراك تونس إبرام معاهدات مع فرنسا ، ولشن أجبرت معاهدات ما بعد سنة 1605 أتراك القصبة على

1 - انظر Bachrouch (T), *Formation Sociale Barbaresque et Pouvoir à Tunis* Tunis, 1977, p 63

2 - عد إلى t 1 p 74 Chérif (M H ), op cit

3 - تختلف كلبا عن معنى «الصُّوصِيَّة»

عدم التعرض للسفن الفرنسية فإنها شَرّعت خفية وضع يد الأجنبي على حبوب «افريشة»، لذلك فإنه من غير المستبعد أن يكون تصدير الحبوب إلى فرنسا من بين الأسباب التي دفعت الديايات إلى السيطرة على الأرياف وذلك منذ حكم يوسف داي (1610-1637) واسطا مراد (1640-1637)، فكانت الحاجة مُلِحَّة لخبرة قائد البر لكن النتيجة كانت وهن الديايات في مرحلة أولى منذ حكم أحد خوجة (1647-1640) لسقوط «جمهوريتهم» لصالح الباي.

### مقاومة الاحتلال التركي

احتكر المراديون، وهم من أصل ملوكى، وظيفة باي المحلة الجبائية و كان مراد كُورُسو، و هو من أصل كرسىكي (توفي سنة 1632) مؤسسها ، لكن ابنه حمودة باشا (1631-1666) هو الذي نجح في إخضاع كامل البلاد لمركز الحكم في بازدُو فتوّط الحكم لهم مع مراد الثاني (1666-1675). عمل المراديون على إخضاع الأرياف وكانت الخطة تقضي أولا بكسر شوكة القبائل التي كانت ترفض دفع الضرائب لحكام تونس الجدد، فكانت تهرب إلى طرابلس تارة وتارة أخرى إلى الجزائر مما يُسبب في الحرروب بين الإيالات العثمانية في الغرب. كان أولاد شنُوف بالكاف أول ضحايا هذه السياسة الداخلية، و السبب كذلك في اندلاع الحرب بين الجزائر وتونس، بعد أن نجح المراديون في كسر شوكة هذه القبيلة بين سنة 1636 و 1637 فاستسلمت القبائل الأخرى مثل أولاد بليل و جبالية عَمْدُون، ثم جاء دور أولاد سعيد في الجنوب، وهم الذين عرفوا برفضهم للخضوع للمخزن منذ الفترة الحفصية، فكان تدمير الحامة سنة 1636 لتسهيل السيطرة بعد ذلك على الجبالية و رُغمة في جفارة سنة 1637 و مطحاطة سنة 1638، ثم كان إخضاع الحناشة في سنة 1644 بعد معركة واد سرات. وللحافظة على هذه المكاسب اهتم المراديون بالمؤسسة العسكرية بالعمل على توفير مداخل قارة

للجيش وبعث ثكنات عسكرية في شمال الظهرية بباجة والكاف، وفي الوسط بالقيروان، ومراكيز ثانوية بالحامة ومطماطة، وإحياء مؤسسة القبائل المخزنية من خلال تقريب قبائل الدرييد، كما كانت الاستعانة بكتائب الصبابنجية في تونس وباجة والكاف، وكذلك عسكر زواوة<sup>1</sup>. لكن الحقبة المرادية انتهت بطريقة درامية بعد أن نجح ضابط تركي ويدعى إبراهيم الشريف في قتل مراد الثالث في جوان 1702، غير أن حكمه لم يدم طويلاً ذلك أن الأرياف تخلت عنه في حرية ضد عسكر الجزائر فسقط في الأسر في شهر جويلية من سنة 1705، و اختارت البلاد أحد «الكراغلة»، الذي كان كاهية إبراهيم الشريف، حسين بن علي الذي ولد بتونس من أب أعجمي وأم عربية من قبيلة شارن بجهة الكاف وقد نجح هذا الأخير في كسب مساندة الأهالي في حرية ضد الجزائر بعد أن تمكّن من إجلاء عسكر الإيالة الغربية ليتحصل على فرمان التنصيب الرسمي من استانبول. حرص حسين بن علي على مواصلة التجربة المرادية المتمثلة في إخضاع الأرياف لسلطة المخزن وإعادة تنشيط دور القبائل المخزنية مثل المرازيقية من همامه وأولاد يعقوب ودرید، لكن المخزن سوف يعرف أخطر حرب أهلية عرفتها تونس في التاريخ الحديث (بين 1728 و 1756) عندما ثار علي باشا على عمه حسين بن علي ولجأ إلى جبل وسلام في فيفري 1728، فانقسمت البلاد إلى شقين، الشق الباشي ضمن في الشمال والوسط قبائل السواسي وأولاد سعيد وأولاد عيار والوينفة والفرائش وマجر و المثاليث، والشق الحسيني ضمن قبائل درید وهمامة و جلاص و نفات، أما في الجنوب فكان صفت شداد الموالي للشق الباشي يضم قبائل حازم والغراربة والخمارنة، و صفت يوسف الموالي لشق الحسيني يضم قبائل ورغمة والوداونة و عگارة وأولاد يعقوب والمرازيق<sup>2</sup>. ولم يتم هذا الصراع إلا بمقتل حسين بن علي بالقيروان في ماي 1740 ليتولى غريميه

1 - نفس المرجع، ج 1، ص 90

2 - المحجوري (علي)، انتصارات الحياة العرسية بتونس، تونس، 1986، ص 15 والتي بعدها

السياسي على باشا الحكم، لكن عسكراً جزائرياً قرروا إتماء الحقبة الباشية وكان ذلك سنة 1756 بعد أن نصبوا أبناء حسين بن علي في الحكم. عرفت الفلاحة التونسية في عهد حمودة باشا (1782-1814) انتعاشه محدودة في الزمن<sup>1</sup>، لكن ما أن انتهت الحروب الأوروبية حتى دخلت الإيالة التونسية مرحلة جديدة تميزت بتغلغل الرأسمال الأوروبي كانت من نتائجها المباشرة تعرض تونس إلى ضغوطات شديدة أجبرتها على إلغاء القرصنة سنة 1813 وصياغة دستور بين سنتي 1857 و 1861 و لئن كانت لهذا الدستور إيجابيات عديدة فإن سلبياته كانت أخطر لأنّه مكن الأوروبيين من حق امتلاك الأراضي تزامناً مع تزايد اهتمام أوروبا بمحبوب «افريقيا» و خاصة زيتين الوسط. لكن فرنسا كانت تحظى قبل الدول الاستعمارية الأخرى لاحتلال الأرض التونسية، تحت شعار الحرية.

### **الأتراك يطلبون الحماية الفرنسية**

عندما احتلت فرنسا كامل البلاد التونسية ونجحت في إبرام معاهدات مع الباي ففتح لها أرض البلاد، بعد أن استحوذت شركاتها من قبل على عديد الضياع في كل من وادي الزرقاء والنفيضة وسيدي ثابت والعزيز والمناقية ومرناق وتيار. وعندما اتبعت فرنسا سياسة الاستعمار الاستيطاني حرصت أولاً على أن لا تعيد التجربة الجزائرية وثانياً على توفير ظروف استقرار المعمرين الأوروبيين، خاصة الفرنسيين منهم. فكان لا بد من تنظيم الملكية العقارية لخدمة مصلحة المعمرون وخاصة ضمان عقود ملكية واضحة لا لبس فيها. فصدر أمر من الباي بتاريخ 1 جويلية 1884 يقضي بتأسيس لجنة تتولى وضع قانون عقاري جديد للبلاد التونسية، و أُسندت رئاسة اللجنة إلى الوزير المقيم. و صدر القانون العقاري الجديد و الذي عرف بقانون

---

1 - عرفت الفلاحة انتعاشه كبيرة في هذه الفترة، انظر التبموي (المادي)، الاستعمار الرأسالي و التشكيلات الاختياعية مقابل الرأسالية، تونس، 1999، ج 1، ص 121

1 جويلية 1885<sup>1</sup>، و وضعه المقيم العام بول كامبيون لتلبية رغبة الشركات والمعمرين وكل الراغبين في شراء الأراضي. و تمثل هذا القانون في حماية الملكية بوجود قانون تسجيل يتمثل في وضع رسم تملك تسجله مصالح دفتر خانة تحتفظ فيه بالأصل و تسلم نسخة منه تسمى الرسم الأزرق. ولضمان تطبيق القوانين العقارية تم بعث مصلحة حفظ الملاية العقارية التي عهدت إليها تحرير عقود الملكية و مسک الدفاتر العقارية، و مصلحة قيس الأراضي المكلفة بمسح و تحديد الأراضي التي سيقع تسجيلها. و بعد طمأنة رؤوس الأموال و الشركات والمعمرين على أملاكهم لم يبق أمام المستعمر غير تسخير الأرضي لهم، فكانت الغنية الأرضي المحبسة عندما وجدت فرنسا الشغرة في عقد «الإنزال» فأولته لصالح خطتها الاستعمارية الزراعية. فأمرت الباي بإصدار قرارين في 18 أوت و 21 أكتوبر 1885 يضبطان طريقة تنظيم الإنزال في الأرض المحبسة من إيراد ثابت و أبيدي إلى إيراد ينخضع للمزاد العلني.<sup>2</sup> كما أسست فرنسا إدارة عامة للفلاحية يسرّت للمعمرين الاستحواذ على أراضي البيليك، و أراضي الغابات، و أراضي الموات. و أحدثت مؤسسات لحماية مصالح المستوطنين مثل جمعية الدفاع عن مصالح المعمرين و الندوة الشُّورية سنة 1890. غير أن هذه الإجراءات أدت إلى عمليات مضاربة كبيرة كادت تقضي على خطط الاستعمار في توطين المعمرين بالبلاد التونسية في إطار ما عرف بالاستعمار الزراعي عن طريق الخواص و دامت بين 1881 إلى 1892. كان المعمرون غير راضين على سياسة بلدتهم الزراعية في تونس، فالحضور الفرنسي في الأرياف التونسية، مقارنة بالحضور الإيطالي، لم يحول الأرض التونسية إلى أرض فرنسية. فكانت المطالبة بإدخال تعديلات جذرية على الاستعمار الزراعي، تكون لصالح الفرنسيين. و في هذا الإطار يندرج بعث «شركة الضيعات الفرنسية بالبلاد التونسية سنة 1898». فكان

1 - المحجوب (علي)، مس المرجع، ص 129

2 - مس المرجع، ص 132

الاستيلاء على أراضي الأحباس، لتحول أراضي العروش القبلية في الوسط والجنوب وبعض مناطق الشمال الغربي بداية من 1901 إلى ما يشبه ملك الدولة في شكل «عقلة». غير أن الأراضي التي سخرت للفرنسيين كان أغلبها في منطقة الشمال في بلاد الحبوب وبلاد الكروم والقوارص. وبذلك استحوذ الفرنسيون على 305 ألف هكتار في الشمال وفي الوسط والجنوب 243.750 ألف هكتار.



## بعد الاستقلال

لم تكن مسألة الأرياف التونسية في بداية الأمر مدرجة في عمل الحركة الوطنية، وقد يعود ذلك إلى النزعة الأرستقراطية المدينية لبعض عناصرها، وهذا ما قد يفسر أيضا نزعة اللامبالاة تجاه مشاكل الأرياف. والحقيقة أن المستعمر عمل على التعرف على هموم أهل الريف قصد التغلغل في هذا المجال. فقد اهتمت الجامعة الاشتراكية، والتجمع الاشتراكي و النقابي الشوري بوضع العامل الزراعي، وتشكلت «لجنة لتطوير الفلاحة الأهلية» بمقتضى أمر 13 ماي 1911، كان هدفها الاتصال المباشر بسكان الأرياف، من ملاكين عقاريين و فلاحين متواطنين و صغار و عمال زراعيين، وحتى الرعاة. فازداد اهتمام الحركة الوطنية بالفلاحة التونسية، خاصة بعد أزمة الثلاثينيات. فقد أسست النقابة الصناعية للفلاحين التونسيين، في أبريل 1933، نقابة للفلاحين، وفي يوم 16 سبتمبر 1945 أسس الحزب الشيوعي «جامعة الفلاحين المنتجين» بالوطن القبلي والساحل، وكان يطالب بتوزيع أراضي الدولة و الشركات الكبرى على صغار الفلاحين و العمال و الحماسة، واهتم «الاتحاد التونسي للشغل» بقضية الفلاحة التونسية. أما الحزب الحر الدستوري الجديد، و الذي تأسس في مارس 1934، فقد بعث للوجود منظمة فلاحية تابعة له سماها «الاتحاد العام للفلاحة التونسية» و كان ذلك في أكتوبر من سنة 1948.<sup>1</sup> لكن هذا الاتحاد سيعرف فيما بعد أزمة خطيرة

1 - اليمومي (المادي) نس س المرح، ح<sup>2</sup>، ص 266

عندما اندلعت الأزمة بين اليوسفية وبورقيبة، فساند الاتحاد العام للفلاحات التونسية شق صالح بن يوسف، واعتبر الاستقلال الداخلي 3 جوان 1955 مجرد خطوة إلى الوراء، في حين ساند الاتحاد العام التونسي للشغل شق بورقيبة، فكان ميلاد منظمة نقابية فلاجية جديدة في القروان، في يوم 2 ديسمبر 1955، حملت اسم «الاتحاد القومي للمزارعين التونسيين».

وفي سنة 1956 وصل شق بورقيبة في الحزب الحر الدستوري الجديد إلى السلطة، فبادرت أول حكومة تونسية مستقلة إلى ضم قرابة 150 ألف هكتار من الأراضي العامة إلى أملاك الدولة بمقتضى قانون 2 مارس 1956، وألغت الأراضي الخاصة وأراضي الزوايا بمقتضى قانون 18 جويلية 1957. وبموجب قانون 28 سبتمبر 1957 حلت أراضي العروش القبلية بجهتي الوسط والجنوب التونسي و التي كانت تمتد قبل 1956 أكثر من ثلاثة ملايين هكتار. وبداية من سنة 1962 خاضت الدولة التونسية تجربة التعااضد بتوصية من صندوق النقد الدولي، وتشجيع من الولايات المتحدة الأمريكية<sup>1</sup>، وتبني الاتحاد العام التونسي للشغل هذه التجربة، بما أنه كان يتبني سياسة التخطيط.

ولتشجيع التونسيين على قبول سياسية التعااضد، بين الحبيب بورقيبة في خطاب له ألقاه ببورصة الشغل في يوم 25 ماي 1962 وذلك بمناسبة افتتاح مؤتمر التعااضد، سبب نهيج سياسية التعااضد، فقال: «حرست كل المحرص على الحضور بنفسه في جلسة افتتاح مؤتمر التعااضد والإشراف على اجتماعكم هذا، رغبة مني في أن أبرز للشعب التونسي أهمية التعااضد وفوائده... ويرجع حرصي الشديد على حضور جلسة افتتاح هذا المؤتمر، زيادة على أهمية فكرة التعااضد، إلى سبب آخر، وهو ما أشاهده دائمًا من خيبة المشاريع التعااضدية وفشلها نتيجة سوء فهم الكثير من المواطنين حقيقة التعااضد و مراميه. وربما يرجع ذلك أيضًا إلى تفاسير الجهات الحكومية في عهد الحماية أو بعد

<sup>1</sup> - من المراجع، ج 2، ص 289

زواها بقليل، عن إعطاء هذا الموضوع ما يستحقه من الأهمية، وإلى ضروب من سوء التصرف والإدارة. ولقائل أن يقول أليس التزايد المستمر لعدد التعااضديات دليلاً على الازدهار والنجاح؟ لكن العبرة ليست في كمية التعااضديات، إنما هي في النظرة الصحيحة إليها... تلك هي الثورة التي أنسدتها، والانقلاب الذي أرجوه... وقد زالت نظرية إطلاق الحرية الفردية بمعناه المتقدم، وأصبحت الدولة بها تSense من قوانين، و ما تملكه من حق الضرر، صاحبة الحق في إصلاح الخطأ، و مقاومة الأنانية، و توجيه الناس نحو المصالح البعيدة المرمى، ولم يبق أحد يتمسك في العصر الذي نعيشه بترك الخيل على الغارب احتراماً لحرية الفرد، و اعتراضاً بما له من كرامة بشرية... كان الاندماج قدّيماً ينبع إلى تسديد الضروريات المحدودة فحسب و كان الأمر جارياً على قاعدة إنتاج ما يستهلك، واستهلاك ما يتبع، وبهذه الوسائل يمكن لأصحاب الضيائير الخالية، و الذين لا يخشون الله، أن يستثمروا بمتهمي الجشع عرق جبين إخوانهم في البشرية، بدون شفقة و لا رحمة. وهناك طائفة أخرى تمثل موقعاً استراتيجياً آخر، لا يقل أهمية عن الموقع الأول، وهي طائفة الوسطاء الذي يملكون وحدتهم التصرف في الطريق الرابط بين المتاج و المستهلك، و بسبب ذلك في معاش الناس و أقواتهم. والوسيل الواقف في أبواب الأسواق يمكنه فرض الأسعار التي يحددها للشراء و البيع أو تعريض البضاعة للفساد، و هذه الإمكانيات التي توفرت له بفضل رأس ماله الضخم تجعله لا يأنه لفساد البضاعة... و يصير هدفاً للتحكم و الظلم و الخسارة، كما أن المستهلك لا يسعه إلا الرضاء بما يفرضه الوسيط من أثيان... إنكم تتذكرون و ما بالعهد من القدم ما نشأ في أسواقنا التونسية إبان موسم إنتاج الطاططم و البرتقال و غيرهما من الخضروات و الغلال، وكيف تحكم الوسطاء تحكمّاً مبنياً على التعسف و سوء التصرف في استعمال الحق، أدى إلى استئثار الوسيط (المهّاط) بربح لم يحصل عليه المتاج نفسه الذي بات

يرضى من الغنية بالإياب... و إن أتعجب فأعجب لؤلئك الذين يسكنون الأعشاشآلافا و عشراتآلاف من الناس، وهم عاطلون، و لأولئك الذين يملكونآلاف المكتارات من الأرض المهملة، فهم كالعيلة التي تعطل الدورة الدموية في الجسم. وإذا كان موقف بعضهم مبنيا على مجرد الكسل و البخل و سوء التقدير، فمن الأكيد مقاومة هذه العوامل، و إرشاد الضال إلى سواء السبيل... و من هنا تولدت فكرة التعاون و التعااضد و هي فكرة تبرز فيها مزية جمع الجهد المترافق، و توسيع نطاق الأعمال، مما يسمح للفلاحين مثلا بادخار البذر، و توزيعه في الموسم على المعااضدين، أو بشراء آلات الحراثة و الحصاد، و بتربية البقر الحلوب، كل ذلك في جو من التعاون الصادق. و الأخوة المكينة و الثقة المتبادلة يُساعد على تنمية الإنتاج، و توفير الازدهار للجميع... هناك مسألة أخرى لا بد من التحدث عنها و هي تعااضديات الإنتاج الزراعي فقد قوبلت بشيء من التهرب و التمسك بالملكية الفردية و حرية التصرف، و نحن و إن كنا ندخل حق الملكية و التصرف حسابنا، إلا أنه يجب أن لا يكون هذا التصرف أشبه ما يكون بخطط العشواء، فالمجتمع لا يستطيع أن يضمن حرية التصرف إذا كانت لا تتحقق حاجته الأكيدة إلى استئثار كل شبر من الأرض التونسية على الوجه الأكمل. إنك إذا استعملت حريةتك للتصرف في المكتارات الخمس التي تملكها تصرفا فاقسا فإن للدولة التي تمثل المصلحة العامة أن تناقشك الحساب، و أن توجهك إلى الطريقة التي تجعل تلك المكتارات تتبع ألفا عوض مائة، و ليس لك الحق، في هذه الصورة، أن تمنع الدولة من هذا التدخل بدعوى أنك حر فيها تملك، و أنك مكتف بالمائة و لا حاجة لك بالألف. ذلك لأن الدولة تمثل الأمة التي تتوقف حياتها على استغلال كل شبر من الأرض استغلالا كاملا. فإذا أصررت على أنك مكتف بالمائة كان على الدولة أن تخرجك من قطعة الأرض التي تملكها و تجردك من حقك فيها لأن تصرفك كان مضرأ بالمجتمع إذا امتنعت عن

إتباع العرق الكفيلة بتوفير الإنتاج، وقصرت في خدمة الأرض أو خدمتها بصفة منقوصة لم تأت إلا بإنتاج منقوص. إن القانون لا يسمح لك بأن تحرم من الخيرات التي يمكن أن تنتجهما تلك الأرض إذا وقع التصرف بطريقة غير التي اتبعتها أنت. وهكذا عوض أن نفتلك منك تلك القطعة الصغيرة من الأرض نكتفي بأن نطلب منك أن تكون مع إخوانك يدا واحدة، وعندما نقدم لكم المساعدة والتسهيلات التي تحتاجون إليها ويصبح في إمكانكم أن تنتجووا مجتمعين أضعاف ما كتمت تنتجونه متفرقين»<sup>١</sup>.

و كانت أولى نتائج هذه التجربة أن استطاعت البلاد التونسية التخلص نسبياً من مظاهر التبعية لفرنسا، و تحلى بذلك إثر إصدار قانون 12 ماي 1964 ، الذي بمقتضاه تم تأميم ما تبقى من أراضي المعمرين والتي كانت تمسح قرابة 165000 هكتار، فكان الجلاء الزراعي.

١ - بورقية (الحبيب)، في العاشر، كلية الدولة للشؤون الثقافية والأثار، تونس، 1962



**الفصل الثالث**

**أهل الأرض**



# خدمات الأرض

## الملاكون

ينجحه عن امتلاك الأرض تقسيم هرمي للمجتمع: فنجد في القمة طبقة ثرية مكونة من شريحتين، «الشرفاء»<sup>١</sup> و قدماء المحاربين و هم من كبار الملاكون تحصلوا على الأرض مقابل تحالفهم مع السلطة الحاكمة ومن بين الأمثلة: مثال الزعماء المحليين الذين ساعدوا روما في حربها ضد قرطاج؛ أو نتيجة تقلدهم لوظائف سياسية و إدارية و عسكرية فملكو أخصب الأراضي في سهول مجردة<sup>٢</sup>، وفي الفترة الوسيطة كن استغلال صحبة القادة والأمراء والواة من بين سبل امتلاك الأراضي مثل امتلاك مسروق صحبيته موسى بن نصير من أملاك شاسعة حتى إنه ملك قرية حملت اسمه<sup>٣</sup> و تحصل زعماء القبائل على هنأشير بجهة القิروان مقابل ولائهم للحفصيين، و ملك مشايخ الكعوب عديد القرى بالجريدة و بناحية صفاقس و بالشمال، و في الفترة الحديثة ملك حضر المدن بكل من تونس وباجة و الكاف و نابل و القิروان و سوسة و صفاقس عديد الهنأشير مقابل خدماتهم «الجليلة» للبيات.

و ملك قدماء المحاربين الذين شاركوا ماريوس في حربه ضد يوغرطان

---

(Honestiores) - ١

Leveau (PH), L'Afrique du Nord, in *Campagne de Domination romaine*, Paris, 1993, p 155-200, p 185

و راجع كذلك المحجوري (عنتر)، نفس المرجع، ص 134

٣ - انظر Talbi (M), "Droit et économie en Ifriqiya au IIIe siècle", in *Etudes d'histoire Ifriqiyyenne*, Tunis, 1982, p 185-229, p 188

قطعاً صغيرة في كل من جنديه وبوسالم وتيار، وأقطع العرب إبيانة التي كانت تعد ثلاثة وستين قرية لأحد القواد وفي العهد الحفصي منحت الأرض إلى أحد العلوج؛ كما كانت المضاربة العقارية تمكن من امتلاك الأرض حيث اعتاد المقاولون<sup>1</sup> في العهد الروماني شراء أراضي العرش الإمبراطوري وتسويغها.

ومن بين الطرق كذلك للحصول على الأرض يمكن أن نذكر المكانة الدينية فقد ملك أساقفة الكاثوليكية في فترة الإمبراطورية المتأخرة أملاكاً شاسعة وملك أبو محرز (214 للهجرة / 829) قاضي القiroان عديد المنازل وملك سجنون هنأشير كانت المصادر قد أشارت إلى أن مداخيلها بلغت خمسة ديناراً سنوياً وقدرت غلامتها باثنى عشر ألف عود زيتون وتحصل كل من أبي رحمة غيث الحكيمي المتوفي سنة 685 للهجرة وأبو عبد الله محمد بن شبل على عديد الهنأشير.

## الazzاع

ونجد في وسط المهرم طبقة الزُّرَاع<sup>2</sup> التي أصبح من الممكن، وبفضل القائش الأربع التي عشر عليها في هنأشير متيش وعين جماله وعين وسائل وسوق الخميس، من تحديد الملامح العامة لهؤلاء إذ تبيّن أنهم كانوا يخدمون ضياعاً صغيرة تابعة للعرش الإمبراطوري يورثونها أبناءهم شريطة أن لا ينقطع تقديم ثلث الإنتاج إلى صاحب الأرض طيلة موسمين متتالين. وقد ورد في نقاشة هنأشير متيش، الواقع عند نقطة التقاء وادي مجردة برافده وادي سليانة، شمال مدينة دُقَّة ما يلي: «... على كل من يسكن ضيعة ويلاً ما فناً، واستغل حقولها، أن يدفع إلى المُشْرِف على تدبيرها، حصته والمطالب من محاصيل الحبوب والكروم وباقى المحاصيل ، وذلك بمقتضى ما يُنص

(Conductor) - 1  
(Colom) - 2

عليه قانون مانقياتاً. ثلث ما سُلمَ من الخطة إلى الدراسة، و ثلث ما سُلمَ من الشعير إلى الدراسة، و ربع ما سَلَمَهُ من قُول، و ثلث ما جمع من حمر في خوابي لعصير، وكيلة من كل جرة من العسل، وإذا فاق العسل مقدار خمس خوابي لعصير، و كيلة من كل جرة من العصير، و عليه فإنه ينبغي تسليم ما دُبِّر لتهريبه من الضيعة من شهد و تَحْلُل. كما يُسَلِّمُ المُسْتَغْلِل ما جمعه من تين حسب ما سَنَهُ العُرُف قبل صدور قانون مانقياتاً، و إذا سبق الغرس ذلك. وإذا كان الغرس بعد صدور القانون المذكور فإن ثمرة الشجرة تكون من نصيب الزراع بأكملها طيلة خمسة مواسم. بعد ذلك يُسَلِّمُ القسط المطالب به حسب بُنُود قانون مانقياتاً».

## الخامس و المغارسي و المسامي

أما في أسفل المرم فنجد الزراع الذين تحددت مكانتهم بمقتضى عقود الشركات الفلاحية. فنجد المغارسي الذي يقدم العمل و غرس الأشجار بمقتضى عقد بينه وبين صاحب الأرض يقضي بأن يتحصل على نسبة من الأرض والأشجار إذا أثمرت. وقد نجد في المصادر الفقهية محاولات لتقنين هذا العقد فقد جاء على لسان ابن راشد: «دفع فلان لفلان أرضه البيضاء النقيمة التي بموضع كذا، حدودها كذا... على أن يغرسها كذا و يتعاهد ذلك كله باحفر و السقي، فإذا بلغ الأطعام أو إذا علمت الأصول و ارتفعت كل شجرة أو كل نخلة إلى نحو القامة أو ستة أشبار بالشبر الوسطي، فالأرض و الشجر بينهما يقتسمانه أو يقررانه متى شاء، أو يكون العمل عند ذلك فيها على قدر حظوظها مع مغارسة صحيحة دون شرط ولا شيئاً ولا خيار تواصفاها و عرفها قدرها على سنة المسلمين فيها و قول العامل فلان في الأرض المذكورة ليتولى غرسها و العمل فيها، و عليه ما خف من زرب و ثنية مجاريها»<sup>١</sup>.

١ - حسن (عمد)، المدينة والنادرة بأفريقية في العهد الحفصي، تونس، 1999، ج ١، ص 412

وقد درس المعمر الفرنسي بدقة عقد المغارسة لثبيت الاستعماز الزراعي<sup>1</sup>. والمساري الذي يَرُوي الأرض والغرس بمقتضى عقد بينه وبين صاحب الأرض فيتحصل بمقتضى هذه الشركة على قدر من الإنتاج. واشترطت المصادر الفقهية الإسلامية لإبرام هذا العقد المسافة، لا يصح إلا في أصل يشمر أو في الأزهار والورود، أن تكون قبل طيب الشمرة وجواز بيعها، وأن تكون مدة معلوم أن تكون بلفظ المسافة، أن يكون بحيز مشاع مقدر، وأن يكون العمل كله على العامل، ألا يشترط أحدهما الشمرة ولا من غيرها شيئاً معيناً لنفسه، ألا يشترط على العامل عملاً خارجاً من منفعة الشمرة<sup>2</sup>.

والخَمَّاس بمقتضى عقد الخَمَّاس وهو عقد مزارعة على الثلث أو الربع أو الخامس، ففي حال شركة الثلث أو الربع فإن العامل يقدم العمل أو رباعها والماشية وثلث الزراعة، وفي حالة الخامس يُقدم فيها الخَمَّاس «العمل» وخمس الزراعة. وتعتبر الخَمَّاس يافريقياً من أقدم الشركات الزراعية التي تعود جذورها إلى التاريخ القديم، وتواصلت في فترة الخِمَّاسية ليتم إلغاؤها بعد

1 - هذا ما استخلصه (Joseph Chailley-bert) الكاتب العام للاتحاد الاستعماري العربي، حين ذكر<sup>”</sup>

Le contrat de Mrhaça est une variété très lâche du contrat de Khamessa, appliquée à la culture des oliviers, des cactus, des figuiers, des orangers, etc , mais principalement des oliviers En principe, le propriétaire fournit la terre nue à un cultivateur qui s'engage à y planter des oliviers Au bout d'un certain temps la propriété est partagée dans une proportion à déterminer entre les deux parties L'olivier ne rapporte guère avant 10 ou 12 ans L'opération est donc à assez long terme Voici comment elle s'établit dans le Centre et dans le Sud de la Régence, qui sont les parties du pays où le colon rencontrera le plus facilement des terres disponibles Ces terres, l'Etat mes vend 10 francs l'hectare Sur un hectare on ne peut planter, eu égard au faible volume d'eau qui tombe et à la quantité qu'en exige chaque olivier, plus de seize ou de dix-sept oliviers, seize en plantation rectilignes et dix-sept en quinconce Les arbres une fois plantés, il faut que la Mrhaçi vive Dans le Nord de la Régence il pourrait vivre avec le produit des cultures de fèves qu'il fait parmi les oliviers , dans le Sud ces cultures sont moins abondantes et surtout moins régulières, et le Mrhaçi vit principalement des avances que lui fait le propriétaire Quant la plantation est terminée, le propriétaire a dépensé environ 50 francs, et quand les arbres commencent à rapporter, il a dépensé environ 6 à 700 francs Mais cette somme représente pour une grande partie les avances remboursables du Mrhaçi au propriétaire, et, pour s'acquitter, le Mrhaçi abandonne généralement une partie des oliviers qui doivent lui revenir après partage

Tunisie, in Revue générale des sciences pures et appliquées, op cit , p 171

2 - حسن (محمد)، نص المراجع، ج 1، ص 418

الاستغلال. وفي غالب الأحيان يتعرض الخمسة إلى أبغض أنواع الاستغلال، وهذا ما يتجلّى بوضوح فيها بقى مُدَوّناً وشفوياً من جوانب من حياتهم اليومية، فعن اللباس قدم محمد بيرم الخامس الوصف التالي: «قميص ورداء من الصوف يسمى الحرام وبرنس من الصوف، غير أنه يلبس ليساً لأن يدخل الرجل رأسه في الطربوشة، وتارة يقييها على رأسه، وتارة يلقيها إلى ورائه على كتفيه، وهم من مصنوعاتهم، وعلى رؤوسهم شواشي وعِمائم من خيوط أو من وبر الإبل أو صوف الغنم الأسود أو الأحمر، وفي أرجلهم البلقة (الصواب «المدارس»)».<sup>1</sup>

كما نجد أسفل هذه الطبقة الفقيرة العمال الموسميين من بدو وعيبيه، وهم ركيزة الفلاحة التونسية، كانوا محل استغلال شرس منذ التاريخ القديم فقد أخبرنا فيودوروس عن انتفاضة عبيد كادوا أن يدمرروا قرطاج في سنة 396 قبل المسيح، وتواصل هذا الاستغلال في الفترة الأغلبية والفترات اللاحقة إلى أن تم إلغاء العبودية في العصر الحديث.

---

1 - التجممي (محمد الهادي)، نسخ المراجع، ج 1، ص 396



# هُوَطَانُ خَدَامِ الْأَرْضِ

تلعب القرية دوراً رئيسياً في الحفاظ على التناجم بين المدينة والريف، فاستقرار الأوضاع فيها يعني تحكم المدينة في مجدها ومحافظة على وظائفها السياسية والإدارية والاقتصادية، فهي الجسر الذي يربط المدينة بالريف وبدونه تتحول المدينة إلى «جزيرة»، وهي من ثوابت الحياة الريفية في إفريقيا بسبب علاقتها المزدوجة مع المركز الحضري والمحيط البدوي. ولئن كانت القرية تجتمع ريفياً يسكنه أصحاب الضياع الذين يفضلون استغلال أراضيهم مباشرةً، ومستودعاً لوسائل الإنتاج، ومركزاً لاستقرار قوة العمل الزراعية من زراعٍ أحمراء وعيديد وعُمال موسميين، فإن ازدهارها يكسب المدينة القدرة على استغلال أراضيها البعيدة وهذا ما تجلّى بوضوح في الفترة الإمبراطورية العلية وبالتحديد في القرن الثاني بعد المسيح عندما تجاوز عدد المدن والقرى المثاث بعد أن اتسحت الفلاحة الجبال وشارفت السباب و المناطق الصحراوية، وفي الفترة الوسيطة لعبت بعض القرى الزراعية دوراً رئيسياً في حفاظ الحواضر ومدن الأقاليم على مجدها الزراعي البعيد مثل قرى فحص من ناق المحيطة بتونس أو تلك التي أحياها الأندلسيون مثل ستور و سلوقية ومجاز الباب وقريش الواد و طبرية في حوض مجردة السفلي، وقرى بلاد الجريد ونفزاوة وقابس. لكن في المقابل يتتج عن توثر العلاقة بين المدينة ونواحيها إما خراب القرية أو فك ارتباطها بمركزها الحضري فتحول عند ذلك إلى مدينة، وغالباً ما يحدث ذلك عندما يتعامل المخزن معها على

أساس أنها وحدة جبائية قبل أن تكون وحدة استغلال زراعي<sup>١</sup>. ولتجنب التعسف الجبائي قد يحدث تحالف بين أهل القرى والبدو للتخلص من وطأة الجبائية، فلا يجد كبار الملاكين من سبيل سوى تخصيص القرى وبناء الأسوار والجدران، هذا ما حدث في الفترة القرطاجية عندما تم تخصيص السكن الريفي خوفاً من انتفاضات المزارعين والعيبيد، حتى إن المصادر أشارت إلى احتفاء حَنْبُل في «ترسيس» له بين القلة<sup>٢</sup> ورأس ديماس، و«ترسيس» هي كلمة يونانية كانت تعني «البرج»<sup>٣</sup> الذي يعود إلى الفترة الرومانية المتأخرة والفترة البيزنطية، وكان يسكنه الزَّرَاع بناحية تونس برأس الطابية وبَارْدُو وَمَنْوِبة وَأَرْيَانَة في الفترة الوسيطة، أضيف إلى ذلك الحصن والطرش وخاصة القصر في قَفْصَة وبنواحي المهدية وبالساحل. وقد يتحول الجبل إلى ملجاً عندما يزداد تعسف السلطة المركزية وتوتر العلاقة بين المجموعات المستقرة المحلية والبدو الرحل لذلك تكثر القرى الجبلية خاصة في جبل وسلات وقلعة سنان وكسري؛ في حين تكون في شكل قصور بجبل مَطْمَاطَة مثل قصور شبني والدويرات. كما يرتبط وجود القرى كذلك بالنشاط الزراعي المنتظم خاصة حول الأنهار ومنابع المياه ويمكن أن نذكر في هذا المجال قرى «بلاد الرافدين» على حد تعبير سارج لنسال الواقعة بين وادي مجردة و مليان، وإذا ما اتبعنا نفس الأسلوب في المقارنة فقد نصف هذه «الجزيرة» ببهة وادي مجردة<sup>٤</sup> حيث تكثر القرى الزراعية بكل من تَسْتُور و السُّلُوقِيَّة و مجاز الباب و قريش الواد و طُبُرْبَه التي أحيتها الجالية الأندلسية في القرن السابع عشر<sup>٥</sup>.

1 - انظر Charles-Picard(G / C), *la vie quotidienne à Carthage*, Paris, 1958, 123

(Acholla) - 2

(Pyrgot) - 3

4 - تحوّة Bagradas

5 - دي ايلرا (ميكان)، "وثائق حديثة حول الأندلسين ترسن في أوائل القرن الثامن عشر"، المجلة التاريخية المغربية، عدد 17-18، تونس، حاصفي 1980، ص 137-140، ص 139 انظر Temimi (A ), « Politique Otto- mane face l'implantation et à l'insertion des Morisques en Anatolie », *Revue d'histoire Maghrébine*, N°61-62, 1991, p 147 « Évolution de l'attitude des autorités de la régence de Tunis face à l'accueil

قرى الساحل والوطن القبلي. وفيها يتعلّق بقرى الواحات فتنقسم إلى قرى سهلية قاربة ببلاد الجريد مثل درجين والحامة وتيقيوس؛ وسهلية ساحلية بخليل قابس، وأخرى جبلية.

لكن قبل أن نختّم هذه الفقرة ينبغي أن نُنبئ إلى صعوبة التعرّف على معنى المنزل والفحص لأنّ عمر هذه القرى السهلية قصير جداً، لو لا ما نجده في بعض المصادر الجغرافية العربية حيث يبدو أن المقصود بالقرية في وسط البلاد السكن المُجَمَع الذي يقوم على الفلاحة الجاهدة وذلك حسب شهادة اليعقوبي؛ أما المنزل، والذى ذكر في غالب الأحيان في صيغة الجمع، فقد يكون المقصود به في الفحص السكن المُشتَت الذي يقوم على الزراعات الحقلية في المناشير. و المنزل هو كذلك مسكن البدو في موسم العودة من الانتجاج أي في الصيف عادة.



# خدمة الأرض

## المحرات

يعتبر المحرات من أهم الآلات المستعملة في خدمة الأرض على أن استعماله مختلف من جهة إلى أخرى تبعاً لنوعية التربة. فإن كانت رخوة أو صلبة، يجره زوج من الدواب: زوج من البقر أو من الشيران وأحياناً تجره الجمال. وقد أشار بلينيوس الصغير أنه شاهد بعينه في بلاد المزاق عربة يجرها من جهة حمار و من اتجاه الأخرى امرأة عجوزاً.

أما فيما يتعلق بأنواع المحاريث فنجد أولاً «الشعبه»<sup>2</sup> وهو نوع لا يزال يستعمل في بعض القرى بجهة باجة و تستور وفي سفوح الجبال التي يصعب معها استعمال الجرار. ويكون هذا المحراث من ثلاثة عناصر أساسية: من قصبة المحرات أو «الرُّكبة» في اللهجة التونسية تُشد إلى زوج الدواب بالثير أو بقطعة من خشب تسمى «الكَفُّ» في اللهجة التونسية، وفي مقدمة «الرُّكبة

1 - انظر

p 89 Pline L'Ancien, *Histoire Naturelle*, texte établi, traduit et commenté par André J., Paris, 1964, XVII, 41

قد تؤكّد صورة علاف الكتاب ما ذكره بلبيوس، وهذه الصورة التقطت لروحين أثناء حرث أرض أحد المعمرين فقصر الطير، على الطريق الرابطة بين تونس العاصمة والحرائر هل تواصل هذا التقليد الراهن عدّ قلب الأرض من القديم؟ أم أن ملتقط هذه الصورة أراد أن يقوم باختراع هذا المشهد لتاكيد ما أوردته بلبيوس؟

2 - انظر Araire dontal (L), Fellahs tunisiens, Paris, 1977, p 185

«نجد السكة كانت مصنوعة من حجر الصوان و تحولت فيها بعد إلى قطعة حديد وقد يكون ذلك منذ الحقبة القرطاجية. أما العنصر الثالث هو مقبض المحراث الذي يسمى في اللهجة التونسية «القرّاص»<sup>1</sup>، وهذا القسم من المحراث له دور كبير في عملية الحرف فهو بواسطته يوجه المزارع الدواب و يتحكم في عمق قلب الأرض. و «الشعبه» لها في الغالب زوج «قرّاص» خلافاً ل نوع آخر من المحاريث أحادي «القرّاص» و يسمى في اللهجة التونسية «المحرات العربي»<sup>2</sup>

### **آلات الحصاد والدراص و عمل البيدر: المنجل المسنن**

و تدرس السنابل بواسطة درّاسة مجرورة تسمى «الجاروشة» كانت معروفة منذ القديم<sup>3</sup>، تتكون من العناصر التالية: لوحة مستطيلة تُرْصَع بحجر الصوان<sup>4</sup> تتخللها شفرات حديد، وتكون مقعرة عند الأطراف، تجبرها الدواب ويركبها رجل، و من خلال هذه الآلة يدرس المندر، الذي كان قد فرش بزبل البقر و خلط بالتبين قبل أن تفرض السنابل. و هناك دارسة أخرى كانت تستعمل خاصة في بعض الأرياف المجاورة لسوسة و صفاقس و القيروان و تسمى «الكريطة»<sup>5</sup> و قد تكون تلك التي وصفها وارون<sup>6</sup> و هي عربة ذات عجلات مسننة. و بعد عمل البيدر تتم تذرية الحب عند هبوب الريح بواسطة «تمدار» طويلة و مجارف مصنوعة من الخشب، بعدها يكون الخزن.

1 - قد تذكر ذلك المثل الشعبي والذي يصور ما كان يعايه المزارع من مشاق عند القيام بعمله، و سوف أورده باللهجة التونسية

أول عيطة للسردوك يتخميس ويُخُكُ الرأس

و ثانية عيطة للسردوك إنْقُوم ويلتَوح على القماش

و ثالث عيطة للسردوك إنْحُط يكتفي على القرّاص

Valensi(L), op cit, p 185 (Araire chambige) - 2

(Tribulum) - 3

(Silex) - 4

5 - راجع Lancel (S), op cit p 294، وعد كذلك إلى براشميرك (روبار)، نفس المراجع، ج 2، ص 214

6 - (Plostellum Punicum))

ولئن لم تتطور الآلات الزراعية كثيراً فإن طرق استخدام الماء لري المزروعات عرف تطوراً كبيراً عبر العصور أفضى إلى وجود «هندسة مياه» تعود إلى الفترة القديمة. وقد أثبتت الحفريات الأثرية وجود شبكة من المنشآت المائية من سدود وقنوات وجسور. وأشار هنا إلى أنني سوف استثنى المنشآت المائية المعدة للاستعمال البشري مثل الخزانات والصهاريج والمواجل. قد يرتبط وجود الفلاحة المروية بوجود سلطة مركزية قوية قادرة على بناء هذه المنشآت وحمايتها وصيانتها. وحسب ما ذكره «ديو دور الصقلي» فإن قرطاج كانت تستخدم الري في دائرةها الترابية. أما الرومان فقد شجعوا على تعاطي الزراعات المروية في بلاد المزاق خاصة بعد صدور قانوني «مانيقiana» و «هادريانوس»، ومن أقدم هذه المنشآت نجد «سد القصررين»<sup>١</sup> حيث استخدمت مياه نهر الدرب في الفلاحة وبلغ ارتفاعه عشرة أمتر.<sup>٢</sup> لذلك ليس من المستغرب أن يقول الإدريسي أن سببية كانت بها الفلاحة المروية<sup>٣</sup>. وتوالى الزراعات المروية مع الأغالبة والفااطميين في بلاد المزاق، في فترة ظهرت فيها كتب المياه في المشرق الإسلامي. لكن استخدام المياه في الفلاحة لم يكن مرتبطة دائمًا بوجود سلطة مركزية قوية بل عملت بعض المجموعات القرورية على بناء منشآت خاصة بها وبها زراعتها، وتجسد ذلك خاصة في مثال «جسور مطحاطة». وفي هذا المجال يدل كتاب «القسمة وأصول الأرضين» لأبي العباس أحمد بن محمد بن بكر النفوسي (المتوفى سنة 504 للهجرة/ 1110)<sup>٤</sup> على عراقة التقاليد الموروثة<sup>٥</sup>.

(Cilium) - 1

2 - عد إلى Leveau (Ph), *op cit* p. 177.

3 - إدريس (المادي روحاني)، ضمن المرجع، ح 2، ص 80

4 - بن وردو (المادي)/ متور (أحمد)/ حسن (عمد)، قانون المياه و التهيئة المائية بحوض افريقيا في العصر الوسيط،

تونس، 1999

5 - عد إلى Leveau (Ph), *op cit* p. 176.

و فيما يتعلّق بالشمال فقد يكون المخزن الحفصي أعاد إحياء تقنيات الري القرطاجية-الرومانية، لكن يجب الإشارة هنا أن هذه المنشآت تأتي بعد منشآت الوسط والجنوب من حيث الأهمية. و من تقنيات الري في الشمال يمكن أن نذكر تصريف مياه المستنقعات و السباخ و التي لمع لها «*ديبور الصقلي*» عند حديثه عن الفلاحة القرطاجية، و التي شجّعت قوانين «مانيقيانا» و «هادريانون» عليها بجهة دقة. و من غير المستبعد أن تكون أراضي برج فرينش<sup>1</sup>، بين برج العامر و قريش الواد و التي تحاذّها «قرعات لعطن» التي يشقّها واد الحمار، من بين الأراضي التي استخدمت فيها تقنيات تصريف المياه. كما أن الجالية الأندلسية أحيت «أوجلة» نهر مجردة في كل من تستور و السلقوية و قريش الوادي. كما تشير المصادر إلى استخدام النوعيّر و السوانى و الدواليب في قرى ضواحي تونس<sup>2</sup>.

---

(Burgos Furnos) -1

-2- حسن (محمد)، نفس المرجع، ج 2، ص 396

# «المجمع الفلاحي»

## القمح و الشعير

تحتل الحبوب المرتبة الأولى في هذا المجمع حيث يستحوذ القمح و الشعير على جل الأنشطة الزراعية و المساحة المزروعة في البلاد التونسية لكن يصعب وضع ترتيب لهاتين الحبوب، فكما أنه لا يجوز القول إن الزراعة كانوا لا يزرعون إلا القمح الصلب<sup>1</sup> بالاستناد فقط على ما ذكره «بالينيوس الصغير» فإنه من الصعب جعل الشعير في المرتبة الأولى رغم التقدير الذي يكتبه المزارعون لهذه الحبة<sup>2</sup>. لكن ما هو ثابت على الأقل أن سكان الواحات في الجنوب زرعوا القمح منذ القديم واستحسنوا زرع الشعير لأنه قادر على النمو بسرعة في أرض رخوة و حصوية دون الحاجة إلى كمية كبيرة من المياه و هذا ما يفسر تفضيل سكان قرقنة و حامة قابس الشعير على القمح؛ و من الثوابت كذلك أن باجة كانت حاضرة القمح و الشعير منذ القديم في سهولها الممتدة إلى ماطر حتى أن الإدريسي جعلها أثري مدينة من حيث القمح بل و قدّر حسن الوزان إنتاجها بأكثر من عشرين ألف سُتّية، وينبغي التذكير هنا أنَّ الإدريسي أشار في موضوع آخر من «نزهة المشتاق» إلى مزارع أخرى في بلاد أجر و الأربُس و الأنصاريين و زَغوان. لقد زعم بعض الدارسين أن فلاحة القمح و الشعير لم تكن من نقاط قوة الفلاحة القرطاجية لأنها

---

( *Triticum durum* ) - 1  
( *Hordeum hexastichum* ) - 2

أهملت و تركت للسكان المحليين متاجهelin بذلك إشادة المصادر القديمة بخصوصية «دائرة قرطاج» البوئية الممتدة من شمال قرطاج إلى شبه جزيرة الوطن القبلي، و تمسك الكنعانيون ببلاد مكثر و «السهول الكبرى». لقد كان القمح و الشعير هاجس كل السلط المتعاقبة على البلاد بداعياً بمسينسان الذي حَوَّل الأراضي البدوية إلى مزارع خصبة، و شجع الزراعة على حساب الرعي، و الاستقرار على الترحال، و عملت روما بعد وفاته على أن تحول بين الأهالي و حقهم في التمتع بقمحهم و شعيرهم بعد أن أمر يوليوس قيصر، إثر معركة طَبِسُوس سنة 46 قبل المسيح، بأن تزود روما بقمح مقاطعة إفريقيا الجديدة عبر نظام جبائي دقيق للغاية<sup>1</sup>. كان يقضي بجمع الضرائب العينية المفروضة على الفلاحين في خزانات كبيرة قبل نقلها إلى الموانئ<sup>2</sup> من بينها هرْقَلة<sup>3</sup> الذي تصدر منه الحبوب في المراكب لنفرغ حمولتها في العاصمة الرومانية روما. و لا مناص هنا من التذكير أن تصدير الحبوب لا يعني وجود فائض في الإنتاج لأن أرباب الضياع الرومان لا تهمهم الحاجيات الداخلية بل كان همهم الوحيد تلبية حاجيات روما حتى أن الأباطرة أمروا بأن تقلع الأشجار وأن تحول البساتين إلى حقول و هذا ما ينته على سبيل المثال نقشة هنْشِير مَتِيش. لقد تحولت مقاطعة إفريقيا الرومانية في عهد الأسرة اليُولِيو - فلاودية إلى مطعمور كبير تَرَف قمحاً كي تعيش عاصمة الإمبراطورية ، و تواصل تموين ثلثي حاجيات روما من القمح إلى نهاية القرن الثالث بعد المسيح، إلى أن سُخِرت مصر لتمويل القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية في الشرق، فأصبحت إفريقيا المول الأول واحتياطي «البرول الأخضر» الوحيد. و تواصل هاجس القمح في الفرات اللاحقة و خلافاً لما يُروج في بعض الدراسات لم تتضرر مزارع الحبوب كثيراً نتيجة الهجرات المتتالية للبدو

---

(*Annona*) - 1

(*horera*) - 2

(*Horera Caelia*) - 3

الرحل سواء في الفترة الوندالية أو زمن الأعراب خاصة بعد أن نجحت بعض المجموعات في الاستقرار والتأهل لتعاطي فلاحة الحبوب و يمكن أن نذكر هنا مثال قبائل «رياح»، كما تواصل تصدير الحبوب في العهد العثماني عندما يربط الأتراك علاقات تجارية مع أوروبا حتى إن بعض العلماء استغروا تصدير الحبوب والحال أن البلاد كانت في حاجة لذلك.

### **شجرة الزيتون**

تحتل شجرة الزيتون المرتبة الثانية في هذا «المجمع» وهي التي كانت منتشرة في جزيرة قرقنة<sup>١</sup> منذ القرن الخامس قبل المسيح حسب شهادة هيرودوت، لكن من غير المستبعد تواجدها لدى السكان الأصليين قبل أن يُطُور الكنعانيون تقنيات غرسها التي جلبوها معهم من سوريا وفلسطين، وقبل أن يعمموا انتشارها في بلاد المُرُّاق رغم استيرادهم للزيوت من صقلية. لكن شجرة الزيت ستشهد انتكasa خطيرة عندما قرر «اسقيبيون أيَّمِيلِيانُوس» قلعها، و عندما تعرضت لسخرية الشاعر «يويناليُس»<sup>٢</sup> الذي أنسد أبيات شعرية يهجو الزيت بالقول إنها لا تصلح لغير فوانيس إيطاليا<sup>٣</sup>. لقد كان كبار متجمعي الزيت في إسبانيا وراء هذه الدعاية المغرضة لأنهم كان يخافون من منافسة زيت إفريقي و هو ما يتعارض و سياسية أباطرة الرومان الذين سُنوا عديد القوانين لحماية هذه الشجرة و التشجيع على فتح مجالات جديدة لها، فاكتسحت مناطق في الشمال و الساحل و القصرين و الجنوب بكل من قابس و تِقْيُوس و تِبْلُبُو و كتانية، و من بين هذه القوانين يمكن أن نذكر «قانون مانيقيا»<sup>٤</sup> و «قانون هادريانوس»<sup>٥</sup> الذي صدر في عهد الإمبراطور

---

(Ciranny) - ١

(Juvenalis) - ٢

- ٣ اطر , p 89 Lepelley (Cl ), l'Afrique, Rome et l'intégration de l'Empire, Paris, 1977

(Lex Manciana) - ٤

(Hadrianus Lex) - ٥

وسباريانوس<sup>1</sup> بين 69 و 79 حيث عثر على ثلاث نقائش، نقيشة أولى تعود إلى عهد «هادريانوس» (138-117) عثر عليها بعين جالة شمال دقة، ونقيشة ثانية تعود إلى عهد «سيطيموس سويروس»<sup>2</sup> عثر عليها بنفس الجهة بعين وسال، ونقيشة ثالثة تعود إلى عهد «ترابيانوس» بتاريخ (115-117) عثر عليها بهنثير متيش. وفي القرن الثاني تم تعويض الزراعات التقليدية بالزيتتين والأشجار المثمرة بوادي التين وفي سهول الشمال الشرقي وفي نفس الفترة كذلك تم تقليل حجم النشاط الرعوي بالقصرين لحساب الزيتتين ومعاصر الزيت. لقد أصبحت تجارة الزيت نتيجة هذه الإجراءات التجارية المربحة الأولى ومصدر الثروة والرخاء فتفوقت على الزيوت الإسبانية منذ القرن الثاني بعد المسيح، هذا ما قد يفسر الازدهار الاقتصادي والعماني في مقاطعة إفريقيا في فترة عرفت الإمبراطورية أزمة القرن الثالث بعد المسيح حيث أثبتت الحفريات الأثرية تواصل توسيع مجال غابات الزيتون والانتشار الكبير لمعاصر الزيت. كما تواصل تصدير الزيت في فترة الإمبراطورية المتأخرة والفترة الوندالية وظل الزيتون في القرن الأول للهجرة رمزاً للثروة عند العرب وازدادت الغابات كافية حتى إنها أصبحت تغطي مساحات شاسعة بالساحل في الفترة الأغلبية امتدت جنوباً إلى نحو مرحلة من قابس وغريا إلى بلاد قمودة، وكانت صفاقس «و سط ألد غابة زيتون» حين بلغ رستاق رصبه وحده ثلاثة و ستين معصرة للزيت في نهاية القرن الرابع للهجرة كما ظهرت مجالات غابية جديدة في ضواحي تونس، مقابل تقلص مساحة غابة السباس و قمودة؛ وفي الفترة الحديثة قام المؤرّكُون باحياء غابات الزيتون.

كما لم ينقطع تصدير الزيت في الفترة الوسيطة والحديثة بل تواصل تصدير الزيوت نحو مصر وجنوة وبيزا، على أن الخطر الذي كان يهدد هذه الشجرة

---

(Vespasianus) - 1  
(Severus Septimus) - 2

لم يكن البدو، بدليل أن بعض المصادر أشارت إلى تكليف الأعراب من قبل مالكي الزياتين بحراستها، بل إن الخطر الحقيقي الذي تسبب في انتكاسة الزيت الثانية هي تلك الجبائية «الجحائرة» واحتكار المخزن لتصديره وجعله من أهم الموارد الجبائية، فكان رد الفعل الفلاحين الصغار إما التهرب من دفعها أو ترك الغابة دون عناء. لقد عرفت شجرة الزيتون معاناة كبيرة لم تعرفها من قبل حين اشتد التعسف الجبائي بأن فرض البأي ضريبة القانون والعشر، فثارت ثائرة الفلاحين ونقموا على كل شيء حتى إن ملاكي الزيتون بالوطن القبلي كانوا يُعوزون للبدو بإحراف زياتينهم كي يتخلصوا من ضريبة القانون.

## الكروم

قد يصعب ذكر شجرة الزيت دون ذكر الكروم فهما توأمان البساتين المتوسطية خاصة وأن بساتين قرطاج لم تشد عن هذه القاعدة استناداً إلى ما ذكره «ديودور الصقلي» أن قرطاج في سنة 310 قبل المسيح كانت محفوفة ببساتين الكروم والزيتون تسقيها العيون الجارية وقنوات الري وأنها زرعت كروماً وزيتوناً. قد تكون تقنيات غرس الكروم مستوردة من الشام لكن ما هو ثابت أن الرومان، وبعد سقوط قرطاج، عملوا على المحافظة عليها وتوسيع مجالها باستئثار أراضٍ جديدة لها بالشمال والسباسب. وأود أن أشير هنا إلى ما يُردده العديد من الباحثين من أن الكروم شهدت انتكاسة مع دخول الإسلام إفريقياً، إنَّ هذا الطرح ينمّ عن الرغبة في طرح المشاكل بطريقة مغلوطة ، لأنَّ الإسلام حرم الخمر لكنه لم يُحرِّم غرس الكروم، ثم إن تحريم الخمر في إفريقيا كان سابقاً للإسلام حيث أشار أفلاطون إلى أن القرطاجيين منعوا على العسكر والعييد والقضاة شرب الخمر، لذلك يجدون غير الموضوعي الربط بين انحسار مجال الكروم ودخول الإسلام إفريقياً. فمشكلة الكروم والخمر تعود إلى التاريخ القديم خاصة إذا ما علمنا

أنّ الخمور القرطاجية لم تكن من الخمور الممتازة في المتوسط حتى إنّ الرومان واليونان كانوا متزوجين من رداءتها، فلم تكن مطلوبة كثيراً في الأسواق المتوسطية لأنّها ممزوجة بالجبن واللحم، بل إنّ القرطاجيين أنفسهم كانوا يحبذون خمور جزيرة رودس. وقد لا نبالغ إذا ما اعتبرنا أنّ انتعاشة الكروم كانت في الفترة الإسلامية حين تم إحياء بساتين بالمرسى وسكرة وقمرات والعوينة حيث ورد في بعض الوثائق أنّ عدد الكروم بلغ نصف مليون كرمة سنة 1880 انتشرت في قرى بنزرت بالتلين وأس الجبل ورفاف والعالية، وفي منطقة الوطن القبلي، وفي جزر الجنوب بقرقنة وجزيره الواحات وفقصة.

## النخيل

يحتل النخيل المرتبة الرابعة في هذا «المجمع الفلاحي» خاصة بعد أن نجحت هذه الشجرة في التعايش مع الزيت فكانت الواحات بلاد الجريد وفقصة الداخلية أكثر الواحات إنتاجاً للتمر في الفترة الوسيطة في حين اشتهرت الواحات الساحلية وخاصة قابس بإنتاج التمر الرطب، واحتضنت جربة وقابس وتونس بتصدير التمر إلى بلدان ضفة المتوسط الشهالية، إلى كل من جنوة وبيزا وبريشلونة. تعايش النخيل مع شجرة الزيتون في الواحات<sup>1</sup>. واحتضنت جربة وقابس وتونس بتصدير التمر إلى بلدان الضفة الجنوبية إلى كل من جنوة وبيزا وبريشلونة<sup>2</sup>. كما تنتج النخلة نوعاً من الشراب يعرف «باللقمي».

## الفواكه والبقول والخفر

ت تكون قائمة الأشجار المشمرة من التين وقد تستحضر صورة قاطون وهو يحاول إقناع السناتوس بضرورة القضاء على قرطاج وفي يده تينها، على حسب ما ذكره، كما نجد ذكراً لهذه الشجرة في نقش هنشير متيس. وذكر

<sup>1</sup> راجع كذلك (Ph), *op cit*, p 196

<sup>2</sup> برشيفك (روبار)، بحث المراجع، ج 2، ص 228

بلينيوس الصغير أن هذه الشجرة منتشرة في المستير، كما أشارت المصادر الوسيطة إلى وجودها في واحات قفصة<sup>١</sup>.

وورد ذكر الرمان في المصادر اللاتينية تحت اسم التفاح البوني<sup>٢</sup> أو الشجرة البونية<sup>٣</sup> وكان متشاراً بكثرة في تونس والمستير<sup>٤</sup>. وكان اللوز متشاراً بمدينة جونس<sup>٥</sup> والإجاص<sup>٦</sup> و التفاح بواحات قفصة و الفستق بمدينة طراق بين قفصة و ماجن الفج بقمودة<sup>٧</sup> والخوخ و السفرجل و المشمش و اللوز و الليمون بواحات توزر<sup>٨</sup> والموز بواحات قابس وتوزر<sup>٩</sup> وفيها يتعلق بمنتجات السواني من الخضر والبقول فيمكن أن نذكر: الكرنب<sup>١٠</sup> واللفت والباذنجان والجزر والخس والهندباء (التفاف في اللهجة التونسية) والبصل والكُرات و القثاء<sup>١١</sup> (الفقوس في اللهجة التونسية) والفول والحمص بباجة<sup>١٢</sup> والعدس واللوبياء والجلبان.

أما التوابيل مثل البسباس والأنسون<sup>١٣</sup> (حبة الحلاوة في اللهجة التونسية وهي كذلك الكمون الأبيض) والكمون فتجدها بقفصة و تقيوس شهال توزر والكريزبرة (التابل في اللهجة التونسية) والزعفران بسبيبة والأربس. والكروية بتقيوس و سبيبة<sup>١٤</sup>.

١ - عد إلى Leveau (Ph), *op cit* 298 p, وراجع كذلك Lancel (S), *op cit* 198 p, وعد كذلك إلى إدريس (روحي-هادي)، نفس المرجع، ح 2، ص 22  
 (malum punicum) - 2  
 (arbor punica) - 3

٤ - عد إلى براشفيك (روبار)، نفس المرجع، ح 2، ص 231  
 كذلك إلى براشفيك (روبار)، نفس المرجع، ح 2، ص 31

٥ - عد إلى Leveau (Ph), *op.cit* 198 p, وعد كذلك إلى إدريس (روحي-هادي)، نفس المرجع، ح 2، ص 31

٦ - عد إلى Leveau (Ph), *op cit* 198 p, وعد كذلك إلى حسن (محمد)، نفس المرجع، ح 1، ص 444

٧ - راجع كذلك إلى إدريس (روحي-هادي)، نفس المرجع، ح 2، ص 27

٨ - براشفيك (روبار)، نفس المرجع، ح 2، ص 230 والتي يعدها

٩ - إدريس (روحي-هادي)، نفس المرجع، ح 2، ص 63 و 75

١٠ - أنظر Charles-Picard(G/C), *op cit*, 149

١١ - حسن (محمد)، نفس المرجع، ح 1، ص 447

١٢ - إدريس (روحي-هادي)، نفس المرجع، ح 2، ص 41

١٣ - حسن (محمد)، نفس المرجع، ح 1، ص 447

١٤ - إدريس (روحي-هادي)، نفس المرجع، ح 2، ص 80-78

## فلاحة الحيوان والصيد

لقد جرت العادة أن يقع الخلط في أغلب الدراسات بين الأنشطة الرعوية للبدو و تربية الماشية، و كثيراً ما كان يربط البعض بين تغلب سمة البداوة على المجتمع الإفريقي في الفترة الوسيطة و تربية الماشية. و قد أذكر هنا أنَّ توسيع المرعاعي أو الزراعات الرعوية لا يعني بالضرورة استيلاء البدو على أحزمة المدن الزراعية بل هو استغلال للأراضي التي هجرها أصحابها أو تركها سكان القرى. قد يكون تعريف ابن وحشية أكثر دقة و الذي تحدث عن فلاحة الحيوان، فتربيـة الماشية هي من الأنشطة الفلاحية الأساسية و هي التي تلبـي حاجيات المدينة من لحوم و حليب و جلود و صوف. وقد ساد نوع من «التناغم» بينها وبين البساتين و الجنان، و خير دليل على ذلك ما ذكره «ديودور الصقلي» عند وصفه للمشهد الريفي القرطاجي حيث يبرز نوعاً من التكامل بين الزراعة و الماشية و المراعي. لكن ينبغي التذكير أنَّ هذه الوضعية لم تكن سائدة مع البدو في فترات تاريخية أخرى.

و تعتمد تربية الماشية على الإبل و الغنم من خرفان و الماعز و البقر و الخيول و هي الحيوانات التي توفر المأكـل و الملبس، و هي كذلك من أهم وسائل الإنتاج و تعتمد في النقل و خدمة الأرض.

و أشير إلى أنَّ عدم تربية الخنازير لم يكن مرتبطاً بالإسلام لأنَّ القرطاجيين قبل ذلك كانوا لا يربون هذا الحيوان. و من بين الأنشطة الريفية الأخرى يمكن أن نذكر الدواجن و الحمام، والنحل لإنتاج العسل، و هي من الأنشطة القديمة.

و يعتبر الصيد كذلك من الأنشطة الريفية، كالصيد في البراري و الغابات القرية من المدن و القرى لذلك اعـتـنـى الفلاحـون بـتـربية كـلـاب الصـيد، و خاصة كلـب السـلوـقـي، و كذلك كلـاب الرـعـاة التي تحـرس قـطـعـانـ المـاشـية. و فيها يتعلـق بـصـيد الأـسـماـكـ فهو يتـبع كذلك الفـلاـحةـ و قد خـصـصـتـ له

كتب الفلاحة عديد الأبواب. وعرفت قرطاج صيد التن و قد يكون ذلك في ميناء سيدي داود<sup>1</sup>. كما وردت عديد المعلومات عن الأسماك و طرق صيدها في إفريقية في المصادر العربية فقد ذكر الإدريسي طريقة الصيد في صفاقس، لكن أهم المعلومات هي تلك التي أوردها ابن حوقل والبكري والإدريسي و حسن الوزان عن أسماك تونس و بتزرت و طرق صيدها. وأول هذه النصوص ما ذكره ابن حوقل (توفي بعد 367 هـ / 977 م) في كتاب صورة الأرض و الذي زار إفريقية فقد ذكر أن: «(... ) الخيتان بها و بتونس ما يزيد على الكثرة و لا يدانيه ما بطرابلس من الرخص و السعة. و لها واد عجيب يخرج فيه في كل شهر نوع من السمك، و إذا أهل الهلال لا نجد من ذلك النوع واحدة و يظهر غيره....»<sup>2</sup>. أما البكري (توفي 487 هـ / 1094 م) فيقول عن أسماك تونس: «و بها من أحناض الحوت الذي لا يكون مثله في غيرها ما لا يحصى كثرة أحناض تجيري في البحر مع شهور العجم في كل شهر من تلك الشهور يجري في جنس منه لا يوجد في البحر إلى دخول ذلك الشهر من العام القابل فهم في تجددتها في لذة موصلة و نعمة غير مملولة وكل حسب منها يصير فيقى السي صحيح الجرم طيب الطعم منه جنس يعرف بالعبائق جنس يعرف بالاكتوبري (شلبة) و جنس يعرف بالأشبارس و جنس يعرف بالمنكوس و جنس يعرف بالبقونس و من أمثلهم لولا البقونس لم يخالف أهل تونس»<sup>3</sup>، وعن بتزرت يقول: «(...) و على ساحل هذه القلاع بحيرة تنسب أيضا إلى بتزرت يدخل إليها ماء البحر الكبير فيوجد فيها في شهر ما من السنة صنف من الحوت لا يشبه غيره و لا يوجد هنا في غير ذلك الشهر»<sup>4</sup>. ويضيف: «(...) وفي هذه البحيرة أujeوية وهو أن الصياد فيه إذا أتاه التجار لشراء الحوت يقول لهم على أي شيء أرسل شبكتي فيتفق معهم على عدة

(Mississ - 1

2 - ابن حوقل (أبو القاسم)، صورة الأرض، بيروت، 1963، ص 75-76

3 - البكري، نفس المصدر، ص 41

4 - نفس المصدر، ص 58

معلومة فيأي الصياد بحوت يقال أنه أثني الصنف المعروف بالبورى فيرسلها في البحيرة ثم يتبعها بشبكته فيخرج العدة التي اتفقوا عليها لا يكاد يخطئ...<sup>١</sup>  
أما الإدريسي فقد ذكر: «و هذه البحيرة من أعاجذب الدنيا و ذلك أنها بها أثني عشر نوعا من السمك يوجد منها في كل شهر نوع واحد لا يمتزج بغيره من أصناف السمك فإذا تم الشهر لم يوجد شيء من ذلك النوع في الشهر الآتي ثم يوجد... و هذه الاثنا عشر نوع من الحوت التي ذكرناها هي البوري و القاجوج و المحل و الطلقنط و الاشبلينيات و الشلبة و القاروض و اللاج و الجوجة و الكحاء و الطنفلو و القلا». <sup>٢</sup>

لقد تضمنت هذه القائمة أسماء غير معروفة اليوم وأسماء ما تزال تستعمل إلى يومنا هذا في البلاد التونسية: البوري<sup>٣</sup> و الشلبة<sup>٤</sup> و القاروض<sup>٥</sup> والكحاء<sup>٦</sup> و أخرى أعجمية: القاجوج<sup>٧</sup> و المحل<sup>٨</sup> و الاشبلينيات<sup>٩</sup> و اللاج<sup>١٠</sup> و الجوجة<sup>١١</sup> و الطلقنط و الطنفلو و القل. و يذكر حسن الوزان (توفي ٩٦٠ هـ / ١٥٥٢ م) أن هذه البحيرة: «و هي صغيرة يسكنها قوم فقراء و يدخل البحر قرب المدينة داخل الأراضي من حلق ضيق قصير، يتسع جنوبا إلى أن يكون شبه بحيرة كبيرة تحيط بها مداشر عديدة لصيادي السمك و الفلاحين، إذا يمتد غربها سهل عظيم يسمى سهل ماطر... و يصاد من البحيرة كمية وافرة من

١ - مس المصدر

٢ - الإدريسي (أو عبد الله)، برهة المشتاق في اختراق الآفاق، تابولي، مشورات المعهد الشرقي الإيطالي، ١٩٧٠  
١٩٨٢، ص

٣ - هو بالمرسية *Mugil cephalus* و الاسم العلمي هو

٤ - هو بالمرسية *saupe* و بالإيطالية *salpa* و الاسم العلمي هو

٥ - هو بالمرسية «*loup*» و بلاتينية «*lupus*» و الاسم العلمي هو

٦ - هو بالمرسية *Oblade melanura* و الاسم العلمي هو

٧ - ابطر (R), *Supplément aux dictionnaires arabes*, Beyrouth, 1981, p

٨ - هو بالمرسية *Muge doré* و الاسم العلمي هو

٩ - هو بالمرسية *Alose* و الاسم العلمي هو

١٠ - هو بالمرسية «*maigre*» من فصيلة *Clupea sardina* عد إلى مس Gateau (A) *Les poissons Sciénoidés* du lac de Bizerte, *Bulletin des études arabes*, Alger, 1942, pp 99-101, p 101

١١ - هو بالمرسية *Trigle hirondelle* و الاسم العلمي هو

السمك، خصوصاً سمك المرجان الكبير الذي يزن من خمسة إلى ستة أرطال. وعند انتهاء شهر أكتوبر يصطادون نوعاً من السمك يسميه الأفارقة زرافة، وأظن أنه هو الذي يحمل اسم لاتشيا في روما. ذلك لأن ماء البحيرة يعود أكثر عذوبة عندما ينزل المطر، فيدخل إذا ذاك السمك إليها، بالإضافة إلى أن البحيرة قليلة العمق. ويستمر الصيد حتى أوائل ماي، ثم يهاجر السمك، كما يهاجر السمك الذي يصاد في النهر الجاري بقرب فاس.<sup>1</sup> ويفيدو أن حسن الوزان كان يتحدث هنا عن قرعة إشكل وليس بحيرة بنزرت ويتجلّى ذلك في محاولة تفسيره وجود هذه الأسماك بربط ذلك ببحث الأسماك عن المياه العذبة والتي توجد في قرعة إشكل.

---

1 - كاتب المنس المرسي أكثر دقة من الترجمة العربية أاطر *l'Africain, Description de l'Afrique*, trad M Hadj-Sadok, Paris, 1980, p 376 "On prend dans le lac une grande quantité de poissons, surtout de grosses dorades qui pèsent de cinq à six livres (2 kg à 2,5 kg) Le mois d'octobre passé, on prend une sorte de poisson que les Africains nomment girafa, je pense que c'est celui qui porte à Rome le nom de Laccia (Alose) Cela parce qu'avec les pluies l'eau du lac devient plus douce . le poisson entre alors dans le lac , de plus le lac n'est pas très profond La pêche dure jusqu'au début de mai, "puis le poisson émigre, comme le fait celui qu'on pêche dans le fleuve qui près de Fez



## غذاء الأهالي

قد تختلف مائدة الحضري عن مائدة الريفي بسبب اختلاف نمط العيش بين المدينة والريف، لكن السمة المشتركة بينهما قد تكون في حبّها لما تُتّبعُه بلالدهم من قمح وشعير وزيتون وخضر وفواكه و ما توفره من لحوم وأسماك، وكذلك في ارتباط هذه المائدة بالسنة الشمسية التي تضبط مواقيت المحاصص الزراعية و السنة القمرية مواقيت الأعياد و المناسبات الدينية. وما يُميّز هذه المائدة عدم غياب الخبز البطة، و الخبز أصناف في البلاد التونسية: خبز الفطير و خبز الشعير و الجردقة و خبز التنور؛ و الكسكسي الذي هو طعام أهل الريف منذ الحقبة القرطاجية استنادا إلى وصف قدمه قاطعون في «كتاب الفلاحة»، و يصنع هذا الطعام من السميد المطبوخ بالبخار، يسقى بالخليل أو بالمرق، قد يضاف إليه لحم الضأن و الماعز و البقول في بعض الولائم والأعياد والأعراس. نجد بعد الكسكسي الثريد، مثل ثريد الشعير المسمى لبازين، يطبخ بلحم الضأن في بعض المناسبات؛ و نجد ثريد القمح المطبوخ مع البقول والبيض والزبدة؛ و البرغل الذي يعرف كذلك بهريسة القمح؛ و العصيدة المصنوعة من دقيق الحنطة و الزبدة و العسل، و الرفيس أو الرفيسة و هو طعام مصنوع من دقيق الحنطة و التمر و بعض التوابل. أما أكل اللحم فيقتصر في غالب الأحيان على موائد الأعياد والأعراس.

## الخبز

خبز الفطير، و خبز الشعير، و الجردقة<sup>١</sup>، و خبز التنور و يعرف بخبز «الطاونة».

## الطعام

- الكسكيسي و يعتبر الغذاء الأكثر انتشاراً بإفريقيا، و قد ذكر قاطون في كتاب الفلاحة طعاماً في الفترة القرطاجية قد يكون لعب دور الكسكيسي<sup>٢</sup>. و الكسكيسي طعام مصنوع من السميد المطبوخ بالبخار، يسكن إما بالخليل أو بالمرق قد يضاف إليه لحم الضأن و الماعز و البقول في بعض الولائم والأعياد و الأعراس<sup>٣</sup>.

- الثريد مثل ثريد الشعير المسمى البازين و قد يطبخ في بعض المناسبات بلحם الضأن، و ثريد القمح يطبع مع البقول و البيض و الزبدة<sup>٤</sup>. و قد جاء في كتاب الطبيخ في المغرب و الأندلس في عصر الموحدين مؤلف مجاهول طريقة صنع ثريد يقول إن أهل إفريقيا يسمونه بالفطير : «و هو من أجل أطعمتهم، هذا الفطير يعمل عندهم بالدجاج السنان، و منهم من يعمله بلحם العنم السمين، يؤخذ ما حضر منها منظفة مقطعة، و تجعل في قدر بملح وبصلة و فلقل وكزبرة يابسة و زيت، و تطبخ حتى تنضج، ثم يرفع ثم ينشأ فتات فطير قد أعد من رغف رقاق محكمة الصنعة مورقة مطبوخة في الطاجن بالخمير، و تعاود القصعة بالسقي حتى تأخذ حقها، ثم يصفق عليها لحم ذلك الدجاج بعد ما يقل في مقلاة بزيت عذب أو بزيت طري، و تنجم بمتاح البيض و زيتون و لوز مقسوم، و يذر عليها قرفة، و تقدم». و هذا الطعام هو الطاجن بالخمير المعروف اليوم بتونس بأصناف مختلفة. كما قدم صفة نوع آخر من الثريد فقال

١ - براشيفيك (روبار)، نص المراجع، ج ٢، ص 284

٢ - (عدان) (*Puls pumica*) , op cit Leveau (Ph), p 149

٣ - براشيفيك (روبار)، نص المراجع، ج ٢، ص 283

٤ - حسن (محمد)، نص المراجع، ج ٢، ص 804

: «يؤخذ من السميد الطيب الجلال، ويقسم على ثلاثة أثلاث، يترك الثالث منها بناحية، ويعجن الثلثان عجناً جيداً، ويصنع منه أو تند رفاق وتدهن، ويذر عليها من ذلك السميد الباقي، ويطوى عليه وتلف، ثم تند ثانية، وتدهن، ويذر عليها السميد وتطوى مثل المورقة، يفعل بها ذلك مرات حتى يفرغ الثالث الباقي من السميد، ثم تدخل الفرن وترك لتعقد، ونخرج رطبة، ولا يبالغ، وإن شئت طبخت الرغاف في الدار في طاجن، ثم يفت، ويصنع منها ثريد مثل الفطير إما باللبن الحليب مثل ثريد اللبن، فيؤكل بالزبد والسكر، أو في مرق الدجاج أو غيره من اللحم، ويجعل عليه من اللحم المقلي والمسمك الكبير، ويذر عليه قرفة و يقدم»<sup>١</sup>.

- البرغل و يعرف كذلك بهريسة القمح<sup>٢</sup>.
- العصيدة المصنوعة من دقيق الخنطة والزبدة والعسل.
- الرفيس أو الرفيسة وهو طعام مصنوع من دقيق الخنطة والتمر وبعض التوابل<sup>٣</sup>.
- البرقوقش<sup>٤</sup>.
- الدويداء<sup>٥</sup>.

## **اللحوم والسمك**

ذكرنا أنَّ أكل اللحم كان خاصة في المواسم والأعياد والأعراس. وقد يؤكل لحم الضان أو الماعز أو غيرها يطبخ بالبصل والثوم والملح والكرنب والكركم<sup>٦</sup>. وكان سكان السواحل يستهلكون الأسماك، فقد ذكر البكري كيف كان السكان يحبذون سمك البورى بالقول: «و الجنس يعرف بالبقونس

١ - مؤلف مجهول، كتاب الطبيع في المعرفة والآدلة في عصر الموحدين، تحقيق أمرو بربور أوبيش ميرابدا، في صحيحة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان التاسع والعشر، مدريد ١٩٦٢-١٩٦١، ص ١٥-٢٤٢، ص ١٨٣

٢ - حسن (محمد)، نفس المرجع، ج ٢، ص ٨٠٠

٣ - براشميك (روبيان)، نفس المرجع، ج ٢، ص ٢٨٣

٤ - حسن (محمد)، نفس المرجع، ج ٢، ص ٨٠٤

٥ - براشميك (رومار)، نفس المرجع، ج ٢، ص ٢٨٤

٦ - حسن (محمد)، نفس المرجع، ج ٢، ص ٨٠١

و من أمثلهم لولا البقونس لم يخالف أهل تونس<sup>١</sup>.

## الأشربة

كان أهل الحضر يشربون النبيذ المصنوع من الزيسب في حين أنّ أهل الجنوب يشربون نبيذ النخيل المعروف باسم «اللاقمي»<sup>٢</sup>. وما قد يثير الاستغراب أنّ أهل المدن الكبرى كانوا يشربون الخمر المستورد<sup>٣</sup>، لكن قد يكون من المفيد هنا التذكير أنّ الخمور التونسية لم تكن الخمور المحبذة و هو ما أشرنا إليه في حديثنا عن الخمر في قرطاج.

## الفواكه والمعجودات والحلويات

لا تخلو المائدة من فواكه كالتين و الرمان و التفاح و الموز، لكنها تبقى أكلات موسمية ثانوية. و فيما يتعلق بالحلويات نجد الزلايبة و الكعك<sup>٤</sup>. و كان يصنع من السفرجل المعجون فقد جاء في كتاب الطبيخ: «يؤخذ من السفرجل المنقى من جبهة المقطّع قطعاً صغاراً رطلان و يدقّ دقاً جيداً حتى يصير كالدباغ، و يطبخ في ثلاثة أرطال من العسل المتزوج الرغوة، حتى يأتي في قوام المعاجين، و يستعمل أيضاً على صفة أخرى و هو أبدع: يؤخذ كينا ذكر و يطبخ في الماء وحده حتى تخرج قوته، و يصفى ذلك الماء من ثفله، و يضاف إلى مثله من السكر، فيأتي لطيفاً شفافاً ليس له كمية، و فعله باقي على حاله». كما أورد صفة صنعة المعسل المستعمل بتونس في الولائم: «يؤخذ من العسل المصقى، و يصب عليه من النشا محلول المصبوغ بالزعفران للرطل من العسل نصف رطل من النشا، و إن لم يحضر النشا فمن الدرنك محلول على تلك الصفة، و يصب عليه من الزيت ما يكفيه و يدام تحريكه حتى ينشع الزيت منه و يضاف إليه فلفل و قرفة و يسير كافور فيستعمل»<sup>٥</sup>.

١ - البكري، همس المصدر، ص 41

٢ - براشميك (روبار)، همس المرجع، ح 2، ص 287

٣ - همس المرجع، ص 288

٤ - براشميك (روبار)، همس المرجع، ح 2، ص 284

٥ - مؤلف عمهول، كتاب الطبيخ ، ص 249

## **الفصل الرابع**

# **وصايا في الفلاحة**

جعفر بن موسى الصادق  
الكتابي



# هاجون و تدبير الأرياف

هل تحتاج الزراعة إلى تأليف؟ قد يكون هذا السؤال طرحة الحكماء منذ أن حاولوا فك رموز معادلة المعاش و الكسب و العلوم. لكن قد يكونوا اكتفوا في بداية الأمر بالتلخيص لذلك في بعض النصوص، و كان ذلك في باب الحديث عن التدبير و الطبيعتيات. لكن سرعان ما أصبح فن التدبير وفن النبات غير قادرٍ على استيعاب الكلام في الزراعة، فأصبح الكلام في الفلاحة فنا مستقلًا بذاته، أحياناً في كتابة الاقتصاد الريفي وفي الفلاحة في أحياناً أخرى. وقد يكون ابن خلدون<sup>1</sup> أفضل حكيم لخص هذا التطور، حين درس في المقدمة تطور هذا الفن. فقد يبين كيف انتقلت الفلاحة من نشاط معاشي قديم و موروث، و من صناعة بدائية إلى صناعة متقدمة، و من ثمة إلى علم. ففي الباب الخامس من الكتاب الأول، و الذي خصصه للمعاش و وجوه الكسب و الصنائع و ما يعرض في ذلك كله من الأحوال، يقول ابن خلدون في الفصل الثامن، و الذي عنونه في أن الفلاحة من معاش المستضعفين و أهل العافية من البدو: «و ذلك أنه أصيل في الطبيعة و بسيط في منحاه. ولذلك لا تجده يتخلله أحد من أهل الحضر في الغالب، و لا من المترفين<sup>2</sup>.» ثم أضاف في الفصل الرابع والعشرين في باب الكلام عن صناعة الفلاحة: «هذه الصناعة ثمراتها اتخاذ الأقوات و الحبوب، بالقيام على إثارة الأرض لها

1 - اشتهر ابن خلدون بالخصوص بالمقدمة، لكنها لم تكن سوى مقدمة كتاب التاريخ الذي حل عوض كتاب العبر

2 - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، بيروت، 1992، ص 420

و ازدراعها، و علاج نباتها، و تعهده بالسقي و التنمية إلى بلوغ غايتها، ثم حصاد سبليه و استخراج حبة من غلافه و إحكام الأعمال لذلك، و تحصيل أسبابه، و دواعيه. و هي أقدم الصنائع لأنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبا.<sup>١</sup> و انتقلت الفلاحة، في النظرية الخلدونية، من مهنة ريفية إلى فن، فعلم مستقل عن العلوم الطبيعية الأخرى. فقد ذكر في الفصل السادس والعشرين من الباب السادس أن: «هذه الصناعة من فروع الطبيعتيات، و هي النظر في النبات من حيث تنميته و نشوئه بالسقي و العلاج و استجادة النبت و صلاحية الفصل و تعاذه بها يصلحه و يتمه من ذلك كله. و كان للمتقدمين بها عنانية كثيرة، و كان النظر فيها عندهم عاما في النبات من جهة غرسه و تنميته... و كتب المتأخرین في الفلاحة كثيرة، و لا يعدون فيها الكلام في الغراس و العلاج و حفظ النبات من حواojجه و عوائقه، و ما يعرض في ذلك كله و هي موجودة<sup>٢</sup>. بل و تفطن هذا العلامة إلى الدور الخطير للعلوم الزراعية في ضمان الاستقلال، و اعطي مثلا على ذلك كيف نجح المسلمون في الصمود في غرناطة و التصدي لحركة الاسترداد. فقد ذكر في الباب الرابع، و الذي عنونه البلدان و الأمصار و سائر العمران و ما يعرض في ذلك من الأحوال، وفي معرض حديثه في الفصل الثاني عشر عن أسعار المدن أنه: «... قد تدخل أيضا في قيمة الأقوات قيمة علاجها في الفلح، و يحافظ على ذلك في أسعارها كما وقع بالأندلس لهذا العهد. و ذلك أنهم لما أحاجهم النصارى إلى سيف البحر و بلاده المتوعرة الخيبة الزارعة النكدة النبات، و ملكوا عليهم الأرض الزاكية و البلد الطيب فاحتاجوا إلى علاج المزارع و الفُددن لإصلاح نباتها و فلحها، و كان ذلك العلاج بأعمال ذات قيم و مواد من الزبل و غيره لها مؤنة و صارت في فلحهم نفقات لها خطر فاعتبروها في سعرهم. و اختصَّ

1 - نفس المصدر، ص 432

2 - نفس المصدر، ص 548

قُطْرَ الْأَنْدَلُسِ بِالْغَلَاءِ مِنْذَ اضطُرَّهُمُ النَّصَارَى إِلَى هَذَا الْمَعْمُورِ بِالْإِسْلَامِ مَعَ سَوَاحِلِهَا لِأَجْلِ ذَلِكِ وَيَحْسِبُ إِذَا سَمِعُوا بِغَلَاءِ الْأَسْعَارِ فِي قَطْرِهِمْ أَنَّهَا لِقَلْةِ الْأَقْوَاتِ وَالْحَبَوبِ فِي أَرْضِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَهُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْمَعْمُورِ فَلَحَّا فِيهَا عِلْمَنَاهُ وَأَقْوَمَهُمْ عَلَيْهِ<sup>١</sup>. لَقَدْ حَاوَلَ ابْنُ خَلْدُونَ أَنْ يَبْيَنْ قِيمَةَ الْفَلَاحَةِ، أَقْدَمَ وَجْهَهُ الْمَعَاشَ، وَدُورَهُ لَا فِي كَسْبِ الْإِنْسَانِ قُوَّتِهِ فَحَسْبٌ بَلْ فِي تَمَاسِكِ كُلِّ الْأَصْنَافِ الْمَعَاشِيَّةِ الْأُخْرَى. وَلَئِنْ كَانَتِ الْفَلَاحَةُ هِيَ الْعَنْصُرُ الْحَيُويُّ الْأَوَّلُ لِدِيِّ أَهْلِ الرِّيفِ فَإِنَّهَا أَسَاسِيَّةٌ أَيْضًا لِضَيَّانِ الْخَضْرِ.

قَدْ يَكُونَ ابْنُ خَلْدُونَ عَبْرِيًّا، وَبَعْدَ مَرْوِرِ الْأَزْمَانِ، عَمَّا قَدْ يَكُونَ اخْتَلَجَ فِي نَفْسِ مَوَاطِنِهِ مَاجُونٌ وَمَا قَدْ يَكُونَ دُونَهِ فِي مُوسَوِّعَتِهِ الْفَلَاحِيَّةِ. وَلَئِنْ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا سُوَى بَعْضِ الشَّذِيرَاتِ الْمُتَنَاثِرَةِ فِي كُتُبِ الْفِلَاحَةِ الْرُّومَانِيَّةِ، عِنْدَ «أَوَارُونَ»<sup>٢</sup> وَ«فُولُومَلاً»<sup>٣</sup> وَ«بَالَاَدِيوُس»<sup>٤</sup>، وَالْمُؤْلِفَاتِ الْبِيُونَانِيَّةِ-الْبِيزِنْطِيَّةِ، فَإِنَّ وَصْفَهُ بِأَبِ الْاِقْتِصَادِ الرِّيفِيِّ قَدْ يَدْفَعُنَا إِلَى القُولِ بِأَنَّ مَاجُونَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَفَطَّنَ إِلَى أَهْمَيَّةِ الْفَلَاحَةِ فِي تَدْبِيرِ شَؤُونِ الْبَلَادِ، وَأَنَّ تَطْوِيرِهِ هَذَا النَّشَاطُ عَبْرَ وَضْعِ عِلْمَ زَرَاعَةِ هُوَ السَّبِيلُ الْحَمَاهِيَّةُ قَرْطَاجُ مِنْ أَطْمَاعِ رُومَا. لَكِنَّ كِيفَ وَصَلَتْ إِلَيْنَا مَقَاطِعَ مَاجُونَ فِي الْفَلَاحَةِ.

## البيونانيون والرومانيون

اعْتَادَ الْمُخْتَصُونَ فِي تَارِيخِ الْعِلُومِ، تَقْسِيمَ تَطْوِيرِ عِلْمِ الْفَلَاحَةِ فِي الْقَدِيمِ إِلَى حَقْبَتَيْنِ: حَقْبَةِ يُونَانِيَّةٍ وَآخَرِيَّةِ رُومَانِيَّةٍ. أَمَّا مَا يَتَعْلَقُ بِالْحَقْبَةِ الْأُولَى، وَرَغْمَ أَنَّ الْوَسْطَ الْطَّبِيعِيِّ فِي بَلَادِ الْإِغْرِيقِ لَمْ يَكُنْ يَشْجُعَ عَلَى تَعَاطِيِ النَّشَاطِ الْفَلَاحِيِّ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعْ مِنْ ظَهُورِ أَوَّلِ النَّصُوصِ الزَّرَاعِيَّةِ. لَكِنَّ يَتَضَعَّ أَنَّ تَأْيِيدَ الْمَدْرَسَةِ الْكَنْعَانِيَّةِ وَخَاصَّةَ الْمَصْرِيَّةِ كَانَ كَبِيرًا. فَلَقَدْ كَانَتِ الْفَلَاحَةُ

١ - بحسب المصدر، ص 388

(Varro) - 2

(Columelle) - 3

(Palladius) - 4

حاضرة في أرجوزة «أَزِيدُس» بعنوان الأعمال والأيام، وبالأرجوزة فتح المجال للتفكير في هذا الفن، ليبلغ عدد المؤلفين فيه الخمسين. و من أبرز علماء هذه الفترة يمكن أن نذكر: «اكرنفن» الذي ألف «الْأَيْكُنُمُحَّس». أرسطو طاليس و كتاب التدبير. «ثيفراشتُس» و كتاب علل النبات، و تاريخ النبات. ديمقراطيس و كتاب «الغَيْرِ غِيْكُس». و «بُولس المندسي»، الذي عاش في مصر في القرن الثاني قبل المسيح. ثم انتقل فن الفلاحة من الحوض الشرقي إلى الحوض الغربي، فظهرت أبرز المؤلفات في علم الفلاحة. حيث ألف «قاطون» أقدم المؤلفات التشريعية اللاتينية كتاب الفلاحة، الكتاب الوحيد الذي وصلنا من هذا المؤلف كاملاً، و الذي ورد في شكل ملاحظات ميدانية وإرشادات<sup>1</sup>. و ألف «واڑون» كتاب تدبير الأرياف اعتمد فيه على مصادر يونانية وأخرى لاتينية، من ثلاثة أجزاء تطرق فيها إلى مختلف الأعمال الزراعية. و ألف وزيليوس «الغَيْرِ غِيْكُس» سنة 37 قبل المسيح<sup>2</sup> أرجوزة قسمها إلى سفرين، كل سفر ينقسم إلى جزأين، كان الحديث في الجزء الأول من السفر الأول عن القمح والشعير والفول والبقول والبذور، وخصص الجزء الثاني للحديث عن الغراسات الثابتة مثل الكروم والزيتون. أما السفر الثاني فقد تكلم فيه عن فلاحة الحيوان في الجزء الأول، والطيور مثل الحمام والدجاج وغيرها من الطيور، والنحل في الجزء الثاني. وفي القرن الأول بعد المسيح ألف «قوُلُومَلَا» كتاب تدبير الأرياف وكتاب الشجر، حاول من خلالهما تقديم حلول للأزمة التي أصابت الأرياف الرومانية. و تطرق «بلينيوس الصغير» في موسوعة التاريخ الطبيعي إلى هذه الصناعة. و ألف بـالأدُّيوس في القرن الرابع بعد المسيح رُوْزَنَامَه جمع فيها مادة متنوعة استقاها من عديد المصادر اليونانية واللاتينية، وخاصة من كتاب «قوُلُومَلَا»، محاولاً تفهم ما يريد المزارع من إرشادات ميدانية وعملية. و فقد الكثير من الكتب كتلك التي ألفها كل من

1 - نفس المرجع، ص 81  
2 - عدل 5 Virgile, p

«سَاسَارْنَا» و «تَرْمِلْيُوسْ سَكْرُوفَا» و «دِيفَانُوسْ» و «فَلْرَانْطِينُسْ» و «يُولِيوسْ أَفْرِيقَائِسْ» و «الْكَوَانْطِيلِينْ» و «يُولِيوسْ فُرُونْطِينُسْ وَأَبُولِيوسْ». غير أنّ أهمّ ما فقد في هذه المكتبة المتوسطية موسوعة ماجُون، عالم قرطاج الأول، الذي كانت له مكانة كبيرة لدى أغلب علماء الفلاحة الرومان.

## ماجُون و الزومان

طالب مجلس الشيوخ في روما، بعيد تدمير قرطاج سنة 146 قبل المسيح، بترجمة موسوعة ماجُون الفلاحية، التي أصبحت من أهم مصادر علم الفلاحة الروماني. فقد سعت الإمبراطورية الصاعدة إلى ترجمة هذه الموسوعة عندما أمرت لجنة سناتورية تحت إشراف «دِيفِانُوسْ سَلَانُوسْ» بذلك. وقد كان هذا المؤلف الضخم عند ترجمته يتكون من ثمانية وعشرين كتاباً، ترجمها «كَسِيُوسْ دَيْسِيُوسْ الْأُوتِيقِيُّ» بعد ذلك إلى اليونانية، لكنه اختصرها من ثمانية وعشرين إلى عشرين كتاباً، وكان ذلك سنة 88 قبل المسيح. وتواصلت عملية النقل والتعديل عندما اختصر «دِيفِانُوسْ الْبِيشِينِيُّ» ترجمة «كَسِيُوسْ دَيْسِيُوسْ الْأُوتِيقِيُّ»، فأصبحت موسوعة ماجُون تتكون من ستة كتب، وكان ذلك سنة 64 قبل المسيح<sup>1</sup>. و تحدث المصادر عن ترجمة يونانية ثالثة قد يكون أجزءها «بُلَيْنْ دِيْ تُرْلَسْ»<sup>2</sup>.

لقد اختلف القدامى في تقسيم هذه الموسوعة، فمن منبهر بها ألفه ماجُون إلى مستنقضٍ لها. لكن ينبغي هنا أن أنبئه إلى أن اختلاف الآراء حول موسوعة عالم قرطاج. تزامنت مع تضارب المواقف حول مكانة الفلاحة في الاقتصاد البوبي. فقد كان الاعتقاد السائد أن التجارة البحرية هي النشاط الاقتصادي الأوحد، حتى إن «قيقرُون» كان يعيّب على البوبيين عدم اهتمامهم بالفلاحة<sup>3</sup>، وهذا ما يتعارض مع ما ذكره «دِيُودُور الصِقْلَيُّ» عن خصوصيات المشهد الريفي

1 - نفس المرجع، ص 44  
2 - (Pollio de Trolles)  
3 - Ciceron, *De republica*, II, 4, 7 - ابط. 3

القرطاجي<sup>١</sup>. أما فيما يتعلق بالأراء حول القيمة العلمية لمؤلف ماجُون، فقد نحصرها في توجهين اثنين: موقف «قُولُومَلَا» الذي اعتبر ماجُون البُونِي «أب الاقتصاد الريفي»، وهو الذي نجح بدوره في وضع أهم موسوعة فلاحية في التاريخ القديم<sup>٢</sup>. وخالف بذلك رأي «وَارُون»، الذي قلل من أهمية ما كتبه ماجُون<sup>٣</sup>. وازدادت إشكالية موسوعة ماجُون تعقيداً في الدراسات الحديثة، وتناولها بالدرس كبار المختصين في التاريخ القديم، خاصة «رُنِي مَارْتان» و«جاك هورغون». فلئن حاول «رُنِي مَارْتان» استغلال ما تبقى من مقاطع موسوعة ماجُون لدراسة الفلاحة البونية، فإن «جاك هورغون» عمل على حل إشكالية لطالما حيرت الباحثين، لماذا سارع الرومان إلى ترجمة تلك الموسوعة فور تدمير قرطاج؟ في حين «جاك هورغون» بعد أن درس تلك المقاطع، أهمية هذه الموسوعة بالنسبة إلى الاستعمار الزراعي الروماني، حين شبهها بالكتاب المقدس. أما في الآونة الأخيرة فقد ظهرت دراسة، أقل قيمة علمية، حاول فيها أصحابها التقليل من أهمية هذه الموسوعة بالتركيز على الأسباب التي دفعت المترجمين إلى تعديل و اختصار ما ورد في النص الأصلي، فكانت مجرد «عملية استعراضية» تفتقر إلى ركيائز متينة.

لقد نبه «جاك هورغون» إلى هلينية ما كتبه ماجُون، الذي من المرجح أن يكون عاش خلال الخربين بين قرطاج وروما. لكن هذا الرأي لا يمكن أن ينقص بحال من الأحوال من قيمة الشهادة التي قدمها «قُولُومَلَا». لذلك فإنه يبقى من المجدى عدم إغفال الأسباب الأخرى التي قد تكون دفعت بروما إلى الترجمة رغم وجود كتاب «قاطون». لعل من بين هذه الدوافع رغبة هذه الإمبراطورية في التعرف على أرياف قرطاج قصد إنجاح استعمارها الزراعي.

1 - عد إلى Martin (R ), *Recherches sur les agronomes latins et leurs conceptions économiques et sociales*, Paris, 1971, p40

2 - عد إلى Columelle, *De l'agriculture*, Dans Les agronomes latins, M NISARD, Paris, 1874, I, 1, 13

3 - عد إلى 10 Varron, *Économie rurale*, trad HEURGON (J ), Paris, 1978 I, 1, 10

وأعود مجدداً إلى ما كنت قد بدأت به، عن علاقة ماجُون بابن خلدون، فقد أمرت فرنسا نقل كتاب ابن خلدون إلى الفرنسية، لأنها كانت تبحث قبل كل شيء عنها يُعرفها بذهنيات شعوب المغرب العربي، وقد لا تجد أفضل من ابن خلدون، كما وجدت روما ذلك في شخص ماجُون.

ومهما يكن من أمر فإن المكتبة الفلاحية الرومانية احتوت على أهم المقاطع المنسوبة إلى ماجُون، في كتابات كل من «وارون» و«ورجيليوس» و«قولوملا» و«بلينيوس» و«بالاديوس».

## ماجُون و الروم

بعد «بالاديوس» عاد علم الفلاحة من جديد إلى الخوض الشرقي. فقد اهتم أفريقانس، الذي عاش بالرها في نهاية القرن الثاني ومطلع القرن الثالث بعد المسيح، بالفلاحة من جهة خواصه، وقد يكون تأثير بديمقرطيس المنداسي رئيس مذهب «الفوزيقا». وألف «فلرنطينس»، الذي عاش في القرن الثالث بعد المسيح كتاباً في الفلاحة حمل عنوان «الغَيْرِغِيْكُس»، وألف «ديدمُس الإسكندراني»، الذي عاش في القرن الخامس بعد المسيح، «الغَيْرِغِيْكُس». لكن يبقى «كَشِينُوس بَاسُوس سُخْلَاسْتِيْكُس»، أهم من ألف في الفلاحة في الفترة البيزنطية الأولى، وهو الذي استهورته الزراعة فوضع كتاباً في هذا الغرض أهداه إلى ابنه «بَاسُوس»<sup>1</sup>. حمل كتابه عنوان الغَيْرِغِيْكُس، انتهي في أسلوباً إرشادياً غير مُعَقَّد، فورد الكتاب في شكل مُتَخَبٍ في الفلاحة، جمع فيه كل ما وجده في كتب «فلرنطينس» و«ديدمُس» و«أواندانيس أناطليوس البيريوي»<sup>2</sup>. وظهر في القرن العاشر بعد المسيح مُتَخَبٌ في الفلاحة بعنوان «الغَيْرِغِيْكُس»، يعود تجميعها إلى الفترة الواقعة ما بين 333 و 348 للهجرة

1 - راجع ديباجة الحمراء الثامن

- Cassianus Bassus Scholasticus, *Geoponicorum sive de re rustica libri XX*, Lipsiae, 1895

2 - الطربلي (بوراوي)، شأة علم الفلاحة العربي، تونس، 2005، ص 114

/ 944 و 959 بعد المسيح<sup>1</sup>. و تكون «الغِيَّبِينِيُّكْس» من عشرين جزءاً، كل جزء حمل رقاً و ديباجة تحتوت على عناوين الأبواب، و وردت في شكل مقاطع في الفلاحة، حرص واضع الكتاب على ذكر أصحابها من علماء الفلاحة. و من غير المستبعد أن يكون فُسْطَنْطِينِيُّن الساِبِع كلف أحد أعوانه بتجميع مادة الكتاب من المؤلفات الرئيسية الثلاث: «دِيدِمُس» و «أَوَانَدَائِيُّس آنَا طَلِيُّس الْبَيْرُوقِي»<sup>2</sup>، «كَسْيَنُوس بَاسُوس»، ليبلغ عدد المصادر ثلاثة وثلاثين لعل أبرزهم: «كَرَنْقُن» و«أَفْلَاطُون وَأَرْسْطُو طَالِيس وَيَقْرَاسْتُس» و«وَارُون» و«بُولُس المُنْدَاسِي» و«أَفْرِيقَائِس» و«فُلْرَانْطِيُّس» و«دِيدِمُس» و«آنَا طَلِيُّس الْبَيْرُوقِي» و«كَسْيَنُوس بَاسُوس». و من بين من نقل عنهم نجد «دِيُوفَان البيشني»، مترجم موسوعة العالم القرطاجي إلى اليونانية. و رغم أنها مقاطع عرفت رحلة طويلة عبر الزمن والمكان، فتبعت مضمونها وشكلها، فإن ذلك لا يشكك في نسبتها كمقاطع في الفلاحة إلى العالم القرطاجي ماجُون.

---

1 - نفس المرجع، ص 119

2 - اسطر 290, p 291 Lemerle (P ), *Le premier humanisme byzantin*, Paris, 1971,

# ماجُون من خلال مقاطع رومانية وبيزنطية

صَرُورَةً تَعَاهُد صَاحِبَ الضَّيْعَةِ هَا.  
قال الشاعر: إذا رَغَبْتُمْ فِي شَيْءَاءِ ضَيْعَةٍ شَاسِعَةٍ فَاخْرُصْ أَلَّا تَزْرَعْ إِلَّا قَسْمًا  
صَغِيرًا مِنْهَا. لَثَلَا تَصْعُبُ عَلَى زُرَاعَاهَا خَدْمَتَهَا<sup>1</sup>. قال ماجُون: ينبغي بيع  
متلكك الذي هو في المدينة إذا ما اشتريت أرضاً<sup>2</sup>.

## فَقَى يَكُونُ الْأَرْضُ

يرى ناس أن لا تزرع عند نقصان القمر، بل يكون الزرع عند كماله.  
وآخرون يرُون الزرع من الليلة الرابعة إلى الثامنة عشر. ويستحب ناس  
من الزراع أن يكون في بداية الشهر. وآخرون يخشون الزرع كله من الليلة  
العاشرة إلى العشرين، لثلا يؤثر ضوء القمر على خصب الزرع. لكن من  
الحكمة أن يكون الزرع عندما يكون القمر تحت الأرض ويكون قطع الشجر  
للبناء عندما يكون القمر فوق الأرض<sup>3</sup>.

1 - اطر Columelle, I, 3

2 - اطر Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle*, texte établi, traduit et commenté

par Henri Le Bonniec, (J ), Paris, 1972, XVIII, 35

3 - اطر Géponika, I, 6

## طحن الحبوب المفتالة

قال ماجُون: ينبغي أن يُغسل البرّ<sup>١</sup> بكثير من الماء لإزالة قشره، ثم يترك الحرّ الشمس بعد ذلك يطحّن. و طحن الشّعير كطحّن البرّ. يقول ماجُون: ينبغي غسل عشرون سُتّيَّة شعير بستّيتين ماء. أما العَدْس فينبغي قبل كل شيء وضعه على النار و طحنه بعد ذلك برفق، لكلّ عشرين سُتّيَّة عَدْس قطعة آجر غير مطبوخة و نصف صاع من رمل. أما السَّمِيس<sup>٢</sup> فيُنفع في ماء ساخن ثم يُفرك و يُغمَس في ماء بارد ليطفو تبنّه، ثم يُفرش الحرّ الشمس فوق خرق من قماش. وإذا لم يسرع عند عمل ذلك فإن لونه يصبح أملجّ فَيُعْفَن.<sup>٣</sup>

## أوان غرس الكلم

ينبغي أن تستقبل الكروم ريح الشّمال ليكثر نزها<sup>٤</sup>.

## حفرة الغرس

قال ماجُون: لا ينبغي أن يكون ردم حفرة أصل الغرس كاملاً في عامها الأول، بل يكون ملأ الحفرة تدريجياً و ذلك لترسخ العروق.<sup>٥</sup>

## كيف يغرس الكلم

قال ماجُون: ينبغي لغارس الكلم أن يجعل بين عروق الغرس، عند تحويلها، الحجر لأنّه يقيها ضرر الماء في الشّتاء و الحرّ في الصيف. ويقول ماجُون: يجعل ثُقل ما بقي من فضول العنبر مع شيء من سرجين لأن الثُقل يشدّ عروق الكلم، و السرجين يُدَفِّيَا في الشّتاء البارد و الرّطب و يُغَدِّيَا في

1 - هو الفتح

2 - هو المخلجان

3 - اطر Pline l'Ancien, XVIII, 97-98

4 - اطر Columelle, III, 12

5 - اطر Palladius, *De l'économie rurale*, trad CABARET-DUPATY (M), Paris, 1844, III, 10, Columelle, V, 5

الصيف ويسكن الحرارة<sup>١</sup>.

### أوان قطع الكزوم

قال ماجون: ينبغي قطع الكزوم في الربيع قبل أن يرعم، فهـي كثيرة العصـير، فيسهل شدـخها فلا تقوـى على المـقضـب<sup>٢</sup>.

### شراب قزطاجي

قال ماجون: ينبغي قطف الحـُكـُوم و عنـبـها غـصـبا و رـخـوا، يـطـرح عنـبـها العـنـبـ الذي أصابـهـ الفـسـادـ، ثم يـحـفـرـ قـدـرـ أـرـبـعـةـ أـذـرـعـ فـيـ الـأـرـضـ، و يـصـيـرـ فـيـ الـحـفـرةـ أوـتـادـاـ تـرـتفـعـ أـطـرافـهاـ عـلـىـ الـأـرـضـ، تـصـلـهـ بـعـصـيـ قـادـرـةـ عـلـىـ حـلـ القـصـبـ، و تـبـادـرـ إـلـىـ الـعـنـاقـيدـ فـتـغـشـ عـلـىـ ذـلـكـ القـصـبـ و تـقـرـ كـهـيـتـهاـ حـتـىـ يـصـيـهـ حـرـ الشـمـسـ، و يـبـغـيـ أـنـ تـغـطـيـ فـيـ اللـلـيلـ كـيـ لـاـ يـصـيـهـ نـدـيـ اللـلـيلـ، وـ حـيـنـ تـبـسـسـ، تـنـزـعـ حـيـرـهاـ و تـلـقـيـ بـهـ فـيـ خـايـيـهـ بـهـ عـصـيرـ لـمـ يـطـبـخـ، فـيـعـلـوـ ذـلـكـ الـحـيـرـ. وـ فـيـ الـلـيـلـةـ السـادـسـةـ، وـ حـيـنـ يـبـتـلـ الـحـيـرـ فـيـتـفـخـ بـفـعـلـ ذـلـكـ الـعـصـيرـ، تـقـرـهـ فـيـ سـبـيـتـ، ثـمـ يـعـصـرـ، ثـمـ تـأـخـذـ ذـلـكـ الشـرـابـ وـ تـصـبـهـ عـلـىـ ثـفـلـ عـصـيرـ جـدـيدـ غـيرـ مـطـبـوخـ مـعـ عـنـبـ أـصـابـتـهـ لـلـشـمـسـ مـدـدـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ، ثـمـ يـطـاءـ ذـلـكـ الشـفـلـ وـ طـاءـ شـدـيدـاـ حـتـىـ يـخـتـلطـ مـعـ ذـلـكـ الشـرـابـ، ثـمـ يـعـصـرـ عـصـرـةـ ثـانـيـةـ، بـعـدـهـاـ يـوـضـعـ فـيـ جـرـارـ، يـغـطـ رـأـسـهـاـ وـ تـقـرـ كـهـيـتـهاـ طـيـلـةـ عـشـرـينـ أـوـ ثـلـاثـينـ يـوـمـاـ، ثـمـ تـنـقـلـ إـلـىـ جـرـارـ جـدـيـةـ تـطـيـئـ فـوـهـتـهاـ بـجـصـ وـ تـلـقـ بـجـلـدـ<sup>٣</sup>.

### أوان غرس شجرة الزيت

قال ماجون: وذلك أن أوان غرس شجرة الزيت في الأراضي الجافة يكون في الخريف<sup>٤</sup>.

1 - انظر 15 Columelle, III,

2 - انظر 10 Columelle, IV,

3 - انظر 29 Columelle, XII,

4 - انظر 20 Géponika, IX,

## **هي أمر حفرة شجرة الزيت**

قال ماجون: ينبغي أن يكون بين حُفريَّتَيْنِ خمس وسبعون قدماً من كُلِّ الجهات، أو على الأقلّ خمس وأربعون قدماً في الأرض الحلوَّة و الجافَّة وكثيرة الرياح.<sup>١</sup>

## **الأرض التي تغرس فيها شجرة الزيت**

قال ماجون: ينبغي أن يكون غرس شَجَرَةِ الْزَيْتِ في جُرْفِ الْهَضَابِ، في الأرض الجافَّة والمطينة من الخريف إلى الشتاء، وفي الأرض القويَّة وكثيرة الإنداء أو قليلة من الصيف إلى الخريف.<sup>٢</sup>

## **نَتَاجُ الْجَبْرِ وَالْبِغَالِ**

قال ماجون: أوان نَتَاجِ الْجَبْرِ وَالْبِغَالِ إذا بلغت عاماً.<sup>٣</sup>

## **هن أمر اختيار الثيران عند الشراء**

قال ماجون: ينبغي لِمَنْ أراد شراء ثيراً أن تكون صغيرَة السن ورَبعةَ ضحْمِ القوائم، قَرْنَاهُ أسودَين وقويين، عريضَ الجبهة جَعْدَة، أسود العَيْنَيْنِ وَالْخَطْمِ، متَفَشِّلَاً الأذْنَيْنِ، مَفْطُوسُ المُنْخَرِيْنِ، كثيفَ شعر طرفه، واسعَ العَيْنَيْنِ متَدلياً إِلَى الساقِيْنِ، عَرِيضَ الصَّدْرِ وَالْذَرَاعَيْنِ، ضَخْمَ البَطْنِ، مُعَدَّدَ الْوَرْكَيْنِ، عَرِيضَ الْكَلْيَتَيْنِ، مُسْتَقِيمَ الظَّهَرِ وَمَبْسُوطٌ وَبِالْأَخْرَى أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ الْانْحِنَاءِ، مُسْتَقِيمَ الساقِيْنِ عَرِيضَتِيْنِ، قصِيرَتِيْنِ خَيْرٌ مِنْ طُولِهِما، ضَخْمَ الْحَوَافِرِ، طَوْيلَ الذَّنْبِ، شَعْرَهُ كَثِيفٌ وَقَصِيرٌ، أَصْبَهَبَ اللَّوْنَ أَوْ أَسْمَرَ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَاعِمًا وَنَاصِعًا.<sup>٤</sup>

1 - اطْر Pline L'Ancien, XVII, 93

2 - اطْر Pline l'Ancien, XVII, 128

3 - اطْر Varron, II, 1, 27 , Columelle, VI, 37

4 - اطْر Columelle, VI, 26

## من أمر وجة العجل

قال ماجون: ينبغي خصي العجل و هي صغيرة السن، و لا ينبغي أن يكون الخصاء بالحديد، بل ينبغي أن يشد الحصيتين بعود فيسحقهما شيئاً فشيئاً. إن هذه الطريقة محمودة. لكن إذا رغبت في تأجيل ذلك إلى أن يقوى العجل، فليكن الخصي في العام الثاني دون الأول. و ينبغي أن يكون الوجه في الربيع أو في الخريف، عند نقصان القمر. إذا كان الخصي. قال ماجون: إذا كان الوجه بالحديد، فينبغي عند ذلك أن يمسك الحصيتين بلوحين من خشب، فيشق كيس الحصيتين بمشاقيس الحديد فيقطع الحصيتين. و ينبغي طلي الجرح برماد قضيب الكرم وزيد الفضة. و يترك الحيوان دون شراب في ذلك اليوم و لا يقدم له كثير العلف. و بعد ثلاثة أيام يقدم له أوراق الشجر و العلف الأخضر على دفعات و يمنع عنه الماء. و ينبغي طلي الجرح طيلة تلك الأيام الثلاث بزفت مذاب و رماد و قليل من الزيت كي يتلشم الجرح و لا يقربه الذبابة<sup>1</sup>.

## العناية بالنحل

قال ماجون: ينبغي ذبح عجل في فصل الصيف كي لا يهرب النحل، أو أن يكتفي بأمعاء العجل<sup>2</sup>.

## كيف تكون الفخل من ذكر النحل

قال ماجون: لا ينبغي إبادة ذكر النحل كلها، بل طردها، لأن استصالها يحيث النحل على الكسل<sup>3</sup>.

## أوان الغرس

قال ماجون: ينبغي غرس شجر اللوز في الخريف إلى أول الشتاء. ينبغي

1 - انظر 23

2 - انظر 14

3 - انظر 15

أن لا تغرس كل أنواع الإجاص في نفس الوقت، لأن نصوصها ليس متزامناً، لذلك يكون غرس تلك التي ثمارها مستطيلة أو مدورّة من مغيب الشّرّى إلى الشّتاء. أمّا باقي الشّثار في وسّط فصل الشّتاء.<sup>١</sup>

### في غرس التفاح

إذا أضيّفَ قضيب التفاح إلى شجرة الغار<sup>٢</sup> وشجرة الكُمْتُر<sup>٣</sup> كان في ذلك التفاح حُورة.<sup>٤</sup>

### في غرس اللوز

قال ماجون: ينبغي غرس اللوز في أرض طين رخوة، فيجعل طرف اللوزة الممتدة إما يلي الجنوب، وقد يستحبّ غرس اللوز في الأرض اليابسة والحرّة، وقد تموت شجرة اللوز أو لا تُثمر في الأرض الندية الرقيقة. وينبغي غرس اللوز التي تتحذّذ شكل المنجل والتي هي من صغار الشّجر. وبعد أن تنقع في ساد مركب طيلة ثلاثة أيام، أو ليلة الغرس، ينقع في ماء معسل. وينبغي أن يثبت في الأرض من الرأس وليستقبل الحد الشّمال. وينبغي أن يغرس أثلاثاً أثلاثاً، على هيئة المثلث، قدر شبر. وينبغي أن يُسقى كل عشرة أيام إلى أن يُظهر على وجہ الأرض.<sup>٥</sup>

### في حفل بذر الغرس من أرض إلى أرض

قال ماجون: ينبغي عمل ذلك قبل عام ليتشبع حُورة الغرس بالشمس والأمطار، وإن لم يكن ذلك ممكناً، فليُعمد إلى إشعال نار وسط حُورة الغرس، قبل شهرين، على أن لا يوضع البذر قبل أن تصيب تلك الحُورة

1 - اطر Pline l'Ancien, XVII, 131

2 - الرّيد في اللاد التّونسيّة

3 - المقصود بها الإحاصي الري أو المحي

4 - اطر Géoponika, X, 20

5 - اطر Pline l'Ancien, XVII, 63

الأمطار. أما عُمق حُفْرَة الغرس في أرض طين أو يابسة، ثلاثة أذرع في كل الجهات، وزيادة شبر على ذلك عند الانحدار، بطريقة تكون على هيئة مَوْقد تضيق فوره في الأعلى. وفي الأرض السوداء يكون قدر حُفْرَة الغرس ذراعين وشبر، في شكل مربع متساوي الأضلاع.<sup>١</sup>

### هي صياغة الزهان

قال مَاجُون: يَنْبَغِي أن يغلى ماء البحر جَيْداً، فيغمس للحظات الرُّمَان بعد أن شدَّ يَكْتَان أو نبت الْوَزَال إلى أن يفقد حرته، و بعد انتشاله يجفف في الشَّمْس طيلة ثلاثة أيام، بعد ذلك يوضع في مكان بارد، وإذا بدا لأصحابه أكله غَسْلُوه عن قشره بالماء البارد طيلة ليلة كاملة. وَرُبَّ من يطلي الرُّمَان إذا بلغ إِيَّاه بجَصٌّ وترفع في مكان بارد، ثم تغمس في ماء بارد بعد أن يتنزع عنها ذلك الجَصُّ، فإنها لا تزال غَصَّة. وَمَا يُصَان به الرُّمَان كذلك أن يُعْمَد إِلَيْه إذا بلغ إِيَّاه أن يُوضَع في قَعْرِ إِناءٍ في نَسَارَة خشب الحُور<sup>٢</sup> أو الْبَلُوط الأخضر، تَعْلُو طرفاً و أعلاه، و تفرش طبقة ثانية من الرُّمَان و تُغْطِيَها بتلك النَّسَارَة، إلى أن يمتَلأ ذلك الإناء فَيُجَصَّصُ.<sup>٣</sup>

### البَرْوَاق<sup>٤</sup>

قال مَاجُون: يُقطَع البرُّوَاق في آخر شهر مارس إلى بداية شهر أبريل، بعد أن يزهر، و قبل أن يكبر بزره، تفلق قضبانه، و يطرح للشَّمْس، و في اليوم الرابع تتحذَّد منه حزماً عندما تجففها الشَّمْس.<sup>٥</sup>

1 - اظر Pline l'Ancien, XVII, 63

2 - شجرة الصُّمَصَاف في اللَّاد التُّوبَية

3 - اظر Columelle, IX, 15

*Asphodelus microcarpa* - 4

5 - اظر Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle*, texte établi, traduit et commenté par Jacques André, Paris, 1969, XXI, 110

## أوشنس<sup>١</sup>

قال ماجون: اليونانيون يسمون أوشنس البَتَّة المائِيَّة التي نسميها «السهمي»<sup>٢</sup>. ينبغي قشر لحائتها من شهر مايه إلى آخر شهر أكتوبر، تجفف تحت أشعة الشمس<sup>٣</sup>.

## الصبار<sup>٤</sup>

قال ماجون: ينبغي قطع نوع من نبت سيف الغراب من جذورها، وهو نبت المستنقعات، يجفف تحت الشمس في اليوم الثالث إلى أن يبيض، لكن ينبغي إدخالها قبل عروب الشمس كي لا يصيبيها إنداء الليل المضر بنبات المستنقعات بعد قطعها<sup>٥</sup>.

## السمار<sup>٦</sup>

قال ماجون: يتخذ السمّار لصنع الخصير. ينبغي أن يجمع من شهر يوليه إلى متصف يوليه، يجفف كما يجفف النبت الذي يسمى الأشنة<sup>٧</sup>.

## صيد الذئاب

إذا أردت صيد الذئاب فاعمد إلى سمك بحري قوي الرائحة وخذ منه سمكة واحدة وقطعها قطعا، ثم اشدها شدحا بالغا وأشعّل نارا في الغاط الذي تأتيه الذئاب، واقذف فيها كتلة من ذلك السمك، فإذا انتشر دخان

οιστος - ١

2 - قدم المختصون الاسم العلمي التالي *Sagitta sagittifolia L.* وهو الست الذي يتحدورقه شكل السهم، لذلك سمي بالفرسية *Sagittaire*، لكن بالعودة إلى المص يندو أن ماجون كان يتحدث عن الست المعروفة في البلاد التونسية *Ampelodesma mauritanicum* والاسم العلمي *Agave americana* وبالفرنسية يسمى *Juncus acutus* - 3

3 - انظر *Pline l'Ancien*, XXI, 111

4 - يدلّ أنه الست المعروفة في شمال البلاد التونسية بالسمّار وبالفرنسية يسمى *Agave americana* والاسم العلمي

5 - انظر *Pline l'Ancien*, XXI, 111

6 - *Juncus acutus* - 6

7 - يسمى باليونانية بـ θρυον (θρυον) وبالفرنسية *lichen* ويسمى في البلاد التونسية كثبة العُخُور و كذلك الحرار

*Pline l'Ancien*, XXI, 112

ذلك السمك ، فاطرح حول تلك النار قطعا من اللحم ثم أخذ تلك النار فإن الذئاب تقبل على رائحة ذلك السمك و تأكل من قطع ذلك اللحم فتربيضه ويُغشى عليها ، وإذا وجدتها على تلك الحالة فاقتلها<sup>١</sup> .



## **فقد الذاكرة الفلاحية**

ما يثير الاستغراب أن البلاد التونسية في الفترة العربية الكلاسية لم تساهم في إثراء علم الفلاحة. بل تزداد الأمور تعقيداً إذا ما لاحظنا أن إفريقية، التي كانت تلعب دائياً همزة الوصل بين المشرق والأندلس، لم تنقل كتب الفلاحة من العراق إلى إسبانيا، وهي التي كانت محطة رئيسية في انتقال الفكر المشرقي إلى الأندلس. فكيف يمكن أن نفسر ذلك؟ هل أن ما اصطلاح عليه باتكاسة الفلاحة في الفترة الكلاسية يمكن أن يفسر العزوف عن التأليف في الزراعة؟ أم هناك أسباب أخرى اختص بها المغرب عامة وإفريقية خاصة.

### **كتب الفلاحة في المشرق والأندلس**

اطلع العرب قبل الإسلام على التراث اليوناني انطلاقاً من ثلاثة مراكز سُريانية، نصيبيين والرها بسوريا، وجندىسابور بفارس. وكان من بين أشهر النقلة والعلماء الذين استوعبوا الفكر اليوناني في صورته الهلننية وأسهموا في إيصاله إلى العرب عند بداية ظهور الإسلام سرجيُّس الرَّأْسَ عَيْنِي<sup>١</sup>. لتعرف حركة الترجمة والنقل بعد ذلك ازدهاراً كبيراً في العصر العباسي الأول، حين ازدادت حاجة الخلافة إلى الكتب اليونانية المخزونة في بِيَرْنَطَة. فقد أمر هارون الرشيد بجلب الكتب من أنقرة وأنطاكية وعمورية وكلف يوحنا بن

Chabot (J B), *Littérature chrétienne de l'Orient*, ابطر Sergios de Theodosiopolis - 1  
Paris, 1934, pp 44-79, Miel (A), *La science arabe et son rôle dans l'évolution*,  
Leyde, 1966, p 66

ماسویه بذلك<sup>1</sup>، كما أرسل المأمون السفارات لجلب الكتب من بلاد الروم<sup>2</sup>، ومن غير المستبعد أن يكون من بينها كتاب «كَسْيِنُوس بَاسُوس» الذي عرف عديد النقول وعديد التعديلات. فقد نقل من اليونانية إلى السريانية ومن السريانية إلى الفهلوية ومن الفهلوية إلى العربية. وأولى التعديلات كانت في الحلقة اليونانية-السريانية والحلقة السريانية-الvehloية، وأصبح الكتاب يسمى باللسان الفارسي رُوْزَنَامَه وبالعربية كتاب الزرع. ويمثل كتاب الفلاحة الرومية الحلقة الرابعة في سلسلة نقول كتاب «كَسْيِنُوس بَاسُوس» وأول عملية تعديل وتحيين في كتب الفلاحة المقاولة، وأصبح من الجائز الحديث عن بداية تشكيل النواة الأولى لعلم الفلاحة العربي. وفي القرن الرابع للهجرة تمت ترجمة كتاب الفلاحة البطية حين نجح ابن وحشيشة في بعث علم الفلاحة العربي، واستطاع جمع كل النصوص البيزنطية في الفلاحة وقام قبل نقلها بعملية تأليف نادرة في التاريخ، استطاع فيها التوفيق بين ثلاثة مصادر رئيسية متباينة التوجهات: «كَسْيِنُوس بَاسُوس» و«أَبُلُنِيس التِّبَانِي وَقَسْطَوْس» كتاب الفلاحة الرومية الذي عدل وحور كتاب «كَسْيِنُوس». ولم يكتف ابن وحشيشة بتأليف هذه المصادر الثلاث المقاولة بل أضاف إليها خبرات طائفته الكلدانية، التي اشتهرت بخبراتها الزراعية، خاصة الزراعة السقوية. لقد كانت عملية تأليف كبرى لم يعرفها علم الفلاحة من قبل، بعثت للوجود أول كتاب فلاحية بهم العراق والشام، جمع مصادر بيزنطية مكتوبة، وخبرات زراع القرى العراقية في العصر العباسي الأول، زراع كان قد اشتغل أجدادهم بالزراعة منذ الفترة الآشورية، وأطلق العرب على أحفادهم تسمية الأعلاج. انتقل علم الفلاحة العربي بعد ذلك من العراق إلى اليمن، والتي تعددت فيها المؤلفات الفلاحية زمن الرسل، وكانت في شكل كتب وأراجيز. وقد ارتبط ظهورها بعلم النجوم فكان ظهور الرُّوْزَنَامَه الزراعية اليمنية. وكانت أول رُوْزَنَامَه في شكل أرجوزة من وضع البحر النعامي في نهاية القرن

1 - القبطي، نفس المصدر، ص 380

2 - ابن الديم، نفس المصدر، ص 243

الخامس للهجرة / الحادي عشر<sup>١</sup>، وأرجوزة نشوان بن سعيد الحميري 573 للهجرة / 1177<sup>٢</sup>، وأرجوزة عبد الله بن أسعد البافعي 768 للهجرة / 1367<sup>٣</sup>، ورُؤْنَامَهُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ عَمْرُ تَحْتٍ عَنْوَانُ كِتَابِ التَّبَصْرَةِ فِي عِلْمِ النَّجُومِ<sup>٤</sup>، ورُؤْنَامَهُ الْقَاضِيُّ أَبُو الْعُقُولِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الطَّبَرِيُّ<sup>٥</sup>، ورُؤْنَامَهُ مُؤْلِفُ مَجْهُولٍ، تَحْتَ عَنْوَانِ فَصُولِ مَجْمُوعَةِ فِي الْأَنْوَاءِ وَالزَّرْوَعِ وَالْحَصَادِ<sup>٦</sup>، ورُؤْنَامَهُ الْمَلِكُ الْفَضْلُ الْعَبَاسُ تَحْتَ عَنْوَانِ بَغْيَةِ الْفَلَاحِينِ، وأرجوزة شهاب الدين أحمد الزملي<sup>٧</sup>. وبعد المرحلة اليمنية انتقل علم الفلاحة في الفترة العربية الكلاسية، ومن جديد إلى الحوض الغربي وتحديداً بلاد الأندلس.

### **الأفارقة درءون العاليف في الفلاحة**

ما الذي حدث في إفريقيا في الفترة الكلاسية كي لا تشارك في نشر هذا العلم؟ هل لهذا الموقف علاقة بوضع الفلاحة في هذه الأرض؟ أم أن السكان يأنفون من الاشتغال بالزراعة، وبالتالي يتعالون عن التأليف فيها؟ هذا ما قد نفهمه من كلام ابن راشد الذي عاش في الفترة الحفصية حين قال: «لما حللت، وجدت تلك البضاعة لا تعرف وتلك الطريقة لا تؤلف، وإنما دأب أهلها نخل يأبرونها وغلة يشطرونها، وأرض للزراعة يتبرونها، طاب العلم بينهم كالمصبح في الصباح، وكالقيمة بين الملاح... الله در القائل، وإن لم يأت في وصف الفلاحة بطائل»:

أعني الخطيئة لاعتري حراثاً

وترد ذكران العقول إناثاً<sup>٨</sup>

بلد الفلاحة لو أتاه جدول

تصدى بها الأفهام بعد صقاله

1 - انظر Varisco (D M ), The Almanac of a Yemeni Sultan, London, 1994, p 10

2 - نفس المرجع

3 - نفس المرجع

4 - نفس المرجع

5 - نفس المرجع

6 - نفس المرجع

7 - نفس المرجع، ص 11

8 - حسن (محمد)، نفس المرجع، ح ١، ص 409

هذا ما يتعارض مع ما ذكره ابن عبدون حين قال: «ال فلاحة هي العمran، و منها العيش كله، والصلاح جله، وفي الحنطة تذهب النفوس والأموال، وبها تملك المداين والرجال، وبيطانتها تفسد الأحوال، وينحل كل نظام»<sup>1</sup>. تلك أسلمة عديدة قد يصعب علينا إيجاد إجابات لها. لكن ابن خلدون قد يكون أفضل مساعد لنا، وهو الذي تكلم عن الفلاحة في مقدمته. لكن قبل ذلك علينا أن نعود ولو قليلاً إلى ما ذكرناه في فصول سابقة عن إشكالية البدأة والزراعة في إفريقية في الفترة العربية الكلاسية.

قد يربط البعض عدم التأليف في الفلاحة إلى انتكاسة هذا النشاط خاصة بعد معركة حيدران وهي التي اعتبرها البعض الكارثة التي كانت وراء خراب إفريقية؟ لكن، ومن المفارقات العجيبة أن ابن خلدون والذي روج تلك الصورة المشوهة عن دور العريان في «الكارثة»، بعد أكثر من ثلاثة قرون من تاريخ انهزام المخزن الصنهاجي أمام بني هلال<sup>2</sup>، هو الذي قد يرشدنا إلى السبب الرئيسي أمام العزوف عن التأليف في الزراعة. ففي باب الحديث عن الفلاحة، و عند تفسيره لماذا يختص متاحف هذا النشاط بالملذلة، فسر ذلك بالقول : « و السبب فيه و الله أعلم ما يَتَبعُهَا من المَغْرِمِ المُفْضِي إلى التحكم و اليد العالية فيكون الغارم ذليلاً بائساً بما تَتَنَاهُهُ أيدي القهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغرماً بإشارة إلى الملك العَصُوبُونَ الظاهر للناس الذي معه التسلط و الجور و نسيان حقوق الله تعالى في المتمولات و اعتبار الحقوق كلها مغرم للمملوك و الدول و الله قادر على ما يشاء و الله سبحانه و تعالى أعلم و به التوفيق»<sup>3</sup>. لقد بين ابن خلدون بوضوح أن ملل الاشتغال بالفلاحة يعود إلى طريقة استخلاص الضرائب والتي تحولت إلى سياسة جبائية «جائرة» أدت إلى النفور من الاشتغال بالزراعة و الفرار من

1 - منس المرجع

2 - عدل إلى دعemos (رامسي)، منس المرجع، ص 148

3 - ابن خلدون (عبد الرحمن)، منس المصدر، ص 394

الأرض وتركها بورا. فأصبحت الفلاحة «العنة». وهذا ما يفسر إلى حد كبير سبب رفض التأليف في الفلاحة. لأنني قد لا أجد تفسيراً لمسألة ترقب قدوم الجالية الأندلسية لإعادة إحياء سهول مجردة السفل في القرن السابع عشر، و الحال أن إفريقية، والتي عرفت في الفترة القرطاجية تأليف أقدم وأهم موسوعة في علم الفلاحة في التاريخ القديم، تميز سكانها بـتقاليدهم الزراعية العربية. لم تكن فقد الذاكرة الفلاحية ناتجة عن «قطيعة» حديثة في تاريخ الفلاحة في الفترة الوسيطة، أو ناتجة عن افتقار المزارع للخبرات الكافية، بل مرد ذلك ملل الأهالي الاشتغال بالزراعة بسبب جحور المخزن الجبائي و تعسفه<sup>1</sup>، ولم يكن بسبب «هيمنة بنى هلال<sup>2</sup>، فهو لاء قد نشروا الزراعات الحقلية على حساب البساتين التي كان قد هاجرها أهلها. على أن المفارقة الكبيرة أن المصادر الفلاحية المشرقة احتوت على مقاطع غير مباشرة لما جُون، أي تلك التي وجدوها في كتب الفلاحة البيزنطية منسوبة إلى «ديوفانوس»، من بين من نقل موسوعة ماجون.

1 - الطراطلي (بوراوي)، "ساتين آسيا الصغرى من حلال رحلة ابن طوقمة إشكالية النداوة والزراعة في العالم الإسلامي"، تقديرية أندري ريموند، تونس، آب/أوكتوبر 2004، ص 271-285، ص 284

2 - لم يعد من الممكن القول باطروحة "كارنة بنى هلال" على الزراعة في تونس وقد استحضر هنا ما ذكره حسن جسي عبد الوهاب عن "الكارنة" التي أحذثها الملاليون في حوص عرفة السفلي

«D'autres (les Morisques), envoyés dans des endroits que très souvent parcourraient les nomades hilaliens et autres qui s'abattaient en bandes pour piller et razzier, se disposèrent sur les falaises des bords de la Medjerda afin d'être protégés contre ces agresseurs sans scrupules et se cantonnèrent au milieu des décombres d'anciennes colonies romaines (Medjaz-el-bab, Testour, Slouguia, Gal'at-el-Andalous) », Abdul-Wahab (H H ), « Coup d'oeil général sur les apports ethniques étrangers en Tunisie », Cahiers de Tunisie, N°69-70, 1970, p 163



# ما جون هن خلال كتب الفلاحة المعرّبة<sup>١</sup>

الباب العاشر أن تُعرَفَ تسمية الرياح ومجراها وعدتها<sup>٢</sup>.

هي اثنتا عشرة ريحاناً تهيج ياذن الله تعالى من أربع نواحي: منها ريح تهيج من قبل النيروز من يسار القبلة تسمى بالروميمية أبو لوطوس وبالعربية الشَّمال<sup>٣</sup>، ومع هذه الريح ريحان جنبتهاها أسماءها بالروميمية فاسم أحدهما كاكيس<sup>٤</sup> والأخرى أورون<sup>٥</sup>. ومنها ريح تهيج من قبل خراسان ومطلع الشمس وهي التي تسمى بالعربية الجنوب وبالروميمية نو طوس<sup>٦</sup> وبالفارسية الريح البحريّة وتهيج معها ثلاثة أرواح منها ريحان من جنبتهاها أسماءها بالروميمية لييانو طوس<sup>٧</sup> والأخرى أردون طوس<sup>٨</sup>. ومنها ريح تجري فوق السماء تسمى

١ - كتاب الزرع مخطوطة برلين تحت رقم 6204 وكتاب العلاحة الزاوية سحة تابعة للمكتبة الوطنية تحت رقم

14243

٢ - ديمقليوس (Διοφάντους) *Géoponika*, I, 11، راجع

٣ - هي ريح شرقية

٤ - هي ريح شماليّة شرقية

٥ - هي ريح حوبية شرقية

٦ - وهي ريح حوبية

٧ - هي وهي ريح حوبية عربية

٨ - هي ريح حوبية شرقية

بالرُّوميَّةِ زوفوروس<sup>١</sup> وهي أرفع الرياح ومنها ريح من قبل المغرب وهي التي تُسمى بالعَرَبِيَّةِ الدَّبُورِ ومع هذه الريح رِيمُخان جنبتها أسماءها بالرُّوميَّةِ، فاسم أحدهما يابوا والأخرى<sup>٢</sup> بالرُّوميَّةِ ليوس<sup>٣</sup>. ومنها ريح تهيج من قبل خراسان ومطلع الشَّمس وتسمى بالعَرَبِيَّةِ الصَّبَا وبالرُّوميَّةِ بوراس<sup>٤</sup> ومعها ريح تُسمى بالرُّوميَّةِ طراسخان<sup>٥</sup> وريح تُسمى بالرُّوميَّةِ إبارخطيان<sup>٦</sup> رِيمُخان يَكُونان بين الأرواح تسميان بالعَرَبِيَّةِ النَّكباوَاتِ. وقد قال قائل من فلاسفة الرُّوم وعلمائهم: كيف نعلم مجري الريح إذا جرت في الهواء بين السماء والأرض وإذا جرت في الأرض فلم تُجْبِه في ذلك أحد. فقال أنا أين لكم ذلك: فذلك آنٌ إذا رأيت مياه البحور والأنهار والجبال تصفقها الريح وإذا رأيت الريح هاجت بشوك الأرض ونباتها وإذا رأيت هذه الريح للشجر يابسا ورقه يَسُقط وإذا ارتحت الأرض، وَهَذِه كله علامات مجرى الريح في الأرض. وإذا رأيت سحابا جاريا ورعدا أو برقا فتلك علامات ريح الهواء. إذا رأيت الكواكب يتآلقن كأنهن يحرزن ولبعضهن ذنب محدود فذلك علامة هبوب الريح في السماء فوق الهواء.

**الباب الثاني:** فيها وصف فيها ينبغي أن يُرَوَى ما لم يكن يُسْقَى ماء إلا ماء السماء، كيف تجمع الماء<sup>٧</sup>.

وذلك أنَّ أفضل ما جمع في ذلك الماء وأسلمه من الهوام ومن غيرها من الغدران على ما ارتفع من الأرض مع أنَّ الريح تُسْفَقُه وتُطْبِيه. ولا ينبغي لماء السماء أن يجمع ما سيل منه من أجاجين المرابط وأجاجين بيوت الأعلاف<sup>٨</sup>.

١ - هي ريح عربية

٢ - شَمَالِيَّةٌ عَرَبِيَّةٌ

٣ - وهي ريح حوبية عربية

٤ - هي الشَّمَال

٥ - الشرش

٦ - هي ريح شَمَالِيَّةٌ

٧ - دِيُفُلُوس، راجع، ٧ Géoponika, II,

٨ - إحْدَان إماء كبير من حمر أو حَثَّ يوضع فيه الماء

والأهراء، ولكنه يجمع من الأجاجين النظاف<sup>1</sup>، المتخلدة من الشجرة الرومية التي تسمى ذهشت<sup>2</sup>: وذَوَاء يُطِيب الماء الرُّعاق<sup>3</sup> أن يوضع على الأجاجين في الحرار وفي الخابيات الحَرَف، وسُفْقُه الرياح ويُحَوَّل كل يومين من إناء في إناء فإنه يزداد كل يوم عذوبة وطبيبا.

#### **الباب الرابع: معرفة غلامات الأرض الطيبة الزاكية هن غيرها<sup>4</sup>.**

فذلك أن علامة الأرض الزاكية الطيبة إذا تبادعت عليها أمطار فتشفت المياه لم تشتف ماوتها. وعلامة الأرض الطيبة أيضاً أن يكثُر نباتها من الشجر كله. وعلامة الأرض الوسط دون الجيد أن يكون نباتها من الشجر رقيقاً ضعيفاً. وقد تعرف مع ذلك الأرض الطيبة من غيرها بريح ترابها وطبيته فذلك أنه يخفر الحافر حيث بدا له من الأرض ذراعين أو أكثر فإذا خذ من طينها قدر قبضتين أو ثلاثة، ويدفن في إناء من زجاج ويُجعل فيه ماء من ماء السماء، ثم تبل ذلك الطين بذلك الماء ويقع فيه حتى يغمره الماء، ويوضع ذلك الماء كهيته ويقر ساعة حتى يصفر ماوته ثم يذاق ذلك الماء. ويعتبر من تلك الأرض على قدر ما يوجد من طعم ذلك الماء، فإن كان طيباً فهي طيبة وإن كان مالحا فهي سبخة. وقد الخفر في الأرض للفرس وشقها للحرث: لا تُشَقْ أرض الحرف فوق شبر عمقاً في الأرض، ولا تُخْفَرْ أرض لغرس الكرم فوق ثلاثة أشبار عمقاً في الأرض ولا تُخْفَرْ أرض لغرس الشجر المثير فوق ذراعين من الأرض. وعلامة الأرض التي لا يُتنفع بشيء مما عُرِّس فيها أو زُرِع فيها أن توجد إذا اشتم ريحها ذات ريح منكر. وعلامة الأرض التي يوجد فيها حُفر منها من طينها ملوحة بأنها لا تصلح إلا لغرس النخل أو الطُّرْفاء والقصب، وهي

1 - قد تكون من حَرَق أو صمر يوضع فيها الحمر

2 - الرَّدَد

3 - ماء رُعاق يكون مُرّاً عليه لا يُلَاّق شرمه من أشوخيه عَدَ إلى لسان العرب

4 - دِيماطوس راجع 11 Géponika, II,

إذا كانت كذلك لغرس النخيل أمثل منها لغيرها. وقد يُعتبر أمر الأرض الطيبة من غيرها أن يُحفر فيها قدر ما بدا لصاحب ذلك أن يُحفر ثم يُعاد في تلك الحفرة طينها فإن زاد طينها على حشو تلك الحفرة فتلك أرض جيّدة طيبة، وإن كان ما يعاد إلى حفرتها من طينها كفافاً قدر ما تستوي الأرض به فهي أرض وسط، وإن عجز طينها عن حشوها أو تسويتها فهي أرض رديئة. ولمعنى الباب الأول في هذه المائة وثمانية عشر باباً، التي سميت في صدر هذا الكتاب فيما ذكرنا أنه ينبغي أن يعرف من أراد حفر كرم وغرسه، وعلامة الأرض التي تُحفر وتعُرس فيها الكرم في طبِّ شرابه أو رداءته.<sup>1</sup>

فإن ذلك أن يُحفر، من أراد حفر كرم في الأرض، يُحفر فيها ذراعاً ثم يأخذ بعض ما في أسفل ذلك التراب فيجعله في إناء من زجاج وينقعه في ماء السماء حتى يصفو ذلك الماء ثم يذوقه، فإن شراب ذلك الكرم الذي يُحفر فيها في تلك الأرض كائن على قدر طعم ما ترى فيها من طيبة ذلك الماء، وإن كان ذلك التراب مالحا وكريه الرائحة فلا ينبغي لأحد أن يُحفر في تلك الأرض كرماً. ولمعنى الباب السابع والعشرين أن يعلم ما الذي يسلم الله تعالى به الكرم من البرد ومن جمود الماء والجليد عليه.<sup>2</sup>

وذلك أنَّه إذا عمد إلى أرواث الدواب فيُبَسْت وجمعت في كرم شاب حيث يستقبل بها الرياح، فإذا كان ليلة ويوماً يشتند فيه البرد وخفيف أضرار البرد بذلك الكرم و الشجر فدُفنت في كل كثيب من تلك الأرواث حتى يطلع دخانها في الكرم و الشجر لذلك الدخان من فساد البرد سلم الله ذلك الكرم. وما يسلم به الكرم من البرد في العام الذي يخاف عليه منه أن يُزرع فيه أصول جرجر<sup>3</sup> فإذا رفع حب الجرجر تركت قضيه وأصوله وورقه كهيئته في أصول الكرم.

1 - ديمقليوس، راجع *Géoponika*, V, 7

2 - ديمقليوس، راجع *Géoponika*, V, 31

3 - هو الفول

ومعنى الباب الثاني والثلاثين أن يعلم كيف يعصر الكَرْم من قبل أن يبني  
حائطاً من طين<sup>١</sup>.

وذلك أنه إذا عمد إلى الكَرْم فحضر حوله ذراعاً من الأرض وذراعين  
عرضاء، فصُيّرت فيه أوتاد أقلاًماً و تكون أصولها في تلك الحفرة و ترتفع  
أطراها على الأرض شبراً ويكون بين كل وتدرين منها عشرة أذرع، و تشد  
تلك الأوتاد بحبال من بَرْدِيٍّ، و يكون غلظتها كغلظ الخيال. ثم يعمد إلى  
ثمر شجرة أم غيلان<sup>٢</sup> و ثمرة العَوْسَج<sup>٣</sup> و ثمار ما أشبه ذلك، من غليظ النَّبَتَةِ  
وخشنها في الخلط في هذه الشَّهار الحارة. ثم يعمد إلى كل نوع من ثمار هذه الشجرة  
فيديق ثم ينفع ذلك كله في ماء في إناء فيه حتى يخثر ويصير كالرَّب، ثم يخلط  
به شيء من أختاء البقر و يطلق به بتلك الخيال المدودة والمصحوبة على تلك  
الأوتاد. ثم نصحت تلك بما يطل به من ذلك ثم يعمد إلى تراب تلك الحفرة  
حول ذلك الكَرْم فيها حتى يغطى تلك الخيال فينبت في تلك الخيال المطلية مما  
طلي به من ذلك من كل نوع من ذلك الشُّوك كله في ثمان وعشرين ليلة من  
يوم يغضى بذلك التَّرَاب أربعة أشبار طولاً. ثم كان في زيادة ونماء، ثم لم يلبث  
أن يطول ويلتف وينبسط ويتسلب و يكون حصيناً دون الكَرْم. وقد  
يغرس من شاء مع أصولها غرساً من قصَبٍ فينبت مع أنواع هذا الشُّوك. ثم  
يتعهد نبت هذه الخيال بالسقي، و ليكن استقبال العمل فيها وصف من أمر  
هذه الخيال في ذي ماه.

ومعنى الباب السادس والثلاثين أن يعلم متى أوان قطاف الكَرْم وإدراك  
العنَب، فإنَّ ذلك القطاف علم عميق<sup>٤</sup>.

وذلك أنَّ من يقطف عنَبَ كرمة قبل إدراكه فيضرُّ ذلك بالكَرْم فيها يستقبل  
من ثمرته مع تغيير طعم شَرَاب عame الذي يُقطف في غير حينه و مع إسراع

1 - دياطليوس، راجع *Géoponika*, V, 44

2 - بوَار المسك في البلاد التونسية

3 - يُوصَف في البلاد التونسية بالمشلوح وهو الشُّكُور

4 - بيتاُوس، راجع *Géoponika*, V, 45

البرد إليه. فينبغي لعنب الْكَرْم إذا كان عند أوان قطافه أن يذاق و يكون صاحبه على علم.

و معنى الباب الثامن والأربعين فيما وصف به قديم الشَّرَاب و حديثه ما يُعصر من أسود العِنْب و أحيضه وأحمره<sup>١</sup>.

فأما العِنْب الأسود فشرابه أمن الشَّرَاب، و أما الأبيض من العِنْب فشرابه وسط، و أما أحمر العِنْب فشرابه أذ طعمها من شَرَاب العِنْب الأسود. و الشَّرَاب الحديث يزول، و شَرَاب القديم حار متين ذكي الرِّيح طيبيها، و إنما صير الشَّرَاب القديم حارا متينا للذهب رغوته و زيلده و نداوته عنَّه. وقد زعم ناس أن الشَّرَاب القديم يزول و أن الشَّرَاب الحديث حار. و معنى الباب الحادي والستين أن يعلم كيف تختال للشَّرَاب الذي يحمل في البحر حتى لا يفسد<sup>٢</sup>.

وذلك أنه إذا عمد إلى ورق شَجَر الزَّيْت رطبا فرض رضا ثم عصر و طبخ ماوه حتى يصير على النصف مما كان ثم جعل فيه شيء من عسل، ثم عمد إلى وعاء الشَّرَاب فجعل فيه ماء ورق ذلك الزَّيْت وغسله حتى يُقاز في أسفل الوعاء ثم أنقعت ذلك الشَّرَاب فجعلته في ذلك الوعاء سلم لذلك من الفساد في البحر.

و معنى الباب الثامن والخمسين أن يعلم كيف تغرس الفُسْتُق<sup>٣</sup>. و ذلك أنه يعمد إلى الفُسْتُق العظيمة المُشَقَّقة فتُلَف في صُوفة منقوشة رقيقة لكي تسلم من الهوام فتجعل تشققها مما يلي السماء، ثم تغرس فتعلق بياذن الله تعالى. و معنى الباب الثالث والستين أن يعلم كيف تخوي كل شجرة وما الذي يحيي وما الذي يعلق عليها مما أضيف إلى غيرها مما لا تعلق ولا يشاكل صاحبها منه<sup>٤</sup>.

1 - ديفلؤس، راجع 3 *Géponika, VII*,

2 - ديفلؤس، راجع 17 *Géponika, VII*,

3 - ديفلؤس، راجع 11 *Géponika, X*,

4 - ديفلؤس، راجع 76 *Géponika, X*,

وذلك أنَّ قضيب شجرة التين يضاف إلى شجرة الفِرْصَاد<sup>١</sup> وشجرة الشَّاهْبُلُوط<sup>٢</sup> وشجرة البَنْدُق وشجرة التُّفَاح وشجرة الحَبَّة الْخَضْرَاءُ وشجرة الْكُمْثُرَى وشجرة تُسمى بالرُّوميَّة بوطليا<sup>٤</sup>، كما وصف قبل هذا الباب. وقد تألف قضيب غرس ما يضاف إليه من الشجر ثقباً في تلك الشجرة بوتد من طَرْفَاء وشجرة السَّفَرَجَل وشجرة الفِرْصَاد يكون ثمرتها حمراء. وغرس التُّفَاح أَلْف الْكُمْثُرَى و السَّفَرَجَل إذا أضيف إليها، وتكون ثمرة ذلك التُّفَاح عظاماً حلواً. وقد يضاف التُّفَاح إلى الإِجَاص<sup>٥</sup> ثم يصير ذلك التُّفَاح تفاحاً أحمر. فأما الجُوز فإنه ما يتألف ولا يتعلق إلا مع شجرة الغرب. وأما شجرة يقال لها الدَّهْمَشْت ففيها تألف التُّفَاح وأما الحُوش فإنه يألف الإِجَاص. والكمثرى والتُّفَاح والسَّفَرَجَل وشجرة الشَّاهْبُلُوط فإنهما تألف الجُوز والبَلُوط والبَنْدُق . وأما الأَسَّن<sup>٦</sup> فإنه يألف شجرة الغرب. وأما شجرة المُشْوِش فإنهما تألف الإِجَاص واللَّوْز، وأما الْأُتْرَج<sup>٧</sup> فإنه مئونة شديدة. وقد يضاف الْأُتْرَج إلى التُّفَاح والتُّفَاح إلى الْأُتْرَج.

ومعنى الباب التاسع في أمر العقارب<sup>٨</sup>.

وذلك أنَّه إذا أحرق عَقْرَب بالنار نفرت العقارب وهربت لذلك عند ريح ذلك الدُّخَان. وإن عَمِد إلى عَقْرَب وقتلها وطبخها بِسْمِنْ وطُلِيَّ به موضع لدغة العَقْرَب بِرَى. وإن عَمِد إلى فُجْل فعصره وطُلِيَّ به موضع لدغة العَقْرَب بِرَى. وإن عَمِد إلى فُجْل فعصره وطلى بدنه بهذه ذلة ذلك الفُجْل، وكلما جَفَّ أعاده عليها مرتين أو ثلاثة، ثم قبض على عَقْرَب أو غيرها من

1 - التوت في البلاد التونسية

2 - هو القسطنطيلي في البلاد التونسية

3 - ثمرة شجرة تسمى في البلاد التونسية لِطُوم وهي شجرة العُلم

4 - الدَّرَدار

5 - المقصود هنا لغوية في البلاد التونسية

6 - الزبيحان في البلاد التونسية

7 - طرچ، ثُمَّ الحُمْم و كذلك ليمون اليهود في البلاد التونسية

8 - بِيْفَائُس، راجع 9 Géoponika, XIII,

الهوا لم يلدغه شيء منها يأذن الله تعالى. وإذا شدح الفُجْل وطرح بعضه على عَقَرْب قد لدغت أحدا، فيُختم على إثر اللدغة بخيط وعُصْب عليه وطُيّن على ذلك الخيط ونُختم بخاتم كله فِضَّة بلا فَصٌّ كان ذلك أسرع لبرئه. ويقول دِيمُقْرَاطِيس العَالَم إِنَّه إذا عَمِدَ إِلَى بَعْضِ عِرَقِ الْزَّيْوُنَ أَنْ يَطْرُحَ عَلَى إِثْرِ اللَّدْغَةِ، أَذَّهَبَ عَنْهُ مَا يَجْدِهُ مِنْ وَجْهِ لَدْغَتِهِ يَأْذِنُ اللهُ تَعَالَى.

وَمَعْنَى الْبَابِ الثَّانِي فِي أَمْرِ الْعَسَلِ<sup>1</sup>.

وَأَنْ أَجْوَدُهُ وَأَخْلَصُهُ الَّذِي يُسَمَّى عَسَلُ جَبَلٍ أَتِيكُو ثُمَّ الَّذِي يُسَمَّى فِي الْجَزَائِرِ. وَأَحَقُّ مَا اخْتَيَرَ مِنْهُ مَا ضَارَعَ الْحُمْرَةَ وَمِنْهُ الَّذِي إِذَا مَدَّتْهُ لَا يَنْقَطِعُ دُونَ أَنْ يَمْيِلَ الطَّيْبَ الرَّبِيعَ. وَعَلَامَةُ الْعَسَلِ الْمُتَقَادِمُ أَنْ يَكُونَ لَوْنَهُ مُضَارِعُ السَّوَادِ، إِذَا طَبَخَ الْعَسَلُ الَّذِي فِيهِ عَيْبٌ فُصْفِي طَابَ وَخَلَصَ لِذَلِكَ. وَقَدْ جَمَعَ الْعَسَلَ مِنْ لَذَاتِهِ أَنَّهُ دَوَاءٌ يُرِيدُ فِي الْجَسْمِ وَالْقُوَّةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَيُسَلِّمُ بِهِ اللَّهُ كَثِيرًا مِنَ الدَّاءِ وَلَا سِيَّماً الْأَسْنَانَ مِنَ النَّاسِ.

وَمَعْنَى الْبَابِ الْثَالِثِ عَشَرَ فِيهَا يَنْصَبُ بِهِ الْمَاءُ مِنْ جَامٍ إِلَى جَامٍ أَخْرَى.<sup>2</sup>

وَذَلِكَ إِذَا عَمِدَ إِلَى صَوْفِ خَالِصٍ فَلَفَّ كَالْفَتِيلَةَ وَجَعَلَ أَحَدَ طَرَفِهِ أَغْلَظَ مِنَ الْآخَرِ ثُمَّ جَعَلَ الْأَلْطَفَ طَرَفِهِ وَمَا وَالَّاهُ مِنْ نَصْفٍ تَلَكَ الْفَتِيلَةُ فِي جَامٍ أَوْ فِي مَكْوُكٍ فِيهِ مَاءٌ، وَطَرْفُهَا الْأَغْلَظُ فِي جَامٍ أَوْ فِي مَكْوُكٍ آخَرَ لَا مَاءَ فِيهِ، وَسُقِيتَ تَلَكَ الْفَتِيلَةُ بِالْمَاءِ فَإِنَّمَا تَلَكَ تَمْتَصُ مَاءَ الإِنَاءِ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَتَصْبِهُ فِي الإِنَاءِ الْآخَرِ حَتَّى تَسْتَوْعِبَ جَمِيعَ مَا فِيهِ. إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الإِنَاءُ الَّذِي فِيهِ طَرْفُ الْفَتِيلَةِ الْأَغْلَظُ أَحْفَضُ مِنَ الإِنَاءِ الَّذِي فِيهِ طَرْفُ الْفَتِيلَةِ الْأَلْطَفِ.

وَمَعْنَى الْبَابِ التَّاسِعِ عَشَرَ فِي صِيدِ السَّبَاعِ الصَّارِيَةِ<sup>3</sup>.

وَذَلِكَ إِذَا أَرَدْتَ صِيدَ السَّبَاعِ، فَاعْمَدْ إِلَى الصِّنْفِ مِنْ أَصْنَافِ السَّمْكِ الَّذِي يُسَمَّى بِالرُّومِيَّةِ الْلَّرَبِ<sup>4</sup>، وَهُوَ سَمْكٌ بَحْرِيٌّ كَثِيرٌ الشَّخْمُ، قَوِيٌّ

1 - دِيَمَاتُوس، راجع *Géponika*, XV, 7

2 - دِيَمَاتُوس، راجع *Géponika*, II, 7

3 - دِيَمَاتُوس، راجع *Géponika*, XVII, 14

4 - بَالْمَرْبُوبَيَّةِ (*Belone*)

الرائحة، وأخذ منه سمكة واحدة وقطعها قطعاً، ثم أشدها شدحاً بالغاً، وأشعـل ناراً في الغائط الذي تأـيه السـباع، أو حول الزـرـيبة التي تـأـيه السـباع، وأقـذـفـ فيها كـتـلةـ منـ ذـلـكـ السـمـكـ. فإذاـ أـكـلـتـهاـ النـارـ قـذـفـ فيهاـ كـتـلةـ أـخـرىـ،ـ وهـكـذاـ كـلـىـ أـكـلـتـ النـارـ كـتـلةـ طـرـحـتـ فيهاـ كـتـلةـ أـخـرىـ،ـ فإذاـ اـنـشـرـ دـخـانـ ذـلـكـ السـمـكـ فيـ نـوـاحـيـ ذـلـكـ الغـيـطـ،ـ أوـ فيـ تـلـكـ الزـرـيبةـ،ـ فـاطـرـحـ حـولـ تـلـكـ النـارـ قـطـعـاـ منـ اللـحـمـ جـعـلـتـ عـلـيـهـاـ مـنـ الدـوـاءـ الـذـيـ يـُسـمـىـ بـالـرـوـمـيـةـ هـلـانـهـ سـوـدـاءـ،ـ وـ مـنـ الدـوـاءـ الـذـيـ يـُسـمـىـ أـفـيـوـنـ،ـ ثـمـ أـخـدـ تـلـكـ النـارـ وـ أـدـفـنـهـ بـحـيـثـ لـاـ تـرـىـ وـ لـاـ تـظـهـرـ.ـ وـ كـمـ مـنـ الرـجـالـ بـالـسـلاحـ وـ الـحـبـالـ فـيـ مـكـامـنـ خـفـيـةـ حـولـ تـلـكـ النـارـ،ـ فـإـنـ السـبـاعـ تـقـبـلـ إـلـىـ رـائـحةـ ذـلـكـ الـقـتـارـ،ـ وـ تـأـكـلـ مـاـ تـأـكـلـ مـنـ قـطـعـ ذـلـكـ اللـحـمـ الـذـيـ جـعـلـتـ عـلـيـهـ تـلـكـ الـعـاقـافـيرـ،ـ فـتـرـيـضـ وـ يـُغـشـىـ عـلـيـهـ،ـ فـيـصـيـدـهـ الـكـامـنـونـ كـيـفـ شـاءـواـ.ـ وـ مـاـ تـرـدـ بـهـ الذـئـابـ عنـ الـغـائـطـ وـ الـزـرـيبةـ،ـ أـنـ يـعـدـ إـلـىـ أـعـضـاءـ ذـئـبـ،ـ فـتـنـصـبـ فـيـ طـرـيقـ الذـئـابـ الـذـيـ قدـ اـعـتـادـتـ الـمـجـيـءـ فـيـهـ،ـ فـإـنـ الذـئـابـ تـرـكـ تـلـكـ الطـرـيقـ مـاـ دـامـتـ أـعـضـاءـ ذـلـكـ الذـئـبـ فـيـهـ.



# المور سكيون وتصدير «الثورة» الزراعية

أرض الأندلس

لقد ظهر علم الفلاحة الأندلسي في إسبانيا، في بلد تميز بتنوع تضاريسه وتعدد سهوله الجافة والخصبة وكثرة هضابه وتعدد الأنهر وقلة الأمطار في جنوبه الذي يطغى عليه شيء من الجفاف حيث تتراوح كميات الأمطار بين 400 و 500 مم<sup>1</sup>. هذه العوائق الطبيعية لم تمنع المزارعين من تعاطي النشاط الفلاحي منذ القديم، على أن هذا القطاع الاقتصادي عرف أوج تطوره في الفترة الوسيطة عندما تنوّعت المحاصيل الزراعية، خاصة في الضياع السلطانية ، فزرع المسلمون الحبوب والخضر والبقول بجميع أنواعها في الجنوب، وغرسوا الزيتون في المناطق الجبلية كجبل الغرف، والكروم، واستنبتوا المياه وبرعوا في هندستها ووظفوها في الفلاحة، وجلبوا بنورا من أماكن بعيدة وأفلحوها في إسبانيا مثل الأرز والبرتقال والنخيل والقطن و الكتان<sup>2</sup>. واختصت كل مدينة بنوع من الزراعات، فاختص جبل الثلج بالفاكه العظيمة، ويكون أفضل الحرير و الكتان في قراه المتصلة<sup>3</sup>.

1 - عدى Bolens (L.), *Agronomes Andalous au moyen-âge*, Genève, 1981, p 17  
2 - أظر في هذا المجال Arie (R.), " La vie économique de l'Espagne musulmane ",  
*Hand buch der orientalistik*, Band 6, geschichte der Islamischen lauder, Leyde-Cologne, E Brill, 1977, p p239-254, p 245

3 - نفس المرجع، ص 246

واختصت طليطلة بالخنطة و الزعفران<sup>١</sup>، و قرطبة بالقمح<sup>٢</sup> و قصب السكر<sup>٣</sup>.

### التأليف في الفلاحة

لقد ربط المستعربون ازدهار الفلاحة في القرنين الحادي عشر و الثاني عشر بعد الميلاد بالتفكك السياسي الذي ساد الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية سنة 422 هـ / 1031 م و التي سميت بزمن ملوك الطوائف، لكل طائفة ملكها و عاصمتها<sup>٤</sup>. لقد عملت هذه السلط المركبة على المحافظة على استقلالها بالتحكم في موارد她的 الغذائية، فكان اللجوء إلى التجربة «المشرقية» فاطلعاً العلماء، و تشجيع من الملوك و الأمراء على كتب الفلاحة العربية- البيزنطية، فكانت مرحلة استيعاب هذه العلوم، توجت بتأليف كتب فلاحة أندلسية. ومن أقدم المؤلفات الفلاحية الأندلسية: كتاب مختصر الفلاحة ألفه الطيب أبو القاسم الزهراوي الذي توفي سنة 404 هـ / 1010 م، و مجموع في الفلاحة لابن وافد<sup>٥</sup>، و كتاب الفلاحة لابن بصال<sup>٦</sup>، كما ألف أبو الحسن الإشبيلي كتاباً حمل عنوان كتاب الفلاحة، و كتاب المقنعم لابن حجاج ألفه سنة 466 هـ / 1073 ، و كتاب الفلاحة لابن العوام، وأخيراً أرجوزة ألفها أبو عثمان التجيبي توفي سنة 750 هـ / 1349 ، حملت عنوان إيداع الملاحة .

### «الثورة» الزراعية الأندلسية

إن الخطأ الذي وقع فيه المستعربون هو التوقيت الصحيح لهذه «النهضة»

١ - الكري، محسن المصدر، ص 87 الحميري، الروض المطار في حر الأنصار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1975، ص 130

٢ - الرازي، الرازي (أبو بكر بن محمد)، كتاب الحاوي في الطب، حيدرباد، 1964 - 1955 ، ص 64 و التي نسبها وعد كذلك إلى الكري، محسن المصدر، ص 105

٣ - الحميري، صفة حزيرة الأندلس، مستخرجة من كتاب الروض المطار في أحجار الأقطار وهو معجم تاريخي لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعجم الحميري، عني بشرهاليبي بروفسال، القاهرة، 1937، ص 21

L Bolens, *Agronomes Andalous* , p 13 ،

٤ - عدلي، 13 ، Colin (G S), «Filâha », *EI*, t II, p 922

٥ - أطر

٦ - محسن المرجع

الزراعية، فهم يرون أن تأليف هذه الكتب إنما هو انعكاس قبل كل شيء لواقع النشاط الفلاحي في تلك الفترة<sup>7</sup>، وما وجود هذه الكتب إلا دليل قوي على ازدهار الزراعة في الأندلس. وهذا الرأي غير صائب ذلك أنه لا يمكن أن نتحدث عن ازدهار الفلاحة زمن ملوك الطوائف لأنه لا يمكن الحديث عن هذا الازدهار قبل القرن الرابع عشر، وعديد الدلائل تؤكد ذلك: ما لاحظته من خلال دراستي لكتب الفلاحة الأندلسية تلك الفجوة العميقية بين «علماء الزراعة» والزراع، بين التعليم الذي يريد العلماء إيصاله وبين المزارعين والتقاليد الزراعية الموروثة، أو لنقل تقاليد تلك الأرض «القديمة» التي تحدثت عنها «لوسي بولانس»، تتجسد هذه الفجوة بكل وضوح في كلام ابن حجاج في ديناجة اعتمدها ابن العوام: «قد أقمت لك أيها الأخ الشقيق كتابي هذا واستوفيت القول فيه بحسب الغرض المقصود إليه، وكفيتك الاستمداد بأراء أهل الغباوة من أهل البراري الذين لا علم عندهم ولا شرح لديهم، مع طول ممارستهم بهذه الصنعة وارتباطهم بها. وعدلت بك عليهم إلى آراء أجلة الحكماء وذوي البصارة النبلاء فهم القدوة ومن سواهم ليس بأسوة. فلا تصغين إلى قول العلة الجفاة ورأي أهل الغباوة والعتاه، ولا تركن إلى أقوالهم الساقطة، فلن تظفر منه بفائدة. إنما حظك منهم الخدمة فأما العسم فهم منه بمعدل وعن الصواب بمعزل»<sup>8</sup>. ويظهر جلياً من خلال هذا الكلام أن ابن حجاج وابن العوام وشق كثير من علماء الزراعة لم يتمموا كثيراً به يحدث في بساتين وفنون المزارعين، بل كان همّهم الوحيد تطوير بساتين الملوك والأمراء، وبالتالي فإن دروس هؤلاء وإرشادهم لم تتعد حدود الحزام الريفي الأول المحيط مباشرة بالمدن وعواصم هذه الإمارات. كما لا يجب أن نغفل عن حقيقة الحركة البطيئة لتطور الأعمال والتقينات الزراعية. فلا يمكن لهذا الموروث أن يتغير بمجرد ظهور هذه الكتب، لأن الفلاح هو

7 - عدل Bolens (L), Op cit , p 14

8 - ابن العوام، كتاب الفلاحة، ترجمة وحققه ناصركيري، مدريد، 1802

«ابن عوائده ومؤلفه» قبل كل شيء، ويطلب التغيير عقوداً من الزمن إن لم نقل قروناً، وهذا معنى قول ابن الحجاج أن الزراعة: «لا شرح لدיהם مع طول ممارستهم بهذه الصنعة و ارتباطهم بها». و الدليل الثاني، ما ذكره ابن خلدون الذي كان قد زار إسبانيا في أحد سفارته الدبلوماسية إلى غرناطة في سنة 1363/764 وأشبيلية في سنة 1364/765 عن مدى التطور الذي وصل إليه الأندلسيون في المجال الزراعي، حيث تم التكثيف من استعمال الأسمدة والأزيال للزيادة في إنتاجية الأرض رغم رداءتها، بعد أن افتتح النصارى أخصب الأراضي<sup>1</sup>، هذا التحول لم يكن زمن ملوك الطوائف-زمن علماء الزراعة- بل كان في عهد ملوك بني الأحرar، عندما استوعب الزراعة في الأرياف تلك الدروس النظرية والإرشاد وأصبح العمل بها تقليداً سائداً لدى الفلاحين في إسبانيا. فكان إصلاح هذه الأراضي الدينية بشتى الوسائل من حرص مدروس والاستخدام المكثف للري الأسمدة. الدليل الثالث، ما ذكره الرحالة الطنجي ابن بطوطة عند زيارته غرناطة فأكمل أولاً مدى التطور الذي وصلته الفلاحة في الأندلس، وقد لا نجد من نشق في كلامه مثل ثقتنا في هذا الرحالة، وهو الذي جاب الدنيا طولاً وعرضها، فقد قال: «ثم سافرت منها إلى غرناطة، قاعدة بلاد الأندلس وعروض مدنها. وخارجها لا نظير له في بلاد الدنيا، وهو مسيرة أربعين ميلاً يخترقه نهر شنيل المشهور وسواء من الأنهار الكثيرة والبساتين والجحات والرياضن والقصور والكرrom محدقة بها من كل جهة. و من عجيب مواضعها عين الدمع وهو جبل فيه الرياضن والبساتين لا مثل له بسواءها»<sup>2</sup>. تؤكد كل هذه الدلائل على التوقيت المتأخر «للثورة» الزراعية، و كان ذلك بعد ظهور علم الزراعة بقرون، عندما نجح المسلمون في غرناطة، آخر القلاع الإسلامية في إسبانيا، في الصمود أمام حركة «الاسترداد»، بفضل ما حققوه من نجاحات في الميدان الزراعي، لا بحد

1 - ابن خلدون (عبد الرحمن)، نفس المصدر، ص 364

2 - ابن بطوطة، تحفة النبار في عرائض الأمصار، شرح وكتب هوامشه طلال حرب، بيروت، دج، ص 679

السيف و لكن بقوة العلم و المعرفة. فتمكنوا من تحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء لكسر الحصار الذي ضرب على غرناطة. وقد دفعني هذا الاستنتاج للحديث عن «ثورة زراعية» أندلسية، التي لم تُنْزَل مع سقوط غرناطة في سنة 1492، بل صدرت إلى خارج إسبانيا.

## المورسكيون في البلاد التونسية

يمكن القول إن استقرار المورسكيين بالبلاد التونسية مثل حدثا لا مثيل له في تاريخ الفلاحة و علم الفلاحة، ذلك أن انتقال علم الفلاحة في الفترة القديمة اقتصر على الأفكار المنقولة في الكتب، فقد تأثر ماجُون عند تأليفه موسوعته في الفلاحة بها كتبه اليونانيون في هذا المجال، و انتقلت موسوعة ماجُون من قرطاج إلى روما، و انتقلت كتب علماء الفلاحة الرومان إلى آسيا الصغرى، و من بيزنطة وصلت إلى العراق فظهرت المؤلفات العربية في الفلاحة التي ظهرت إلى إسبانيا، لكن المعطى الجديد أن إسبانيا لم تصدر الكتب فحسب بل صدرت كذلك الصناع، قوّة عمل زراعية، مهاراتها و خبرتها لا مثيل لها في المتوسط. زُرَاع حولوا العلوم الزراعية النظرية إلى تقيّيات تُطبق ميدانيا.

هؤلاء هم المهجّرون من إسبانيا، المورسكيون الذين وَفَرُ لهم الخزن التركي-العثماني، في البداية، الظروف الملائمة للاشتغال في الزراعة و المتمثلة خاصة في «الأمن الجبائي». فكان مشروع إحياء أراضي صفاف مجردة والوطن القبلي. هؤلاء المهجرون لم يحملوا معهم الخبرات الميدانية فحسب بل كذلك الكتب التي ألفها عليهم في الأندلس، و نظرتهم لهذا القطاع.

و قد يكون من المفيد أن ننقل هنا ما ذكره أبو الحير الإشبيلي في باب حديثه عن أهمية الفلاحة: «الفلاح يحتاج أن يكون مقدما في الفلاحة فطننا ذكيا و يقظا، قائما بأصول الصنعة عارفا بأساليبها واقفا على غرائبها مميزا بعناصرها و جرباها محظيا بمعرفة عللها. حتى أنه متى بطلت له شجرة أو اعتلت له فيها

١ - الطراولي (برواوي)، شاة ، ص 237

ثمرة عرف تلك العلة و معالجتها و من أين دخلت الآفة عليها و بأي سبب و متى أيضاً جفت إحدى الأشجار أو انقطعت عند هبوب الرياح والأمطار عرف أيضاً بماذا يعرض مكانها من الأشجار غيرها أو يعالجها بحيلة تحتمل عليها. فإذا علم ذلك كله كان ماهراً في صنعته درياً في فطنته رفيراً في معالجته و اعلم أن كل نوع من النبات إذا لم يعان بعلاجة و لطف في صناعته صار درياً شعثاً غير يانع في شجره ولا لذيد في طعمه . و الفلاحة علم وزين ونعة من الله وأجر عظيم».

و ذكر ابن العوام في مقدمة كتاب الفلاحة ما يلي: «وأما بعد، فإني لم قرأت كتب فلاحة المسلمين الأندلسين، ومن كتب غيرهم من القدماء المقدمين في صنعة فلاحة الأرضين، المضمنة كيفية العمل في الزراعة والغراسة ولوائح ذلك، وما يتعلق به من كتبهم في فلاحة الحيوان ما وصل إلى منها... نقلت من عيونها إلى هذا التأليف، ما أُن نظر فيه و حفظ أبوابه و فصوله و معانيه، من ي يريد أن يتَّخذ هذا الفن صنعة، يصل بها بحول الله إلى معاشة و يستعين بها على قوته و قوت عياله و أطفاله، و جد فيه حاجته و استعان بذلك على منافع دنياه و مصالح أخراه بتوفيق الله إِيَاه. إذ بالغراسات و الزراعات تكثر بمشيئة الله الأقوات. و قيل أن إلى ذلك أشار النبي، أطلبوا الرزق في جنايا الأرض... و من وصاياها في إصلاح المرء صنيعته، قيل لأبي هريرة ما المروة؟ فقال تقوى الله و إصلاح الضياعة. قال قيس بن عاصم لابنه: عليكما بإصلاح المال فإنه منبهة للكريم و يستغنى به عن اللئيم. و قال عتبة بن أبي سفيان لولاه إذ ولاه أمواله: تعهد صغير مالي فيكبر و لا تضيع كثیره فيصغر. و شبه هذا في هذا المعنى كثير. و من ذلك أن يتفقد صاحب الضياعة ضياعته بنفسه و لا يغيب عنها، و لا سيما في وقت عملها و فلاحتها ليتبين له اجتهاد المجتهدين من عماله، فيكافيه و المقصود فيستبدل به. و من الأمثال في هذا يقول. الضياعة لصاحبها أرنى ظلك أعمراً».

قد تكون هذه المقاصد هي التي دفعت حسين خواجه في القرن التاسع عشر إلى الاطلاع على ما ورد في كتب فلاحة الأندلسيين، و اختصار ما جاء فيها، لترشد أنفلاحين إلى حسن تدبير ضياعهم . وحمل هذا المختصر عنوان كتاب الفلاحة، و هو ثانٍ مؤلف تونسي في الفلاحة بعد ماجُون، لكن أهميته تكمن في أن تأليفه كان قبيل الاستعمار الزراعي الفرنسي للبلاد التونسية و تأسيسها لأول المدارس الزراعية الاستعمارية في البلاد.



# مختصر كتاب الفلاحة

المؤلف: حسين خواجة بن أحمد التركي

خللت بداية المخطوطة من اسم المؤلف حيث اكتفى بذكر ما يلي: «هذه ورقات مختصرات من كتاب الفلاحة وضعتها لمستحقها»، ليعلمنا في نهاية المخطوطة أنه «انتهى بحمد الله تعالى ما تيسر تحريره. والحمد لله رب العالمين. في أو أوسط جمادى الآخر سنة واحد وأربعين ومائتين وألف 1241. على يد أضعف الورى وأحقرهم حسين خواجه بن أحمد التركي. غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والملائكة. أمين والحمد لله رب العالمين». ومن غير المستبعد أن يكون حسين خواجة بن أحمد التركي، صاحب هذه الورقات، هو الذي ترجم له ابن أبي الضياف تحت اسم حسين خوجة، وهو الوزير أبو عبد الله حسين خوجة، وذكر أحمد بن أبي الضياف أن هذا الوزير كان من عمل مدينة نابلسي وأنه نشأ في تربية الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع<sup>1</sup>. أما عن تكوينه العلمي فقد تعلم القرآن وطالع الكتب، لاسيما التاريخ كما أشار لذلك ابن أبي الضياف<sup>2</sup>. وتوفي سنة 1274.

1 - ابن أبي الضياف (أحمد)، أخاف أهل الرمان بأحجار ملوك تونس وعدة الأمان، تحقيق محمد شمام، الجزء الثامن، تونس، 1990، ص 105  
2 - بعض المصادر

## **المخطوطان ومنهجنا في التحقيق**

**وصف المخطوطة الأولى والثانية:**

مخطوطة مختصر في الفلاحة، المكتبة الوطنية، تحت رقم 21287 و رمزاً إليها (أ). عدد الأوراق 44. المقاس 21.5 / 15. المصطارة 33. خط مغربي.

مخطوطة مختصر في الفلاحة على الوفاء والتام، 17810 و رمزاً إليها كالتالي (ب)، وهي نسخة للمقارنة تحت رقم 17810. عدد الأوراق 13. خط مغربي.

## **منهجنا في التحقيق**

آخر جنا النص وفقاً للقواعد الإملائية المعاصرة من حيث رسم الهمزة ووضع الفواصل والنقط. كما حاولنا التعرف عن المصادر التي اختصر منها المؤلف والتعريف باسماء النباتات وكيف تلهج في البلاد التونسية.

## **قائمة المختصرات**

ابن العوام: ابن العوام، كتاب الفلاحة، ترجمه وحققه بانكيري، مدريد، 1802.

ابن بصال: ابن بصال (أبو عبد الله محمد)، كتاب الفلاحة، نشره وترجمه وعلق عليه خوسي مارية مياس بيكروسا و محمد عزيزان، المغرب، مولاي الحسن، 1955.

ابن وحشية: ابن وحشية (أبو بكر)، الفلاحة النبطية، تحقيق توفيق فهد، دمشق، ج الأول، 1993 و الجزء الثاني، 1995.

أبو الخير الإشبيلي، كتاب الفلاحة، مدريد، 1991.

الأنطاكي: محفوظ (محمد)، تفسير مفردات الأنطاكي باللجهة التونسية، راجعه وعلق عليه ابراهيم بن مراد، بيروت، 1996.

دياسقوريدوس: ابن البيطار، تفسير كتاب دياسقوريدوس في الأدوية

المفردة، تحقيق إبراهيم بن مراد، تونس، 1990.

ديمقرطيس: كتاب الفلاحة، النسخة المنحولة لدى مقرطيس، مخطوطة  
تابع كشف دي سلان للمخطوطات العربية بالمكتبة الأهلية بباريس، تحت  
رقم 8202.

كتاب الزّرع: مخطوطة برلين تحت رقم 6204.

*Géponika Cassianus Bassus Scholasticus, Geoponicorum sive de re rustica libri XX, Lipsiae, 1895*

الرموز:

(و.): يعني وجه الورقة المخطوطة.

(ظ.): يعني ظهر الورقة المخطوطة.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه  
وسلم تسليماً هذه ورقات مختصرات من كتاب الفلاحة وضعتها لمستحقيها  
الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله نبيه وعبيده صلى الله عليه وسلم  
والرض عن آله وصحبه وحزبه الطاهرين الطيبين الأكرمين.

## باب معرفة الأرض الجيدة من الرديئة<sup>١</sup>

قالت الحكيماء<sup>٢</sup>: إذا كان النبات في الأرض غليظاً طويلاً سميها، غليظ الورق  
وحسن الخضرة، غليظ العروق فهي أرض جيدة سميّة. وإذا كان النبات  
في الأرض وسطاً فالأرض وسطة. وإذا كان النبات فيها رقيق الأغصان  
رقيق العروق وضعيف النبات و النمو فالأرض رقيقة. وخير الأرضين  
الأرض السوداء إلا أنها لا تقوى على كثرة المياه والأمطار والحرّ غير أنها

١ - ابن العوام، ٦، ١

٢ - نقل ابن العوام قائمة علماء الفلاحة من كتاب المقع لابن حجاج وأصحاب إليها بعض من ألف في الزراعة في  
الأندلس عن سقفة و الحكيماء عده علماء الفلاحة الزومان والزومان والبط والأندلسين. ويقول ابن العوام "اعلم  
وقدما الله وربك إن قسمت هذا التأليف على حسنة وثلاثين باما وصممت الأربعون من هذا العمل أنواعاً تقف عليها إن  
شاء الله تعالى و به استعين و عليك أن توكل و اعتمد على ما تتصنه كتاب الشيخ العفيف الإمام أبو عمر ابن حجاج رحمه  
الله المسنّ بالملقح وهو الذي أله في ستة و ستين وأربعين و هو مسي على أراء أهلة الفلاحين و المتكلمين نقل فيه  
صوصاق فراطهم و عرائمه لهم و عددهم ثلاثة و سبعين" ابن العوام، ١، ٧

صالحة للكروم. وأجود الأرض ما لا يكثر تسققها إذا اشتد الحرّ وإذا كثرت الأمطار لم يكن فيها زلت ولا إملاس و لا يطول مكث الماء فيها لأنها تنشف سريعاً. وإذا رأيت في الأرض أشجاراً عظاماً بريئة لم يغرسها أحد فهي أرض جيدة. وإذا أنبتت الأرض الشوك والشجر الصغار ضعافاً فليست بجيدة. وكان الأوائل يحفرون في الأرض قدر ذراع عمقاً، ثم يأخذون من أسفل تلك الحفرة ترباً ف يجعلونه في إناء زجاج ويصبون عليه ماء المطر أو ماء عذباً طيب الرائحة ويخظخظونه ثم يتركونه حتى يعفن التراب ويصفون الماء ويدوقون ذلك الماء ويشمونه، فإن كان طيب الرائحة عذباً فالأرض جيدة، وإن كان متتن الرائحة مالح الماء فالأرض مالحة رديئة، وعلى قدر الذوق والرائحة تعرف الأرض إن شاء الله. وقالوا: أيضاً احفر حفرة قدر شبر وأخرج تربتها وفتته ورده في تلك الحفرة، فإن ملأها وفضل منه فالأرض جيدة، وإن ملأها ولم يفضل ولم ينقص فالأرض وسطة، وإن لم يملأ الحفرة فالأرض رقيقة رديئة. واهرب كل المروب على الأرض المتتن والمالحة والرمل الملح والماء المالح إلا النخل خاصة، فإنه يصلح له الأرض المالحة. وقالوا: إذا كانت في الأرض حجارة عظام فهي رديئة لأنها تسخن في الحر وتحرق بحرارتها أصول الشجر والبقل وتبرد في الشتاء فيفسد الشجر والنبات إذا كانت قريبة منها. والصغار من الحجارة أقل ضرراً من كبارها والصواب نقل الحجارة<sup>(١)</sup> والصغار عن الأرض جملة<sup>(٢)</sup>.

### باب معرفة قرب الماء، وبعده<sup>(٢)</sup>.

إذا أردت ذلك فاصنع جرة لها جوف من نحاس أو رصاص أو خزف. فينبغي لك أن تطلي داخلها بالشمع المذاب والزيت، ولتكن مما تسع عشرة أرطال ماء. وإن كانت أكبر فهي أحسن ثم خذ شيئاً من صوف أبيض مغسول

1 - أناطليوس راجع 10 *Géoponika*, II, 11 وبيماوس راجع *Géoponika*, II, 11 كتاب الزرع، 2، 4

2 - ابن العوام، 2، 1

نقى من شوف فاربطة بخيط وألصق طرف ذلك الخيط في أسفل الإناء بشمع أو بزفت لئلا يسقط ذلك الصوف إلى الأرض إذا كيت الإناء على وجهه، وتكون لصوفة قريبة من الأرض ولا تصل إليها، ثم احفر في الأرض التي فيها أمارة الماء حفرة يكون عمقها أربعة أذرع أو نحوها ونصفها من ترابها، ثم أقلب ذلك الإناء على وجهه في أسفل الحفرة وضع حول الإناء من ورق القصب الأخضر الرطيب أو عشبة رطبة وتغلى أيضاً بذلك الإناء حتى يرتفع عليه قدر ذراع واحد، ثم تغم بقية الحفرة بالتراب المستخرج، وتفعل هذا عند غروب الشمس، فإذا كان قبل طلوع الشمس ارفع التراب والعشب وأقلب الإناء وانظر إلى داخله، فإن كان في بطن تلك الأرض ماء غزير قريب فإنك تجده تلك الصوفة مبلولة بالماء وإناء أيضاً قد تجده بالماء وبقدر ما تجده في الصوفة من كثرة الماء وقلته تعلم بعد الماء من وجه الأرض وقربه فإذا لم تجده في الصوف ماء البتة فاعلم أنه لا ماء في ذلك الموضع فلا تتعب في طلبه أبداً إن شاء الله تعالى<sup>1</sup>.

### **باب تحذير المكرجين للخدمة والوكييل على القرية<sup>2</sup>.**

ينبغي أن ينحروا للخدمة من الفلاحين الشاب فإنه أقوى على انحناء الظهر والأكتاف والمداومة على العمل في الحر والبرد، وأحد أبصار أو ثبت نظراً فيما تكل عنه أبصار الشيوخ من معالم حدود الأراضين وما قد درس منها، وإذا كان الفلاحون كثراً فإنه لا ينبغي أن يعملوا جمعاً في موضع واحد لأنهم إذا اجتمعوا كثراً حديثهم وأشار بعضهم على بعض من المكر والخبيث في العمل، والصواب أن يقسم في العمل من عشرة أكثر الأقسام إلى خمسة، ويستحب القوم عليهم، ول يكن عملهم بالسوية، والذين يعملون بالفؤوس يجعلهم اثنين اثنين ليعمل الكسلان منهم على عمل النسيط، ووكل بعضهم

1 - يأكثأنس راجع Géponika, II, 4 كتاب الزرع، 2، 3

2 - ابن العوام، 9

على بعض واجعل لكل قيم على ذلك شيئاً. ول يكن الذي يحفر يعمل بالفأس طويلاً عريضاً جسمياً قوياً لأن القوي يقدر على تقليله في الأرض والصغير لا يقدر على ذلك. ولا بد في المنزل من أمين ول يكن عند اسمه أميناً حسن الهدى والأخلاق له حظ في صلاح ودين وصدق لسان وحب لعماره الأرضين وحرص عليها بالطبع، ويكون متيقظاً ينبعث من نومه قبل العمالين ليقتدي به أهل المنزل، إما لحرصهم على العماره وأما للاستحياء منه والخوف والطمع. ولا ينبغي أن يكون هذا الوكيل رغيب البطن ولا كثير الأكل لشهواته ولا شارياً للخمر فيقتدي به أهل المنزل. وإذا كان حين الراحة فليرحهم ويولفهم ويحسن إليهم ويلين كلامه لهم ولا يؤخر على وقت خروجه ويعث ويتشير أهل المعرفة بأوقات العمل. والله الموفق للصواب<sup>١</sup>.

### **باب معرفة المواقع المختارة للبناء، في المنازل كلها.**

إذا أردت أن تبني بناً في منزل فتوح المشرق من الأرض فإنه أصلح هواء من أغوار الأرض، ول يشرف ساكنها على أراضي القرية وزرعها وبساتينها، ول تكون مستقبلة للمشرق، ول تدخلها الشمس من أبوابها والكتوي التي فيها في حين طلوعها، وتدخلها أرياح الصبا لتنتفى عن أهلها الأقسام من الهوى. ولا تجعل البيوت ضيقة ولا قصيرة السمك مغمومة بل تكون عالية السمك طويلة الأبواب لتخرقها الرياح فإن ذلك أصلح لأهلها وأتم. و السلام<sup>٣</sup>.

### **باب تخير الأبواب.<sup>٤</sup>**

أفضل الزبوب زبل الحمام، وكل زبوب الطير جيدة ما خلا طير الماء كالبط والوز فإنها تفسد الأرض وتهلك النبات. وأجود الأرواث روث الخيل والبغال والحمير ثم زبل الضأن والماعز ثم أرواث البقر. وإذا كان الزبل مخلوطاً

1 - **تاژوئُس (Varro)** راجع، Géponika, II, 22 كتاب الزرع، 2، 7

2 - أصفت هذا النبات من السحة (ب) ابن العوام، 1، 30

3 - **پیدئُس (Vetus)** راجع، Géponika, II, 3 كتاب الزرع، 2، 1

4 - ابن العوام، 2

بأنواع الزبول كان أحسن. وأما زيل الخنازير فانه يهلك كل ما ذكرنا منه. وينبغي أن يحفر حفرة عظيمة ويطرح فيها من كل أنواع الزبل ويجعل معها رماد التنانير ويصب عليها الماء العذب وأحوال الناس وتعنق. وكلما قدم الزبل كان أوفق وأفضل. ولا ينبغي أن يزيل الأرض بزيل مز عليه غير عام واحد فأقل، فإنه لا ينفع الأرض بل يضرها ويولد فيها الدود والدواوب الكثيرة. وأما زيل ثلاثة سنين وأربع<sup>(٤)</sup> سنين فكثير الصلاح والمنفعة، وكلما أعتق الزبل أحرق كل شيء فيه وحسن، وإذا طرح على كل وقر من الزبل القديم وثلاثة أو قار من التراب وخلطه به، وترك زمانا صار جميعا زيلا جيدا. وإذا أقيمت على زيل الحمام لكل كيلة عشرين كليمة من التراب وتركه حولا كاملا صار كله زيلا طيبا. وقال بعض الحكماء الأرض الطيبة إذا زيلت زكي زرعها والأرض السمينة لا تحتاج إلى الزبل الكثير. واعلم أن الأرض الطيبة إذا لم تزيل بوردت، وإذا كثر زيلها فوق ما تحتاج حرقـت. وتبين الفول والقمح والشعير إذا بـرـزـ أحدهـمـ فيـ الأـرـضـ نـفـعـهـ وـيـصـلـحـ الـأـرـضـ الـمـالـحةـ وـيـحـلـيـهـ،ـ ثـمـ تـزـدـ الزـبـلـ فـيـهـ بـعـدـ ذـلـكـ فـتـحـسـنـ الـأـرـضـ وـتـجـوـدـ وـيـزـوـلـ مـلـحـهـ إـنـ شـاءـ اللهـ تـعـالـىـ<sup>(١)</sup>.

### باب تحبير البذر<sup>(٢)</sup>

اختر من البذر أصحه وأجوده وأسمنه، واحذر الرقيق المهزول. ويكون القمح صحيحـاـ نقـيـاـ كـأـنـهـ مـدـهـونـ بـالـدـهـنـ حلـوـ الطـعـمـ. وـخـيـرـ ماـ زـرـعـ مـنـهـ مـاـ أـوـقـيـ عـلـيـهـ عـامـ أوـ عـامـينـ،ـ أـمـاـ مـاـ جـاـوزـ عـلـيـهـ ثـلـاثـةـ أـعـوـامـ أوـ أـرـبـعـةـ فـهـوـ دـوـنـ مـاـ تـقـدـمـ. وـيـنـبـغـيـ أـنـ يـلـثـ بـعـصـيرـ السـوـسـنـ وـيـدـقـ أـصـلـ السـوـسـنـ فـيـخـلـطـ بـالـبـذـرـ،ـ يـحـوـدـ ذـلـكـ. وـلـاـ تـغـرـ بـالـقـمـحـ وـانـ كـانـ مـنـ الـأـمـكـنـةـ التـيـ يـقـيمـ فـيـهـ القـمـحـ فـيـ الـبـيـوتـ وـفـيـ الـمـطـامـيرـ السـيـنـ الـكـثـيـرـ. وـأـمـاـ الشـعـيرـ لـلـبـذـرـ،ـ الصـحـيـحـ الرـزـينـ الـأـبـيـضـ<sup>(٣)</sup>.

1 - راجع، 22 *Géoponika*, II, كتاب الزرع، 2، 6

2 - ابن العوام، 18، 1

3 - أونتاليس راجع 16 *Géoponika*, III كتاب الزرع، 3، 3

## باب معرفة ما ينفع الزرع وبذرها ويدفع الآفات عنه<sup>١</sup>.

ذكر أصحاب الفلاحة أجمعون: إنك إذا أخذت غربالا من جلد ذئب أو ثعلب وتثقب فيه ثلاثة ثقبة قدر ما يدخل الأصبع السبابية فيها، وغربلت بذلك بذر حرشك بارك الله فيه وسلم من الأوقات<sup>٢</sup>. قال انطريوس الحكيم<sup>٣</sup>: إن غطيت المكيال الذي تكيل به البذر بجلد ضبع حتى تعلق به ريحه، لم يكتل به شيء إلا إن تکبه الطير بإذن الله. وأجمعوا: أنه إذا أخذ قرن الأيل وأبرده حتى يصير دقيقا وخلطا معه البذر فان الله عز وجل يسلمه من كل آفة. وكذلك إن قطع قرن الأيل صغارا ونقع في الماء سبعة أيام ثم نضع على البذر كان مثل ذلك. وقال انطريوس الحكيم<sup>٤</sup>: الفيل يفعل مثل ذلك. قالوا وإن نضع على البذر ماء الزيتون بلا ملح فانه ينفعه مثل ذلك. وإن أخذ<sup>٥</sup> الخريق الأسود ودقته وخلطته بالماء ونضحت به البذر فانه لا يأكل منه طير إلا مات، فخذ ما مات وانصبه على عصا منكوسا وفرقها في أرض الزرع فانه لا يقرب ذلك الزرع طائر بإذن الله. وقال انطريوس<sup>٦</sup>: إذا أخذت سرطانا وألقيته في جرة ماء وتركته فيه سبعة أيام ثم نضحت ذلك الماء على الزرع لم يقربه طائر. وإذا دققت البورق ونضحته على البذر فانه يجود ولا يضره شيء من الدواب والطير. وإذا وقع الدود في الزرع فاسحرقه بالثوم ويعيدهان الثوم حتى يغشى دخانه جميع الزرع فان الدود يسقط عن الزرع. وإذا فعلت ذلك بالأشجار كلها سقط عنها بإذن الله تعالى. وذكرت الحكماء: أنه إذا أوقفت المرأة مرأة جديدة قبل سحاب البرد، صرفه عز وجل عن ذلك الموضع. قالوا: وإن قرنت مفاتيح شتى في حبل وعلقت في قصر أو دار في المنزل، صرف الله

1 - أبو الحسن، ص ٦٦

2 - شُوطيُوس راجح 19 Géponika, II, 19 كتاب الزرع، 3، 8 أبو الحسن، ص ٦٦

3 - في (ب) كان الحديث عن أسطرطليس

4 - كما في الأصل وهو تحرير، والصواب أناطليوس

5 - الصواب أناطليوس

البرد عن ذلك المنزل والله أعلم. وقال ذو مقراط<sup>١</sup>: الحيلة لإذهاب الحشيش من الزّرع أن تأخذ خس قطعات من خزف جديدة، فَصَمُورٌ في كل قطعة منها تمثالأسد وتمثال رجل قابض على حلق الأسد بيده، وتوضع خزفة واحدة في وسط الحرث والأربع خزفatas في أربعة نواحي، فان كل حشيش في ذلك الزّرع يهلك. وإن أخذ فأس من نحاس أو قادوم وحمي وسقي بدم تيس لم يقطع به نباتا إلا استوصل ولا يرجع أبداً<sup>٢</sup>.

### **باب تخبير الزراعة وقلب الأرض<sup>٣</sup>.**

وينبغي أن لا يزرع البذر في أيام شديدة <البرد> بريح الشمال والرياح الغربية فإن الأرض لا تقبل الزّرع فيه جيدا. وإن زرعت بريح الجنوب أو الشرقية أو في يوم دافئ قبلته الأرض أحسن قبول. وقال ذو مقراطيس<sup>٤</sup>: يزرع بعد أربعة في الشهر القمح إلى أربعة عشر منه، يكون أذكى من غيره وأحسن وأطيب. والذي يزرع في نصف الشهر، في نقصان القمر، يخرج قليلا ضعيفا إلا ما شاء الله. وأن يزرع القمح في أطيب الأرضين والشعير في أوسطها والفول والحمص في الأرض الندية. وأفضل الحرث في مارس ولتكن سكة الحرث كبيرة ليخرج شحم الأرض وتقلبها<sup>٥</sup>.

### **زراعة العدس<sup>٦</sup>.**

إذا أردت أن تزرع العدس فدللكه بخثاء البقر اليابسة فإنه يسرع نباته ويكثر حبه. ومن أكل من ذلك العدس لم يزل مسرورا ما دام ذلك العدس في معدته. وإن بذر العدس بخل ثقيف سلم ذلك من السوس. <sup>(ط)</sup>

١ - شُوُطِيُوس راجع 42 Géponika, II, 42 كتاب الزّرع، ١١، ٣

٢ - أُفْرِيقَائِس راجع 18 Géponika, II, 18 كتاب الزّرع، ٥، ٣

٣ - ابن العوام، ١٧

٤ - كذا في الأصل وهو تحريف، والصواب ديمقراطيس الذي ذكر في كتاب الملاحة "ول يكن ما يزرع من أربعة أيام يخلو من أول الشهر إلى تمام أربعة عشرة ليلة من الشهر وذلك عشرة أيام" ديمقراطيس، ٤ (ج)

٥ - ويدِيُوس راجع 14 Géponika, II, 14 كتاب الزّرع، ٤، ٣

٦ - ابن العوام، ٢٠، ٤

وزرعه في ينابير وفبراير<sup>١</sup>.

### زراعة الحمص<sup>٢</sup>.

تنقعه في ماء فاتر قبل أن تزرع بيوم. والأرض الملاحة توافقه وأخلط فيه من حب الشعير فإنه يصلحه إن شاء الله<sup>٣</sup>

### زراعة الباقلاء<sup>٤</sup> «وهو الفول»

ازرعه في الأرض الرطبة الندية فان زرعه لا يصلح إلا في ذلك. وان أحببت سرعة نباته فانقعيه في ماء ونظرون يوما واحد، ثم ازرعه فإنه يسرع نباته وإدراكه. وأن زرع الفول في التربة البيضاء موافقا له، ولا يزرع الفول بين الشجرة المثمرة فإنه مضر لها. وان أكثر الدجاج من أكل الفول انقطع بيضه. وقشر الفول يضر غرس الكروم الحديقة إذا طرح عند أصلها<sup>٥</sup>.

### زراعة الترمس<sup>٦</sup>.

ازرعه في أرض رقيقة رملية، ويكون ذلك عند زيادة الهلال في أكتوبر، ولا تتضرر بزراعة المطر. وكل أرض يزرع فيها تجود للحنطة في السنة المقبلة، وهو بمنزلة الزيل للأرض. والله أعلم<sup>٧</sup>.

### كيفية الحصاد<sup>٨</sup>.

احصد القمح إذا يبس، واحصد الشعير وفيه رطوبة فإنه أطيب له،

١ - فلزيطيُس راجع *Géponika*, II, 37 كتاب الزرع، 3، 17

٢ - ابن العوام، 21

٣ - فلزيطيُس راجع *Géponika*, II, 36 كتاب الزرع، 3، 16

٤ - ابن العوام، 21، 1

٥ - ديدُش راجع *Géponika*, II, 35 كتاب الزرع، 3، 15

٦ - ابن العوام، 21، 5

٧ - السقاوة المصري، ويعرف تونس بمول الكلاب قريب من حلق اللوبيا إلا أنه أغبرص ولا نقطته به الأنطاكي،  
من 60

٨ - فلزيطيُس راجع *Géponika*, II, 39 كتاب الزرع، 3، 18

٩ - ابن العوام، 29، 1

وكذلك جميع القطاني<sup>١</sup> ببر طوبتها فانه أوفر لها وأفضل. وان حصدت فضع ما يلي السبيل منه نحو المشرق وموضع قطع المنجل نحو المغرب فانه أفضل. وأرفع جميع الحبوب قبل غروب الشمس فانه أبقى لها وأفضل لحبوبها من أن يذهب برد الليل<sup>٢</sup>.

### باب اختيار مواضع الاندار<sup>٣</sup>.

الاندار تسمى بالعراق البيادير واحدتها بيدر<sup>٤</sup>. فلتكن مواضعها مشرفة لا يرد الريح عنها شيئاً، ولتكن في الأرض الصلبة الصخرية، ولتكن معزولة عن المنزل وعن البساتين، من أجل الريح تحمل دقيق التبن إذا ذرى الزرع وتلقيه على الشجر فتحرق شجرتها وورقها، وتخلس الشمس إلى عيدان الشجر وأصولها فتحرقهما.

### صفة البيوت التي تتخذ لخزن الطعام<sup>٥</sup>.

اجعل في البيوت كوة من المشرق والمغرب لتخرقها الرياح وتخرج منها وهج حرارة البيت. ولا تجعل فيها كوة مما يلي الجنوب ولا تجاوزها للمطابخ ولا مرابط الدواب لحرّها. ولتكن الطين الذي يطين به الحيطان طيباً. واخلط به التبن وماء الزيتون بلا ملح ورماد ورق الزيتون أو رماد أي شجر كان. وان نقع قناء الحمير<sup>٦</sup> في الماء وعجن به رماد ثم طلي به داخل البيوت لم يقرب الطعام الذي فيه سوس ولا فأر ياذن الله<sup>٧</sup>.<sup>٨</sup>

١ - الكرة الأسطوكي، ص 61

٢ - هرقلطيون راجع 25 *Géponika*, II, كتاب الزرع، 3، 19

٣ - ابن العوام، 2، 29

٤ - ابن وحشية، ح 1، ص 426

٥ - ابن العوام، 3، 29

٦ - فقوس الحمير تتوس، ويعيرها من الجهات فقوس الهايم ويسمى قناء الحمير لأن أوراقه تشبه أوراق القثاء، وحمير تطلعه وتأكله الأسطوكي، ص 91

٧ - هازانطيون راجع 27 *Géponika*, II, 27 كتاب الزرع، 3، 20

## باب ما يحفظ المطعام من الفساد<sup>١</sup>

خذ ورق الرمان اليابس ومن رماد حطب البلوط ومن الجير اليابس ما شئت كيلة واحدة، ومن القمح مائة كيلة وانخلط الجميع خلطا جيدا فان القمح يسلم من الآفات بإذن الله تعالى. وإن اخذ من ورق شجرة السدر وورق السلق فنقعتها وخلطتها بالخنطة سلمت من الآفات بإذن الله. وإن خلطت بالشعير جصا منخولا بقدر ما ترى فيه بياضه ودفنت جرة مملوقة خلا ثقيفا وسط الشعير سلم بذلك من الآفات بإذن الله تعالى. قال بعض الحكماء: إن جعلت بعر الصأن و افستين<sup>٢</sup> يابسا سلم بذلك من الآفات وبقي القمح صليبا. وإن نضحت جرة من ماء الزيتون على مائة جرة طعام لم يفسد ولم تقربه آفة. وإن نضحت عليه ماء الاسطين بقي ولم يفسد.<sup>٣</sup>

## باب تحبير المواقع لغرس الكرم<sup>٤</sup>

الأرض التي يضرب لونها السواد والحمرا أن كان فيها رطوبة فاغرس فيها الكروم فإنها موافقة لها. والأرض البيضاء للكرم الأبيض موافقة له. والأرض اليابسة الكثيرة الرمل هي للكرم الأسود أوفق. والعنب الأصفر والأخضر يناسب في الأرض الرقيقة. ولكن الأعناب ينبغي أن تغرس في أرق الأرض وأسفلها والعنب الذي فيه شدة فينبغي أن يغرس في الأرض الرطبة. ولا يغرس من كرم كثير الزرجون<sup>٥</sup> في أصلها في أرض سمية، فانك إن فعلت ذلك لم تبلغ أوان القطف حتى يتمسّس عنها. ولكن اغرس من الكرم معتدلة القضبان. واغرس في الأرض السوداء من الكرم الكثيرة الحمل. وإن أخذت قضيبا من كرم رقيقة القضبان ضعيفة فغرستها

١ - ابن العوام، 3، 29

٢ - شجرة مريم متoss الأطاكي، ص 44

٣ - طازانطليس راجع Géoponika, II, 27 كتاب الرزع، 3، 21

٤ - ابن العوام، 7، 45

٥ - الرزجون، هو قصسان الكرم أو العب

في أرض رقيقة لم تخصب، ولكن أغرسها في أرض سميكة فإنها تجود. وخذ القصيّب من الجبل وأغرسه في البقاع ومن البقاع فاغرسه في الجبل فإنه ينخصب. وإياك أن تغرس العنبر في سفوح الجبال لأن السيل والماء تكشف أصولها.

### باب تحذير الزرجون للغرس<sup>١</sup>.

وليس كل الزرجون يصلح للغرس، فلا تأخذ من أعلى الكرمة ولا من أسفلها ولا مما ينبت في أصولها ولكن من وسطها مما لا ان من الزرجون وتقارب عقدة. والقاسي من الزرجون لا خير فيه، ولكن الجيد من الزرجون ما صفا لحاه وتقارب عقده. ول يكن قطع ذلك بمنجل مسقي حاد. و لا يستأصل قطع قضبان الكرمة فتهلك، ولا قطع قضبان الغرس من الكرمة <sup>٤</sup> القديمة ولا من الغروس الحديثة، ولكن اقطع من ابن ست سنين إلى نحو ذلك. وقال ذو مقراطيس<sup>٢</sup>: اقطع القضبان من الكرمة المتوسطة لا من قديم ولا من حديث، ولتكن زراعته سريعاً. وإن لم يكن غرس القضبان في الحين فادفنه في أرض ندية إلى وقت غرسك إن شاء الله.

أسرع الكروم إدراكاً وأكثرها ثمرة ما غرسه قضباناً وتركته سنتين ثم تقلعها بعروقها وتغرسها في مكان آخر فيكثر حملها ويزيد طيب ثمرتها. وكذلك كل شجرة غير الكرمة فان حكمها هذا الحكم . وكل كرمة أو شجرة إذا غرستها وأبقيتها في مكانها ولم تنقلها بعد أن يأتي عليها ستان فإنها تكون قليلة الحمل جداً، وإن أتيت بالغروس من مكان بعيد وظننت أن الريح قد أصابتها فأنفعه في ماء عذب يوماً ثم أغرسه. وإذا كانت الزرجونة طويلة الأنابيب فيجعل في قضيب الغرس ثانية أعين، وإن كانت متقاربة العيون تجعل فيها عشرة، والمترابطة العيون أجود وأفضل.

١- ابن العوام، ٧، ٤٥

٢- " وأصل القصان للغرس ما قد عرس مدة سبع ثم تقلعه بعروقه وتعرسه في مكان آخر ويعني أن يكون من كرم لا عتيق ولا حديث من أصول كبيرة" ديمقراطيس، ٧ (و)

## كيفية الغرس<sup>١</sup>

نَّقِّ الأَرْضَ الَّتِي تَرِيدُ غَرْسَهَا مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ النَّبَاتِ وَالْحِجَارَةِ. فَإِنْ كَانَ غَرْسَكَ فِي سَفُوحِ الْجَبَالِ السَّائِلَةِ وَلَا بَدْ مِنْ ذَلِكَ، فَالْأَمْرُ أَنْ يَكُونَ عَمْقُ الْحَفْرَةِ سَتَّةُ أَشْبَارٍ إِلَى أَكْثَرٍ، لَأَنَّ مِيَاهَ السَّيُولِ مَعَ التَّرَابِ تَزِيلُ التَّرَابَ عَنْهُ فَيُطْلِلُ الْغَرْسَ. وَإِنْ كَانَ غَرْسَكَ فِي الْوَطَيِّ مِنَ الْأَرْضِ فَيَجْعَلُ عَمْقُ الْحَفْرَةِ ثَلَاثَةً أَشْبَارٍ إِلَى أَرْبَعَةَ، لَأَنَّ الْأَرْضَ السَّمِينَةَ لَا يَبْلُغُ الْحَرَّ مِنْهَا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةَ أَشْبَارٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي لَمْ تَشْقُقْ، فَإِنْ أَنْتَ قَصَرْتَ الْحَفْرَةَ عَمَّا ذَكَرْنَا هُوَ أَفْسَدُ الْغَرْسِ وَأَحْرَقْتَهُ. وَلَا تَغْرِسْ أَصْلَ الْقَضِيبِ وَلَا أَعْلَاهُ وَلَكِنْ اغْرِسْ وَسْطَهُ. فَهَذَا قَوْلُ جَمِيعِ الْفَلَاحِينَ. وَمَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ أَنْ يَأْخُذَ الْغَارِسَ بِيَدِهِ الْقَضِيبَ وَيَثْبِتُهُ مِنْهُ أَسْفَلَ الْحَفْرَةِ قَدْرَ الرِّبْعِ وَيَضْعُعُ عَلَى مَا ثَبَّتَ مِنْهُ قَدْمَهُ وَيَشْدُهُ إِلَى الْأَرْضِ بِمَبْلَغِ طَاقَتِهِ وَيَرْمِي عَلَيْهِ مِنَ التَّرَابِ شَيْئًا، وَيَضْعُعُ قَدْمَهُ الْآخَرَ عَلَى التَّرَابِ الْمَوْضِعِ عَلَى الْقَضِيبِ، وَلَا يَزَالْ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى يَبْلُغُ وَجْهَ الْأَرْضِ فَهَذِهِ كَيْفِيَّةُ الْغَرْسِ. وَآخَرُ الْأَمْرِ شَدُّ الرَّجْلِ عَلَى مَا يَثْبِتُ مِنَ الْقَضِيبِ وَرَدْمُ التَّرَابِ عَلَيْهِ لَثَلَاثَةِ يَكْوْنُ الْقَضِيبُ مُنْفَشًا وَلَيَكُنْ بِقِيَّةُ الْقَضِيبِ الْخَارِجَ<sup>(٥)</sup> فَوْقَ وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ أُولَى الْعَمَلِ قَدْ عَطَّفَهُ الْغَارِسُ لَهُ بَيْنَ فَخْدَيْهِ لَثَلَاثَةَ آفَةٍ عِنْدَ رَمِيِّ التَّرَابِ عَلَى طَرْفِهِ الْمَدْفُونِ. وَلَيَكُنْ بَيْنَ كُلَّ قَضِيبٍ فِي الْغَرْسِ مِنْ خَمْسَةِ أَذْرَعٍ إِلَى سَتَّةِ. وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَغْرِسَ الْأَبِيسَنَ وَالْأَسْوَدَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ بَلْ يَكُونُ كُلُّ جِنْسٍ عَلَى حَدَّهُ فَهُوَ أَفْضَلُ وَأَحْسَنُ لَأَنَّ طَبِيعَةَ الْأَعْنَابِ مُخْتَلِفَةٌ، مِنْهَا مَا يَتَقدِّمُ نَضْجَهُ وَمِنْهَا مَا يَتَأْخِرُ فَلَا يَسْتَقِيمُ جَمِيعُهَا فِي أَوَانٍ وَاحِدٍ. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: اجْعَلْ فِي كُلِّ حَفْرَةِ قَضِيبَيْنِ فَانْ أَخْطُأْ أَحَدَ الْقَضِيبَيْنِ أَخْذُ الْآخَرَ وَاسْتَمْسِكْ، وَإِنْ اسْتَمْسِكَ جَمِيعًا نَزَعْتَ أَضْعَفَهُمَا لَأَنَّ الْقَضِيبَ إِنْ كَانَ وَحْدَهُ كَانَ أَقْوَى لَهُ، وَإِذَا كَانَ قَضِيبَيْنِ التَّفتَ عَرْوَقَهُمَا وَضَعْفَ، وَتَغْرَغَ أَطْرَافُ الْقَضِيبَيْنِ بِالْخَثَاءِ الْبَقْرِ قَبْلَ غَرْسَهَا فَانْ

الديدان تهرب منها. وغرس الكروم من أول الشهر العربي إلى نصفه أفضل، ولا تغرس الكرم ولا تزيره أبداً إلا بعد ساعتين من النهار إلى عشر ساعات، لأن الرياح التي تفسد إنما تكون أول النهار وآخره.

### باب ما يسرع نبات الكرم ويحفظه<sup>١</sup>.

اقطع ثمرة البلوط الصغير والق منه مع كل غرسه في أسفل الحفرة. وقالت الحكمة: يؤخذ زيل البقر فيدق ويungen ببول ويلطخ منها الزرجونة عند الغرس فانه يجود ويسرع نباته ويدفع عنه كل ما يؤذيه من الدود وغيره. ويدق ورق البلوط والنanaxah<sup>٢</sup> ويجمعان ويعلق منها في جميع أصول القصبان وفي أصول كل شجرة تغرسها يسرع بذلك نباتها وتغلط عروقها وتكثر ثمرتها وتطيب وتحسن. وان ألقيت في أصول الكرم حين تغرسها شيئاً من تبن الباقلاء ثم تحثوا عليه التراب وسقيته فان ذلك يدفع عنه كل ضرر بإذن الله تعالى. وان دهنت القصيبيع عند غرسه أو نعمت طرفه بالزيت وغرسته طاب طعمه واشتدت حلاوته.

### باب زبد الكروم<sup>٣</sup>.

ويسمى التحلية. تزيرها قبل أن تبدو عيونها بالخروج لأنك إن زيرتها بعد تعينها ألت ثمرتها، فان فاتك زيرها فاتركها حتى تنشر عناقدها، ثم ازيرها وأزيل ما يجب زواله ونق ما حول الكرمة من غرائب الشجر. وليس شيء من الكروم أحوج إلى التنقية من الحديث ما دام رخصاً وغضباً، فان الذي ينبت فيه يضره ويفسده<sup>٤</sup>.

١ - بعض الإحالة

2 - هذه تسمية مصرية للثات المسمى بالحواء وناتحة من المغاربية وهو الثات المسمى علمياً (*Carum*) و بالفرنسية (*Ammi*) ومن أسمائه العربية الأبيسون الري الألطاكى، ص 121

3 - ابن العوام، 9

4 - تمهيلس راجع *Géoponika*, V, 23 كتاب الربيع، 4، 28

## باب ما يطرد الدود والعوام عن الكروم<sup>١</sup>.

اطل المنجل الذي تزير به الكرم بشحم دبٌ<sup>٥ ط\*</sup> فانك ترى عجباً. واطل المنجل بالثوم المدقوق خلطها، فكلما ذهبت رائحته دهنته منه. وإذا دهنت الكرم بأرواث الدواب عند شدة البرد سلمها الله من المضرة. وخذ من الشمع والكبريت أجزاء متساوية فضعها على جمر وبخر بها الشجر والكرום فإنه يهلك كل دود ونمل يجد رائحته. وإذا دخنت الكرم بخثاء الحمير وبخثاء البقر والزيت نفياً عنه الروائح. واطرد الدود أيضاً يؤخذ رماد حطب التبن فيذر على الزرع والبقل فإنه يعتل الدود عن جميع الأشجار. وإذا دخنت الشجر بالكبريت ولقاح الأذخر أذهب الدود عن الأشجار. وإذا دفن في وسط الأرض كرش كبش بفرائه، ولا يوارى بالتراب فان جميع دود ذلك الأرض يجتمعون إليه فيؤخذ ويحرق، فان بقي شيء من الدود افعل مثل ذلك حتى لا يبقى منه شيء. وإن دخن الزرع أو الشجر بثوم أو بعيدان الثوم تساقط كل دود يجد ريح ذلك. وان أخذ بول ثور وعصير زيت جديد ونضع على الزرع والبقل هلك الدود. ويؤخذ منه وقرن أيل وظلف شات ونشارت عظم الفيل، أي ذلك كان فدخن به الزرع فلا يبقى فيه دود إلا هلك بإذن الله. وكل كرمة يقل حملها وينقص ثمرها فانقر في أصلها بمنقار وادخل في ذلك الشق حجراً واسقها بولا قدتها واخلط زيلاً بتراب واطل أصل الكرمة وموضع الحجر، وليكن ذلك في آخر الخريف.

قال الحكيم: والكرم إذا لم يحمل فشق شيئاً من أصله وصب عليه شيئاً من أبوال الناس وغطتها بالتراب. وإذا احترّ ورق الكرمة أو ورق شجرة من الشجر فيقال أنها أفسدها البرق، فدوافعها أن تتفقد أصل الكرمة بمنقار ويوضع فيه وتداً من بلوط على قدر الثقب وغم موضعه بالتراب. وقال بعض الحكماء: ويشق أصل الكرمة ويصب في شقها ماء أو الماء والملح. وقال آخر:

يطيخ زيت بزيد البحر ويلطخ به أصل الكرمة. وكل كرمة متغيرة خذ لها رماد البلوط ورماد الزرجون وأعجنها بخل واسق بذلك أصل الكرمة المتغيرة. وكل شجرة أفسدتها البرق فأحرر ورقها فعلاجها أن تأخذ لها ورقة الكرمة وتندقه وتعصره وتخلطه بخل حاذق وتصبه في أصلها. وخذ الرجلة<sup>١</sup> فدقها ناعماً وأطل بها أصل الشجرة تبراً بإذن الله. و الكروم التي تدمع هي بمنزلة الإنسان الذي لا تطيخ معدته الطعام. فخذ منجلاً حاداً فانخر به أصلها، فان لم يندفع ذلك فانظر إلى أغلفظ عرف يكون فيها فاقطعه<sup>٢</sup>، وخذ ماء الزيتون وأطبخه حتى يذهب نصفه وأطل به مواضع القطع. وانظر إلى العين التي في أصلها فاطلها بخرو العصافير فانه مجرب. وكل كرم يسرع إليه التجليد من قبل موضعه ورياحه، فازرع في أصله الفول فانه يدفع عنه التجليد بإذن الله تعالى. وكل كرمة تفسد وتلقي ثمرتها ويبيض ورقها ويبيس ويصير زرجونها متحبباً، أعجن لها رماد النخل وأطل به تلك الكروم وانضج به ما حولها فانه نافع مجرب. وانظر الكرمة التي يسقط عنها كثيراً ولا يورد حتى يتماسك وهو صغير فخذ البقلة الحمقاء<sup>٣</sup> وأعصر ما ذرأها وأطل به أصول الكرم. وقال بعض الحكماء: خذ أربع حفnotas من رماد قديم وألق منه في أصل كل كرمة يتماسك عنها إن شاء الله.

### باب تحليم الكرم<sup>٤</sup>.

اجعل قضيب التلقيم أملس أرطب ما تقدر عليه ويكون متقارب العيون ولا تترك فيه إلا أربعة عيون وتلقم به ساعة قطعه فان تركته أياماً فأضممره في التراب في الأرض وصب عليه الماء فإذا بدا يهيج فلقم به، وأفضل ذلك في شهر ابريل، وابري طرف القضيب مثل القلم، ويكون جانب القضيب

1 - ابن بطال، ص 155

2 - نسمى السدلاقة والرحلة الأنطاكي، ص 57

3 - ابن العوام، 7، 45

مع موضع الشق حتى يفضي لحاء القضيب ما انشق منه. وقال ذو مقراط<sup>١</sup>. ول يكن قضيب التلقيم رطب قریب القطف، ولا تلقم به وقت ما تقطعه ولكن اجعله في إناء واجعل في أسفله شيئاً من التراب قد خلط بشيء من زبل طيب وتغطيه أيضاً كهيئة سبعة أيام، واحذر أن يصبه ريح ثم أخرجه ولقم به. ول يكن القضيب في غلظ الإبهام، ويقطع بمنجل مشحوذ وتحفي التي في ثقبه الكرمة قدر عرض أصبعين أو ثلاثة، كما تبرى القلم حتى يستبين ثقبه، ول يكن الثقب على قدر ما تبرى من أصل القضيب لا يزيد ولا ينقص، ول يجعل في موضع أصله شيئاً من رماد أو تراب جاف ليشف ما كان فيه من بلل، ثم يشد أصله بنسعة وتجعل عليه طيناً حاراً مخلوطاً بخشى البقر، وتنضج عليه ماء كل عشية في الصيف حتى يقبل الصلة، فإذا عَقدَت وأورق طرفها أركنت جانبها غصناً ومسكتها إليه، فإذا قطعت عنها كل بنسعة وخيط ليجري إليها ماء الشجرة أو الكرمة. والتلقيم على ثلاثة أوجه فمن الناس من يلقم في ساق الكرمة ومنهم من يلقم في أصل الكرمة يلقم في القصبان. فمن لقم في الأصل فيحفر التراب عن أصل الكرمة ويقطع جميع زرخونها وساقها ويقلماها، بآن يحفر عند أصل الكرمة قدر شبر ثم يتثبت في أسفل الأصل ثقبة<sup>(ط)</sup> ويجعل فيها قضيب الغرس ويعيد التراب عليه. ومن يلقم فوق الأرض فليكن على مقدار ذراع على وجه الأرض وذلك عند خروج البرد في أول الربيع ول يكن القضيب طول قدمين في غلظ الإصبع. والتلقيم على وجه الأرض أفضل إذا كان الأصل غليظاً يقبل التلقيم. وما لقت من شيء فغطه بورق الشجر ليقيها من الثلج والجليد. ويشق التلقيم بقفاء منجل حاد طول ثلاثة أصابع ويدخل القضيب في ذلك الشق ويطن عليه بخرقة يوثقها بها. وينبغي أن تكون الآلة التي يلقم بها من أجود الحديد<sup>٢</sup>.

1 - ديمقراطيس، 8 (ط)

2 - فلزططيس راجع IV, 12 Géponika، كتاب الزرع، 4، 23

## باب الحيلة أن تكون في عناقيد الكرمة أسود وأحمر وأبيض<sup>١</sup>

فخذ قضيبا من كرمة بيضاء ومن حمراء ومن سوداء ثلاثة قضبان وتضم بعضها إلى بعض وأوثقها رباطا واحفر حفرة في أرض طيبة وضمها بالتراب، وبعد ثلاثة أيام انضج عليها من الماء العذب. وإذا أنت عليها ستان اقطع من تلك القضبان زرجونة وأغرسها، فإن عناقيدها تكون مختلفة اللون في الحب أن شاء الله. فان أخذت ثلاثة قضبان وشققت كل قضيب منها برفق وتلطف لئلا تفسد عيونها ولا لبابها ثم ضمت كل قضيب إلى خلاف اللون وترح في أول الأمر (كذا) أن تكون قياس كعوب ثلاثة قضبان واحد ول يكن إذا شفقتها وضممتها التفت كعوبها وصارت كعبا واحدا في رأي العين، فشدها بنسخه من برد أو قشر شجرة الطرف أو الصفصاف واطلها بخثي البقر، ثم طينه بطين حار وأغرسها في حفرة يكون عمقها ذراع فوق الأرض منها كعبتان لا غير، واسقها كل ثلاثة أيام حتى تستمسكن فإنها تصير قضيبا واحدا. وبعد عامين اقلعه من الموضع الذي غرسه فيه وتغرسه في غيره فان ثمرته تكون مختلفة باذن الله. ومتى أردت قلعه فلا تعمق أكثر من ذراع لأن الشمس تدخل حرارتها إليه فتصير له عروق ويكون أهون عليك في قلعه والإرافق على عروقه. وما لا ت يريد قلعه ولا تحويله فَعَمِّقْ حسيبا تقدم ذكره. وإذا أردت أيضا أن تجعل في الأصل الواحد ألوانا من العنبر فاقطع من كل صنف من الكرم قضبانا واجمعها وافتل بعضها ببعض فتلا ريقا مستويا، وخذ عظم ساق البقر أو ساق الثور أوسع ما تجد، واربط القضبان عند رؤوسها وأطرافها ووسطها رباطا لطيفا حتى يلحق بعضها ببعض وادخل القضبان في العظم (٢) واجز أسفال الزرجون من الساق وضم ذلك في أرض طيبة مزبلة. وأسقه كل ستة أيام ماء عذبا فإنه إذا نبت والتف وصار شجرة واحدة وفيها أعناب مختلفة باذن الله تعالى. وإذا أردت أن تكون

للكرمة رائحة المسك أو العنبر أو الكافور أو غير ذلك، فإذا شفقت القضيب وأزالت لباه على ما وصف لك، فاحش القضيب المشوق بأنواع ما شئت من الطيب وشده بنسعات بردي أو قشر الصفصاف وأغرسه ودبره على ما وصفته لك، فإن رائحة العنبر تكون مثل رائحة الطيب الذي جعلت في القضيب بإذن الله تعالى<sup>١</sup>.

### **تربيط الكرم<sup>٢</sup>.**

تربيط في السنة الثانية من غرسها عند كل أصل قدر قدم من زيل قديم بعد ما تتقى عروقها الظاهرة، وتقلع باليد من غير حديد حتى تغليط وتشتد، وينبغي أن يلصق الزبل بالأصول. وإذا كان الكرم في الأرض الرملية فخير ما زيلت به زيل المعز. وأما ما كان في الأرض البيضاء فزيل البقر لأنه قوي طبعه. والكرم يخصب إن زيلت أصوله بزيل الحمام. وزيل الكرم إذا خرج الشتاء والأرض رطبة وارم الزبل على التراب. وتبين الفول عوض الزبل إذا لم يكن الزبل. وما يجود به الكرم أن يغرس في السنة الثانية من غرسه الفول والقرع والثفاء والسلق والنانخا فان جميع هذه الأشياء توافقه. وإياك أن تزرع شيئاً من ذلك في السنة الأولى من غرسه. وإياك أن تزرع في الكرم الخس والفجل ولا الشلجم<sup>٣</sup> ولا الكرنب لأنه يضر بالكرم إضراراً قبيحاً بخاصية فيه.

### **صفة تلقييم العنب في التفاح<sup>٤</sup>.**

إذاجاورت شجرة التفاح الكرمة، فاقتب في شجرة التفاح ثقبة فوق الأرض وتعمد إلى قضيب الكرمة فادخل طرفه في الثقبة وأخرجه من المكان الآخر، واترك القضيب على تلك الحالة وسد الثقبة. فإذا أنت عليه سستان والتأم وصلح، فاقطع قضيب الكرمة عند الثقبة واترك طرفه يزيد فيمتد مع

1 - ديوينس راجع 14 Géponika, IV, 14 كتاب الزرع، 4، 25

2 - ابن العوام، 7، 45

3 - هو السالم المعروف بالفتح الأآخر المنور دياصوريدوس، 2، 59

4 - ابن العوام، 7

الشجرة بعرشها أو ألقه إلى شجرة التفاح فانه يعلوها. وينبغي أن يقطع أطراف شجرة التفاح التي رجعت قوتها إلى الكرمة<sup>١</sup>.

### باب معرفة ما يخرج من النواة و بذره<sup>٢</sup>.

و هو اللوز والجوز والندق والخوخ والمشمش والخرنوب<sup>٣</sup> والبطم<sup>٤</sup> والسرول والصنوبر والتخيل والإجاص<sup>٥</sup> والأترج<sup>٦</sup> والعنب والتين والعناب والتفاح والسفرجل والرمان والكمثري<sup>٧</sup> والأجاص والدلم<sup>٨</sup> والصفصاف والغيرة<sup>٩</sup> والقراصيا<sup>١٠</sup> والزيتون والتوت والشاه بلوط<sup>١١</sup>. وفي بعض النسخ والفستق والجوز واللوز، فهذه كلها إن شئت أن تغرسها قضبانا وإن شئت تغرسها أصولا، وإن شئت تغرسها حبا إن شاء الله تعالى.

### باب إذا أردت أن تحول شجرة من موضعها إلى موضع آخر<sup>١٢</sup>.

فاحفر لها حفرة بقدر ما يصلح لها ثم احفر على أصل الشجرة حتى تستخرج عروقها كلها برفق، وخذ من تراب أصلها واجعله في الموضع الذي تحولها إليه، وزبله من زبل قديم قليل وأنصب الشجرة فيه نصباً مستوياً.<sup>٧</sup> (ط)، وأحق حوالها من ترابها الذي كانت فيه فإنها تحب تلك التربية، واسقها لوقت فإنها تستمسك بإذن الله تعالى. وإن قدرت أن تحول الشجرة وتراها

1 - ديدموس راجع 13 Géponika, IV, 4، 24 كتاب الزرع، 4

2 - ابن العوام، 7

3 - هو شجرة لم كل بالعربية دياسكورديوس، 145، 3، والإسم العلمي (Anagyris foetida L.)

4 - الطوم توسم الأطاكي، ص 57

5 - الإجاص يوافق في كتب اللغة العربية ما يسمى بالفرنسية (Prunier) وهي غورية توسم الأطاكي، ص 107

6 - يسمى أيضاً تربيع (طريح) أو تفاح العجم، ويسمى ليمون اليهود لأنهم يحملونه في الأعياد الأطاكي، ص 90

وص 107

7 - في تونس يوافق ما يسمى بالفرنسية (Poirier) الأطاكي، ص 106

8 - وشق، ويدعى رَعْطُرُطُ الْأَطَاكي، ص 101

9 - الريزفون، وتسمى تونس الريحنورة وصفاقس الريزفورة والمنة الأطاكي، ص 86

10 - رسمت في الأصل المعتمد قراسيا

11 - انقسطل الأطاكي، ص 75

12 - ابن العوام، 6، 7

مستمسك بعروقها كلها فإنه أفضل وأجل أن ثبتت ولا تغير بإذن الله تعالى. وأحدل أن تحول الشجرة من موضع جيد وماء عذب إلى موضع ردي وأرض مالحة وماء مالح، فان فعلت وهلكت فلا تلوم إلا نفسك. وإذا دقت بلوطا ونانخاه وجمعتها وألقيت منها في أصل كل شجرة تغرسها نفعتها وأكثر ثمرتها<sup>١</sup>.

### باب غرس التين<sup>٢</sup>.

غرس التين في البلدان الباردة في مارس، و في الأرض الحارة الكثيرة السقي في ديسمبر ويناير. ولا تسرف عليها بالسقي فيفسد ويعفن ومن غرس التين بعروقه فليغرس معه عنصراً فإنه ينفعه بإذن الله تعالى. وانقع ما تريد غرسه من قضبان التين بعروقه بياء وملح فانه يجود. وينقع في ماء وخثى البقر ويغرس. وإن زيل في أصولها رماد نفعها. وان أردت أن تعلو كثيراً فاغرس القصيب منكساً. وان طليت أصولها بزيل الحمام وفلفل ودهن أسرع نباته. ويلقم التين في التوت وفي شجرة الدلم. وإن أردت أن تكون في شجرة التين ألواناً شتى فخذل من كل لون قضيباً واجعلها في ساق، على ما تقدم ذكره كما وصفته لك في العنب، فإنه يخرج ما وصفت إن شاء الله<sup>٣</sup>. قال ذو مقاراطيس<sup>٤</sup>: جربت في نصب التين وجها آخر حسناً، وهو أن تأخذ حبل ليف فتعركه في التين الطيب عركاً شديداً حتى يلتصق به حب التين، فتحفر حفرة طويلة وتضع الحبل فيها وانقله واغرسه حيث أحببت إن شاء الله تعالى. وان غرسته في البقاع فباعد بعضه عن بعض. وإذا أردت أن لا يسقط ورقه فاثقب في أصله ثقباً واجعل فيها من الأعواد ما شئت. وان طليت أصل شجرة بحنا وزيت لم يتذود التين. وان أردت أن لا يطلع النمل في شجرة التين فدق بصل

1 - انطيلس راحع Géoponika, X, 86 كتاب الزرع، 5

2 - ابن العوام، 7، 25

3 - أفيقائس راحع Géoponika, X, 53 كتاب الزرع، 5

4 - الصواب ديمقراطيس

العنصل واخلطه مع السمن واطل به ما فوق الأرض من ساق الشجرة بذراع في شهر مارس. وما يعظم شجر التين زيل الدجاج. وإذا علقت على شجرة التين ورد السوسن لم ينشر ثمرها بإذن الله تعالى. وإذا أردت أن يخرج لك التين ألوانا مختلفة، فخذ حبة من تينة سوداء وحبة من تينة بيضاء ومن غير ذلك من الألوان فأضمره تحت الأرض وزيله واسقه الماء العذب<sup>(١)</sup> من غير إكثار، فإذا نبت وصار ابن سنتين فاقلعه واغرسه في مكان آخر يطعم لك حبا كما وصفت لك إن شاء الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

### غرس التفاح<sup>(٣)</sup>

يغرس في البعل في نوفمبر، ويستقي حتى يعلق ثم يرفع عن السقي. وان كان غرسه في موضع سقي اغرسه في فبراير. وان وقع به الدود فاكتشف عن أصله وصب على عروقه أبوال الناس قد خلط بزيل المعز ستة أيام واسقها في اليوم السابع أبوال البقر والغنم والإبل. وإذا طلي أصلها عند الغرس بمراة البقر لم تدود وصار تفاحها أحمر. وإذا مرضت شجرة التفاح فصب على أصلها زيل الحمام مبلولاً بباء عذب. وان تناثر ورق التفاح وصغر تفاحه فاكتشف عن أصل شجرته ثم خذ روث الحمار فحله بالماء وصبه في أصلها ستة أيام ثم تزيلها وأضمرها بالتراب. ويلقم التفاح في الرمان فيخرج التفاح أحراً ويلقم في شهر نوفمبر إلى شهر فبراير<sup>(٤)</sup>. وان أردت أن تكتب في التفاح الأحمر وتنقش فيه ما شئت، فاعمد عليه وهو أحضر واكتب عليه بالمداد ما أحببت واتركه حتى يكمل نضجه ويحمر فامسح المداد تجد ما كتبت ظاهراً إن شاء الله تعالى.

١ - أفيقلاس راسع Géponika, X, 53 كتاب الزرع، ٥، ٣٣

٢ - ابن العوام، ٧، ٣٨

٣ - أسطيو راسع Géponika, X, 18 كتاب الزرع، ٥،

## غرس الراهن وما يمنعه من التشقق<sup>١</sup>

اغرسه في مكان دُفِيَ قليل الماء. وان أردت أن لا يشقق ثمره فاخرس مع كل أصل بصلة. والرمان والريحان بينهما مواخات ومحبة وإذا غرستها معاً اتصلت عروقهما. وإذا تشقق الرمان فاطل أصله بالأس، وهو الريحان، مدقوقاً واسقه ماء رماد الحمامات. ومتى غرست قضيب الرمان مقلوباً لم يتشقق قشر ثمره أبداً ويكثر ثمره وحمله. وان أردته بلا عجم، فشق أصل القضيب الذي تريده غرسه قدر أربعة أصابع وابرج لبابه ولف عليه شيئاً واغرسه. وان أقيمت عليه ورق العنصل كان أفضل، ثم تدفنه وتسميه ماء حاراً فانه يتتحم ويتمسك ولا يكون لرمانته عجم. قال الحكيم: وان شقت قلب أصل الشجرة التي تكون في الأرض، وفعلت بها مثل ذلك مما وصفت لك في قضيب الغرس، فان رمانه يكون بلا عجم. وإذا أقيمت تراب الرصاص في أصل شجرة الرمان لم يسقط زهرها. وإذا أردت أن يجعل الرمان الحامض حلواً، فاتقب الأصل واجعل فيه عود داد والقي في أصلها زيل الخنازير واسقهها أبوالناس العتيقة، فان حب الرمان يصير حلواً إن شاء الله تعالى<sup>٢</sup>.

## غرس اللوز<sup>٣</sup>

يعرس في الخريف بعد قطاف العنب إلى أن يدخل فصل الشتاء وذلك ليكتورَته في التوريق والتوريق قبل سائر الشجر. يغرس منه الفسائل الصغير من أصله ويغرس من أطراف الشجر أيضاً<sup>(٤)</sup> و الفسائل أفضل. ومن أراد أن يزرع حبه فليقشه ويغرسه منكساً في حفرة قد حفرها له. فإذا أنبت ومر له ستان، فانقله إلى مكان آخر وذلك في النصف الأول من نوفمبر. ويصلح في أساس الجبال الجنوبية وفي الأرض القبلية التي لا تسقى. وان أخذت

١ - ابن العوام، 7، 18

٢ - ملوك طبيus راجع Géponika, X, 29 كتاب الزرع، 5، 39

٣ - ابن العوام، 7، 20

اللوز الذي تريده غرسه وجعلته في ماء وذيل أربعة أيام، ثم أخرجته ونقطته في عسل يوماً وليلة، ثم أخرجته من العسل وغرسته في حفرة عرضها شبر، وأجعل أسفل اللوزة هو أعلىها في الحفرة، ثم اسقها الماء بعد ثلاثة أيام مرة ثم لا تسقه بعد ذلك إلا في كل شهر مرة، فإذا نبت ومر له ستان فحوله من مكان إلى مكان وأصمرها بالتراب، يخرج اللوز حلواً طيباً. قال الحكيم: اللوز توافقه الأرض الرقيقة، فمن أراد غرسه من الحب فليأخذ اللوز ابن سنة فهو أفضل ما يغرس ويغرس على ما تقدم وصفه. وإن كان اللوز مراً وأردت أن يحملوا بإذن الله، فاثقب في شجرته ثقباً في الأرض بشبر ويكون الثقب مربعاً فإن اللوز يحملوا بإذن الله. وإن أردت أن يكون قشره رقيقاً فاكتشف عن أصله واسقه قبل أن يخرج من زهره ماء عذب في السحر وقبل الصبح، فإذا خرج زهره فكف عنه. فإذا كانت شجرة اللوز لا تثمر فاكتشف أصلها في الشتاء واثقب فيه ثقباً ووضع فيه عود داد واسقه بولاً عتيقاً ثم ضمّرها بالتراب<sup>1</sup>.

## غرس الجوز<sup>2</sup>.

اعمل الجوز كما وصفت لك في اللوز. وإن أخذت الجوزة قبل غرسها ونقطتها في بول صبي لم يختتم، خمسة أيام، ثم غرستها دون قشرها، وفرك باليد فركاً، ويصنع ذلك في اللوز، فيكون كذلك. وإن كسرت الجوزة برفق لثلا يزول لها عن حاله ورمي قشرتها ولفت اللباب في ورق كرمة أو صوفة، لثلا يصل إليها الدود والنمل، ثم غرستها خرج ثمرتها جوز بلا قشر بإذن الله. وليس يقبل الجوز التلقييم لرقة لحائه. وإذا لم تحمل الجوزة فاثقب في أصلها ثقبة واحدة واجعل فيها عود داد فإنهما تثمر بإذن الله. وإن كانت الجوزة تلقي زهرها فتعلق عليها خرقة قرمز من مزبلة. وإذا غرست الجوز حباً فاجعل ما تغرسه من الحب منكساً، وتنقله بعد سنتين، وتغرسه في مكان

1 - مُرْبِطِيسُ راجع 57 Geponika, X, 51 كتاب الزرع، 5

2 - ابن العوام، 7

لا بارد ولا حار واغرسه. وتنقله في شهر فبراير أفضل<sup>١</sup>.

### باب غرس البندق<sup>٢</sup>.

قشره واغرسه منكساً في حفرة في فبراير وانقله بعد ستين في النصف الأول من مارس ودبره تدبير اللوز والجوز. وتوافقه الأرض البيضاء.

### باب غرس الصنوبر<sup>٣</sup>.

انقع حب الصنوبر في بول غلام لم يختتم خمسة أيام ثم اغرسه في أرض رملية في شهر فبراير. قال ذو مقراطيس: إذا خلط حب الصنوبر مع شعير وغرسه طال في سنته ما لا يطول بغير شعير ثلاث سنين.

### غرس شاه جلوط<sup>٤</sup>.

يغرس من القضبان ومن الشمرة في الأرض القوية وغرسه من القضبان أفضل وبعد أن يأتي عليه ستان ينقل ويغرس ويكون نقله في مارس ويزيل بزيل البقر مخلوطاً بتراب الأرض المحجورة توافقه<sup>٥</sup>.

### غرس الفستق<sup>٦</sup>.

يغرس من حبه ويحفر له حفرتان<sup>٧</sup>، وتغرس في الحفرة الواحدة ثلاثة حبات قائمات وثلاث حبات منكسات، فإذا نبت واتى عليه ستان فانقلها واغرسها في شهر يناير في مكان ندي. ويصلح غرسه في البعل وفي السقي. وأعلم أن الحبات التي غرستها منكسات هي التي يزكي بها شجر الفستق، والحب الذي غرسته قائماً هي الأنثى التي تطعم. قال ذو مقراطيس<sup>٨</sup>: متى

1 - ذامعرُطْس راجع *Géponika*, X, 64 كتاب الزرع، 5، 56

2 - قمت بالإصابة من (ب) ابن العوام، 7، 44

3 - أقمت الصن من (ب) ابن العوام، 7، 21

4 - قمت بالإصابة من (ب) ابن العوام، 7، 9

5 - ذامعرُطْس راجع *Géponika*, X, 63 كتاب الزرع، 5، 55

6 - ابن العوام، 7، 14

7 - كما في الأصل وهو تحريف، والصواب ديمقراطيس

أخذت ورق السرول وجفنته ودققته حتى يصير غبارا، ثم وقفت على الشجرة الفستق في يوم ريح وذررتها عليها ثلث مرات أو خمسة في عشرة أيام فالشجرة قد أجرت<sup>١</sup>.

### غرس الكمثري<sup>٢</sup>.

اعلم أن الكمثري توافقها الأرض الباردة الممتزجة الرياح الكثيرة المياه. وهو أصناف شتى. فمن أحب أن يجعله كثيرا الحمل حلوا طيبا فليثبت أصل شجرته ثقبة، ويدخل في ذلك عود بلوط ويضممه في التراب. قال ذو مقرابوطيس<sup>٣</sup>: نق الحفرة التي تغرس فيها من الخصى والحجارة الصغار والأشياء الجاسية فإن الكمثري على قدر المكان الذي يغرس فيه يكون من الرطوبة والخشونة. وإذا وضعت الغرس في حفرة فالقى عليها تربا قد نخل ثم اسقه الماء العذب. ويصلح غرس الكمثري في الموضع الباردة الرطبة ويغرس في شهر مارس. وإذا كانت شجرة الكمثري تلقى بورقها فخذ عكر شراب طيب واكشف عن أصل الشجرة، وصب العكر عليها، ثم أضمرمه بالتراب واسقي الشجرة من العكر المخلوط بالماء خمسة عشر يوما، فإن زهر الشجرة يسلم إن شاء الله تعالى<sup>٤</sup>.

### غرس الأذوج<sup>٥</sup>.

اغرسه في شهر مارس وتوافقه الأرض الحارة والتربة السوداء. توافقه ريح الجنوبية. وتوافقه حيطان البستان. وينبغي أن يطلل في الشتاء لأن الثلوج والجليد يضر أنه غاية الضرر. ويغرس منه أوتاد في غلظ المراوة طولها ذراع وأكثر<sup>٦</sup>.

١ - ييقاثس راجع *Géoponika*, X, 11 لكتاب الزرع، 58.

٢ - ابن العوام، 12، 7

٣ - أصوات ديمقراطيين

٤ - ملاريطيس وديفلاش وطاريطيس وبيمقرابوطيس راجع *Géoponika*, X, 22, 23, 24, 25.

٥ - ابن العوام، 29، 7

٦ - ملاريطيس راجع *Géoponika*, X, 7 لكتاب الزرع، 76.

## **غرس السفرجل<sup>١</sup>.**

يصلح السفرجل في كل أرض مستوية تصيبها الشمس. ونُغرس منه أوتاد في ينابير وفبراير. ويزرع من الحب في شهر أكتوبر<sup>٢</sup>.  
غرس الخوخ<sup>٣</sup>.

يغرس نواة في شهر مارس. ويغرس القصيبي الذي يخرج من النواة في شهر ينابير وفبراير. وإذا سقي كان يجعل لخروجه. ومتى دفت نوات الخوخ في الأرض سبعة أيام ثم أخرجه، وقد تعلق، وألقيت فيه زنجفورا<sup>٤</sup> مسحوقا، ثم غرسته أهمرت ثمرته. ومتى كشفت عن أصل شجرة الخوخ ونقبت فيه نقبة واستخرجت لبابها، ثم ضربت فيها وتدا من شجرة خرنوب صغر نواه جدا.  
غرس الأجاصن<sup>٥</sup>.

يغرس بأصوله من أول شهر فبراير إلى أول شهر أبريل<sup>٦</sup>، ولا يغرس قبل ذلك ولا بعده. ويغرس في الأماكن الباردة الرطبة المفتوحة نحو الشهال. وإذا صببت على أصل شجرته عكر الخل لم يتدود وزاد في حوضته. وإذا طلبت جذوع الشجرة بمرارة البقر لم يتددو أيضا. وإن كان في شجر الأجاصن مثل الحصا فاكتشف عن أصل الشجرة، وتأخذ ترابا وليفا وأضممه به فإنه ينصلح إن شاء الله تعالى<sup>٧</sup>.

## **غرس التخيل<sup>٨</sup>.**

احفر حفرة عميق ذراعين وأملأها ترابا وزيلا، وخذ نواتا والقهوة في الحفرة،

1 - ابن العوام، 7

2 - العَيْنِيُّكُسْ إلى كل من ديدموس وديماوس وديميتراطيس راجع Géponika, X, 26, 27, 28

3 - ابن العوام، 7

4 - الرحمنرة

5 - ابن العوام، 7

6 - يانفيوس راجع Géponika, X, 39, 40

7 - ابن العوام، 7

ويكون شقها قبالة المشرق ثم أضمرها بالتراب والملح وزيل قليل، ثم غطي مكان الحفرة بورق الشجر واسقها حتى تنبت، ثم اقلعها وانصبها في أرض مالحة فان لم تكن مالحة فألق في الحفرة ملحًا، وتعاهدها كل سنة بالملح فان التخل يجود عليها إن شاء الله تعالى. قال ذو مقراط<sup>١</sup>: خذ النواة وأصدعها من وسطها، وضعها في الحفرة وألزم ما صعدت منه الأرض، واستقبل بالرفيق من أحد طرفي النواة المشرق. وإناث النخل تحن إلى ذكورها. فان أنكرت حال النخلة واعلم أن ذلك لشوقها إلى الذكر، وألقح النخلة من طلع الذكر فيها تصلح ويتوفر حملها إلا بطلع الذكر إن شاء الله تعالى<sup>٢</sup>.

### غرس الزيتون<sup>٣</sup>

يغرس في الأرض البيضاء الجافة غير الندية، والزيتون يجب الأرض الرطبة المهزولة ذات الحجارة الصغار، ويواافقه الأرض السوداء الرملية، ولا يصلح في الأرض اليابسة التي يستند فيها. وينبغي أن يحفر حفراً ويتركها سنة مفتوحة لتصيبها الرياح والشمس والأمطار. ولتكن عمق كل حفرة خمسة أشبار، وبين كل حفرة والأخرى ستة أذرع. و يجب أن يكون قضبان الغرس ملساً من شجرة تكون كثيرة الحمل ويكون القضبان مثل قضبان الكرمة التي تغرسها. والوقت الذي يغرس فيه شهر أبريل. واسق الغرس كل يوم مرتين حتى يعلق. وإذا قل حمل الزيتون فاكتشف عن أصلها من ناحية الجنوب، واثقب فيه ثقبة نافذة إلى جانب الشمال، ثم خذ قضيبين من شجرة كثيرة الحمل وادخلهما في الثقب مختلفين، واجذب كل واحد منها إلى الناحية الأخرى حتى يعظم الثقب منها، ثم اقطع من القضيبين من الجانيين جيماً قطعاً رقيقة، ولا تفصل بينها بشيء، وطين الجانيين بطين حار مخلوط بشعر يكثُر بذلك حمل الزيتون بإذن الله تعالى.

١ - كذا في الأصل وهو غريب، والصواب ديمقراطيس

٢ - راجع X, 4 Geponika، كتاب الزراعة، 50

٣ - ابن العوام، ١: ٧

وقال قراطيس<sup>١</sup>: إن قضيب الدردار والبلوط يفعل مثل ذلك. وإن كان ثمر<sup>(٢)</sup> الزيتون صغيراً حبيباً على أصولها ماء الزيتون مخلوطاً بمثله ماء عذباً. فإن كانت تلقي ثمرها فألق عندها تبن الفول واسقها ماء الزيتون وملحاً وماء عذباً. فان كانت مريضة فاقتب فيها ثقباً وادخل عود دردار<sup>٣</sup> أو عود زيتون. واعمل بالزيتون المشمرة كما تعمل بالكرمة من الحرش والزبر والتربيل. واطل غرس الزيتون التي على وجه الأرض بالرئة وختاء البقر ممزوجين. ومتى كانت الزيونة لا تحمل وكبر ورقها، فأنخرط من ورق البلوط ودقه وصب عليه الماء واسق الزيتون بذلك الماء يكثر حملها إن شاء الله. وتلقيم الزيتون في النصف الأخير من مارس إلى آخر ماييه وإذا لقت قضيب الزيتون في أصل كرمة كان زيتها حلواً إن شاء الله<sup>٤</sup>.

#### غرس التوت<sup>٥</sup>.

تواافقه الأرض اليابسة القليلة الربيع لثلاً تزيل أصله عن شجرته في الأرض. يغرس منه أوتاد بغلظ هراوة وطوله ذراع، ويكون غرسه في فبراير ومارس، ويحفر للوتد حفرة ويضرره فيها. وإذا سقطت أصوله عكر الخمر أسرع إنصاج ثمره وطيب ورقه لدود الخنزير<sup>٦</sup>.  
غرس القراسيّا ويسمى حب الملوّك<sup>٧</sup>.

يغرس بأصله في شهر يناير. وتواافقه الأرض الباردة. وإن أردت أن يكون حبه أسود فللقمه في كرمة سوداء<sup>٨</sup>.

١ - ديمقراطيس، 28 (و)

٢ - هو الشجر الذي يشمر لسان العصمور عند أهل المغرب وهو غير شحر الن، وهو من أعظم الأشجار دباسقدورديوس، 3، 125

٣ - فلزيطيوس راجع Géponika, IX, 4 كتاب الزرع، 6، 4-2

٤ - ابن العوام، 7، 23

٥ - ترتيب راجع Géponika, X, 69 كتاب الزرع، 5، 49

٦ - ابن العوام، 7، 15

٧ - مافيبيلس راجع Géponika, X, 41، 42

## غرس العنب<sup>١</sup>.

أغرسه قضيبا من شجرة كثيرة الحمل، فإنه يعلق إن شاء الله.

## حفة التلقيم<sup>٢</sup>.

ويسمى الانشاب ويسمى التطعيم ويسمى التركيب. كل شجرة غليظة اللحاء ذات رطوبة كالتين والزيتون والأجاص فتلقيمهما بين اللحاء والساقي. وذلك أن تأخذ وتدا صغيرا من خشبة صلبة، وتوثره بين لحاء الشجرة وعودها برفق لثلا ينشق اللحاء، ثم تسل الوتد كالاترج والكرم والتفاح والسفرجل. وأما أشباهها فانك تفترس العود فوق الأرض بذراعين أو ثلاثة كيف ما أردت ثم تشق العود وتضع فيه التلقيم ساعة شق العود، قبل أن يدخل الريح في الشق أو الشمس. ولتكن قضبان التلقيم من شجرة فتية كغلظ الخنصر، وتحت كها ينحت القلم ويحفظ بباب القضيب. ولتكن أطرافه المنحوتة بقدر ما يغلق الشق. وضع على موضع التلقيم طينا أبيضا مخلوطا بزبل البقر وشعر مقطوع، واجعل عليه من خارج خرق كتان وترتبط عليه، ول يكن ذلك في أيام الربيع. وترش الماء على موضع التلقيم كل يوم حتى تراه قد اخضر وأورق. تلقيم التين. يلقم في التوت وفي الدلم وفي التفاح وفي البندق وفي الكمثري وفي البطم. تلقيم التفاح. في الرمان وفي الكمثري وفي السفرجل وفي التوت وما يلقم في الرمان<sup>(١)</sup> والتوت جاء تفاحه أحمرا. ويلقم أيضا في اللوز والفستق والجوز والأجاص وتلقيمه يكون في نونبر إلى فبراير. تلقيم الكمثري. في الرمان والسفرجل والفستق والجوز والتوت وما يقلم في الرمان. وتلقيم الكمثري في كل ما يلقم فيه التفاح. ويلقم السفرجل فيسائر الشجر كله فيقبل ويجد إن شاء الله تعالى. تلقيم الأجاص الأسود والأجاص الأصفر. في الكمثري والتفاح الأصفر والسفرجل يوجد إن شاء

1 - من العوام، 13، 7

2 - من العوام، 1، 8، وعد كذلك إلى أبي الحب، من 151-173

الله تعالى. ومتى ركبت الكمثرى أو السفرجل في الأجاص الأسود أثمر في الربيع أيضاً. ويلقن الأترج في التوت وفي الرمان فيحمر أترجه ويحسن لونه. ويلقن الورد في اللوز يجود ورده إن شاء الله. ويلقن الجوز في اللوز يجود ورده إن شاء الله. ويلقن اللوز في البطم. وتقلم جميع التي فيها المضم في شجرة البطم يجود جداً. ويلقن الخوخ في الصفصاف فلا تكون له نواة. وذلك إذا كانت شجرتان متباورتان فاعمد إلى الصفصافة فاثقب في أصلها ثقباً، وتدخل قضيب الخوخ في ذلك الثقب وتخرجه من الناحية الأخرى، وتطين الموضع، ويترك حتى يملأ القضيب الثقب ويخضر ويورق، فتقطع حينئذ قضيب الخوخ من ناحية شجرته، فيشمر ذلك القضيب خوخاً بلا نوى. ويلقن الخوخ في الأجاص فيصفر لونه. ويلقن في اللوز والدلم فتحمر ثمرته بإذن الله<sup>١</sup>.

فصل من أراد أن تحسن ثمر بستانه وتطعم وتكثر ثمرتها.  
فليحفر حول الشجرة ويصب على أصولها أبوالناس وأبوالدواب  
والغنم والبقر والإبل فإن ذلك ينفعها جداً<sup>٢</sup>.

**باب ذكر فيه ما ينفع لجميع الشجر ويدفع عنها كل هرة<sup>٣</sup>.**

انزع التراب عن أصول الشجرة وخذ ماء الزيتون غير ملح، ثم ضف إليه مثل مائه ماء عذباً، وصبّه على أصول الشجر، ورد عليه التراب فلا يضرها شيء بإذن الله تعالى. وإن أقيمت تبن الفول عند أصول الشجر كثراً حلها وحسنت. وأجمع سائر علماء الفلاحة وأهل التجربة فيها: أن البول موافق لجميع الفواكه يصب عند أصول شجرتها وينفعها لعلل شتى. والشجرة المريضة تخل زيل الغنم بالماء واسقها. وإذا مرضت الشجرة وكانت تلقي

1 - يقائس راجع Geponika, X, 76 كتاب الزرع، 5، 63

2 - ابن العوام، 14

3 - تأكشيش راجع Geponika, X, 84 كتاب الزرع، 5، 7

4 - ابن العوام، 14

ثمرها فاحفر على أصلها حتى تظهر العروق، ثم اثقب عن أصلها فوق العروق ثقباً حتى ينفذ من الناحية الأخرى، واجعل في الثقب عود دردار على قدر الثقب، وصب<sup>١١</sup> على الأصل والعروق فولاً قدّيماً، فيتمسك ثمرها ولا يتشرب إلّا بذن الله تعالى. ولجميع دود الشجر من جميع الفواكه، تمسح عروقها بمرأير الشيران، واسقها بولًا مخلطاً بمرأير الشieran. وإذا كانت الشجرة تلقي ثمرها، فخذ حجراً مثقوباً لم يتغمد ثقبه أحد، وعلقه على الشجرة فان ثمرتها تثبت بإذن الله تعالى. واحفر عن أصلها حتى تكشف عروقها فشقه من داخل وأعمل فيه حجراً، ورد عليه التراب، وصب على أصلها ثلاثة أيام ماء قد يقع فيه تبن الفول في كل يوم ثلاث مرات فانه نافع إن شاء الله تعالى. وإذا كشفت عن أصل الشجرة ونشرت عليها من زيل الخمام نفع الشجرة ولم تتدود. وينفع الشجرة أن يزيلها بتبن عدس وتبن القطافي.

وقد تقدم ذكرها صفة التزييل ونحن نعيدها هنا ل تحفظه. إذا أردت تزييل الكرم والشجر فلا تجعل الزبل لاصقاً بأصولها ولكن ابدأ بالترب فلصقه بأصوله، ثم اجعل الزبل فوق ذلك الترب، وكلما أردت غرسه من بذر وحب فخذنه بعد ما يطيب في شجرة، وذر ذر على رماداً، وجففه في الظل، وأرفعه إلى إيان زراعته أن شاء الله تعالى.

### **تحصين الكرم والبساتين<sup>٢</sup>.**

احفر حول المكان الذي تريده تحصينه ما دار به عرض ذراع، واضرب فيه أوتاداً طوالاً بين كل وتدین عشرة أذرع، وتشد الأوتاد بحبيل ليف متند عليها أو حبيل بردبي كغليظ الإبهام. وعمد إلى ثمرة العوسج والعليق وما شاركهما من الشوك واخلط إليه النانخاه، واخلطهما معاً، ووضف إليها شيئاً من اختفاء البقر، واعجن الجميع بالماء عجنا خاثراً، وخذ منه بيده وأمرر به على تلك

١ - ناميتس راجع 88، X، كتاب الزرع، ١٦، ٥ Géponika،

٢ - ابن العماد، ٤٥، ٧

الighbال، حتى تظهر ثلاثة أرباع الذراع الذي حفرت، ثم اسقه بالماء حتى ينبت، فإنه إذا نبت خرج منه شيء لا ينفذه حية ولا تجوزه دابة وإن صغرت بإذن الله تعالى<sup>١</sup>.

### الحيلة في إبقاء العصير حلواً.

اطل الإناء الذي تجعله فيه بالزفت، وأملأه بالعصير ودق خردل<sup>٢</sup> وألقه على العصير، فإنه يبقى حلواً. وإذا أخذت العصير من يومه وجعلته في إناء وطبيته تطينا حكمها، ووضعيته في ماء الإناء، فإنه لا يغلي وتشربه في أي وقت شئت كيوم عصره<sup>٣</sup>.

### باب إصلاح الخل<sup>٤</sup>.

إن أردت أن تبقي حوضة الخل ولا تتغير فخذ الباقلاء واعجنها بعصارة جوف الأترج. وإن حميت حجراً من حجارة الرحي بالنار حمياً شديداً وقدفته في الخل، زادت حموضته ويكون مريئنا في الجسم. وإذا أخذت الشعير وحمضته ودققته وألقيته<sup>٥</sup> في الخل، زادت حموضته. وما يحفظ الخل، خذ ورق الكرم وعلقه في خالية الخل فإن رائحته تطيب، ولا يصيب الورق الخل فإن رائحته تطيب. وإن أخذت حب الأس<sup>٦</sup> النضيج المشقوق وألقيته في الخل طابت رائحته جداً. وإن كان في الخل دود فألقه فيه، فإنه يقتل الدود إن شاء الله تعالى. وإن ألقيت الشعير في الخل ثلاثة أيام حمض وطاب. وإن ألقيت على كيله من الخل مثله من ماء الشعير وألقيت فيه شيئاً من الملح حسن وطاب أيضاً<sup>٧</sup>.

1 - دياغوئس راجع *Géponika*, V, 44 كتاب الرزوع، 4، 32

2 - ابن العوام، 2، 30

3 - هو حب الرشاد دياسفوريدوس، 2، 138

4 - فلربطيّس راجع *Géponika*, VI, 16 كتاب الرزوع، 4، 45

5 - ابن العوام، 2، 30

6 - الرخيان بتونس الأنطاكي، ص 37

7 - سُوطِيوس راجع *Géponika*, VIII, 36 كتاب الرزوع، 4، 111

## اصلاح الزيت<sup>١</sup>.

أيضا خذ شيئا من الكسبرة اليابسة وملح و يجعل في جرة و يجعل فيه رغيف من خبز شعير حار قد فتحت حروفه يترك فيه يوما و ليلة ثم يجعل فيه يوما آخر بعد أن يخرج الأول يفعل ذلك ثلثا من آب فإن الزيت يصير غاية في الطيب إن شاء الله. أو خذ من الزيت كيلا و من الماء ثلاثة أضعافه ملح مدقوقا ثم اضرب الجميع ضربا جيدا ثم اتركه يقر ثم اجمعه رويدا ثم خذ ورق الزيتون فدقه و اعصر ماءه و ألقه في الزيت و اتركه فيه حتى يصير طيبا بمنزلة الانفاف بحول الله.<sup>٢</sup>.

## باب في البقول وما يصلحها<sup>٣</sup>.

أوفق الأرض للبقول التي ليست بخشنة ولا خوارة، فان الخشينة المشقة تصلح مع كثرة الماء، والخوارة تشرى في الشتاء وتيس في الصيف فيهلك بقلها ويكون ضعيفا إلا إن يكثر زبلها جدا. والأرض الرملة ما يوجد فيها البقل. فإذا أردت أن تحرث أرضا للبقل فخذل من ترابها وانفعه في ماء حار وحركه فان رأيته قد نهج عليه كالعكر، فهي أرض جيدة تصلح للبقل. وإن ركد التراب وصفا الماء فليس تصلح للبقل. وإن عجنت ترابها بيدك فلصق طينها بيدك كالشمع فهي تصلح للبقول. وينبغي التي مبللة أو مقتات أن تقلب وينقى من جميع النبات ومن كل حجر صغير أو كبير، وتكون قريبة الماء بعيدة عن الأقدار، وعن خرق حوض النساء وما شاكلها. وينبغي أن تكون السوافي أعلى من الحوض ليقر الماء فيه، وإن كانت الحياض أعلى من السوافي لم يقم فيها الماء وخرج تراب الحياض. وينبغي أن تسقى البقول

١ - فصل بالإصابة من (ب) ابن العوام، 30

٢ - ديماتوس، راجع Géponika, IX, 20 كتاب الزرع، 6، 14. طازانيطيس راجع Géponika, IX, 15 ديدلس راجع Géponika, X, 22 ديدلس راجع Géponika, IX, 23 كتاب الزرع، 6، 17 طازانيطيس راجع Géponika, IX, 24 كتاب الزرع، 6، 18 ديمقراطيس راجع Géponika, IX, 25 كتاب الزرع، 6، 19

٣ - ابن العوام، 23

وتغرس بثلاث ساعات تبقى من النهار وليستقبلها برد الليل، ولا تزيل. وإن خلقت بزر البقول حين تزرعها مع شيء من نانخاه سلمت تلك البقول من الدود والطير بإذن الله تعالى. وإن أردت أن لا يؤذيها طير ولا نمل فأعصر حي العالم<sup>١</sup> ولت بهائه ما أردت زرעה، وأعصر أصل قثاء الحمير ولت بهائه ما شئت، فإنه إذا ثبت لم يقربه شيء. وازرع جميع البقول بعد أربعة أيام من الشهر العربي إلى خمسة عشر، فإذا أخذ القمر في النقصان فلا تزرع منها شيئاً. وانقل الزيول للبقول أرواث البغال والحمير والخيول وما تقادم منها، كما وصفنا في باب ذكر الزيول. زبل الحمام يطرد عن البقول جميع الحشائش وقليله يكفي. وإن طبخ بول بقر بورق الزيتون وترك حتى يبرد، ثم نضع على البقول حسن بذلك نباتها. وما يزيل الدود عن البقول وعن الشجر<sup>(٢)</sup> لأن يدخلها بالسمع والكريبت. وإن بخرت بقرن معز أو أيل أو ظلف شات لم يضرها شيء من الدود والهوام. وإن نثر رماد التبن على البقول أو رماد الزيتون قتل دودها إن شاء الله تعالى. وأفضل الشهور لزرع البقول شهر يوليه بأسره وما زرع بعدها فهو متاخر. وتتابع السقي لها فان أنتبت فاقصر عن السقي<sup>٣</sup>.

### الكرنب<sup>٤</sup>

ينبغي أن يزرع في مكان مالح فإنه يبسط، فإن لم يكن فاعمد إلى تراب مالح من سبخة فتدقه وتنشره على ورقه وأصوله خمس مرات، فيطيب بذلك طعمه ويسرع بذلك نضجه. وانتشر عليه إذا كان على ثلاثة ورقات نظرونا وملحا مدققاً. وإن أردت أن تغرسه من شتلته فانقع أصول الشتل في زبل رطب

١ - حي العالم عند القدماء ثلاثة أنواع كبيرة واسم العلمي (*Arboreum sempervivum*) وصغير اسمه العلمي (*Sedum acre*) وبوع ثالث اسمه العلمي (*Sedum telephium*) الأماطي، ص 104 والتي بعدها

٢ - فلُرُطُوس راجع *Géoponika*, XII, 2 كتاب الزرع، 7، 1 ويدعى راجع *Géoponika*, XII, 3 كتاب الزرع، 7، 2 ويدعى راجع *Géoponika*, XII, 4 كتاب الزرع، 7، 3 أو نَدَلَيس راجع *Géoponika*, XII, 5 كتاب الزرع، 7، 5 أو نَدَلَيس راجع *Géoponika*, XII, 6 كتاب الزرع، 7، 6 ويُمْقَاطِيس راجع *Géoponika*, XII, 6 فُرُطُوس راجع *Géoponika*, XII, 10 كتاب الزرع، 7، 10

٣ - ابن العوام، 23، 9

وملحًا ونطرونا، ثم اغرسه بعد ذلك. والخشخاش يسرع إلى الكرنب أكثر من سائر القول، فإذا نثرت عليها رماد تبن عند زرعها لم يقربه خشخاش إن شاء الله تعالى. والرماد المنخول إذا ذرته عليه اذهب عنه الدود إذا كان فيه. وإذا تقادم بزر الكرنب أربعة أعوام وزرع تحول سلجمًا. وإذا زرع بزر ذلك السلجم في العام المستقبل رجع كربنا كما كان أولاً<sup>١</sup>.

## الحس<sup>٢</sup>

إذا أردت أن يكون ورقه غليظاً فانظر إلى موضع تصبيه الشمس فربله وشتل فيه الحس واسقه في الأسحار، فإذا صار شتلاً وأردت أن تغرسه خساً فاقذفه ثم اغرسه وزبله بزبل بقر حديث، ثم أضمره بالتراب واسقه من ساعته، فإذا نبت وتنقى، فاجعل في كل واحدة منها حجراً. وإذا جعل بزر الحس مع قشر الأتروج أيامًا ثم زرع كان ريح الحس كريح الأتروج إن شاء الله تعالى<sup>٣</sup>.

## ذاب العسل<sup>٤</sup>

إذا أردت أن يكون عظيم الورق أبيض الأصلاع فإذا قلعت شتلة الغرس فاطل أصوله بزيل البقر الرطب واجعل من تحت أصوله زيل البقر أيضاً ثم اسقه فإنه يكون ذلك إن شاء الله بحوله وقوته<sup>٥</sup>.

## الفجل والفت<sup>٦</sup>

إن أردت أن يكون حلوافي المذاق، فخذ بزرهما فانفعه في عسل ولبن حليب أو في رب العنب أو في عصير عنب حلو، ثم ازرعه يكون كما ذكرت إن شاء الله تعالى. وإذا ألقيت عليها تيناً فوق التبن تراب ثم سقيتها عظمت لذلك

١ - أناشئمن راجع *Géoponika, XII, 17* كتاب الزرع، 7، 16

٢ - ابن العوام، 3، 23

٣ - فلوريطيون راجع *Géoponika, XII, 13* كتاب الزرع، 7

٤ - أثمنت الص من (ب) ابن العوام، 11، 23

٥ - ابن بطال، ص 156

٦ - ابن العوام، 1، 24، 3

أصوها. وإن أخذت وتدا غليظا وضربه في الأرض ثم أزلته وزبلت مكانه بزبل مخلوط بتراب يسير، ثم جعلت في مكان الوتد شتلة عظمت أصوها على قدر عظم الوتد وإن زرעה في شهر أغشت وفي شتنبر<sup>1</sup>.

## البصل<sup>2</sup>.

توافقه الأرض الحمراء. فان زرعه إذا صار شتلا فانقعه واغرس منه ما عرض، واقطع أطرافه إذا نبت فانه يعظم<sup>3</sup>.

## باب في الكراث<sup>4</sup>.

يصلح في الأرض الرملية القوية فإذا شتلت وأردت نقله فدق خردلا ونونخة فألق منه في الأصل كل واحدة تغرسها وزبله بزبل رقيق واسقه فإنه يعظم<sup>5</sup>.

## الثوم<sup>6</sup>.

يزرع في الأرض البيضاء الرخوة، وإذا زرع في حماق الهمال نقص عراضة ريحه. وإن نقع في عسل ولبن يومين ثم زرع طاب وقلت رائحته. ولا ينبغي أن يغرس في نقصان الهمال<sup>7</sup>.

## باب في السذاب<sup>8</sup>.

أفضل ما يزرع في الأرض الندية الرخوة وإذا زرع في حماق الهمال نفضت رائحته وإن نقع<sup>9</sup> في عسل و لبن يومين ثم زرع طاب وقلت رائحته ولا

1 - كتاب الفلاحة الرومية، 7، 15.

2 - ابن العوام، 24، 4.

3 - راجع *Géponika*, XII, 31 كتاب الزرع، 7، 30.

4 - ابن العوام، 24، 6.

5 - شُوطيُّوس راجع *Géponika*, XII, 29 كتاب الزرع، 7، 29.

6 - ابن العوام، 24، 5.

7 - راجع *Géponika*, XII, 30 كتاب الزرع، 7، 31.

8 - ابن العوام، 28، 3.

9 - وهو العين، وشوس الميحل الأنطاكي، ص 149.

ينبغي أن يزرع إلا في نقصان الأحوال<sup>1</sup>.

### القثاء، والقرع والبطيخ<sup>2</sup>.

إذا زرعت شيئاً من هذه فعمق حفرها<sup>12</sup> (ط) لثلا يصلها الحر، فإذا نبتت وصارت على أربع ورقات فقط أصولها كلها كلما ارتفعت وأنكسها، وخذ شوكة فانحس بها قضيب الشمرة فإنه يعظم على ذلك، وإن أردتها شديدة الحلاوة فانقع بزرها في العسل والخليل ثلاثة أيام ثم اغرسها فإنها تكون في غاية في الطيب والخلاوة، ومتى خللت بزر البطيخ بورق الورد اليابس أيام حتى يعلق ريحه بالبذر، ثم غرست ذلك البذر كان بطيخه فيه رائحة الورد إن شاء الله تعالى، وقال ذومقراطيس<sup>3</sup>: إذا أردت أن تكون القثاء والقرع والبطيخ بلا حب، فاعمد إلى أصل ذلك إن شئت إذا طال ذراعاً، فاحفر له في الأرض ثم مده فيها، واجز طرفه فإذا أطال بعد الثالثة وأيقنت أنه في الحفرة الثالثة قد غرق، فاقطعه مما يلي الأصل الأول في المكان الثاني فان طرفه الثالث يحمل ثمرة بلا نوى إن شاء الله تعالى، ومتى أردت إسراع نبات ما ذكرنا فاغرسه في الشتاء قبل الربيع الذي هو أو ان زرعها في إناء في أسفله ثقب وتسقه الماء السخن نضحاً من غير إكثار وتكون في البيوت فيه، فإذا كان يوم شمس أو غيث لين دافئ آخر جته وإذا كان البرد ردته إلى مكان دافئ فإذا كان إيان الغرس فاجعل له أي للإناء حفرة، وتضعه فيها وتكسر الإناء وتستخرج الأشقايف برفق، وتضم إليه تراباً مزيلاً فانك إن فعلت ذلك أسرع ثمرها كما تريده إن شاء الله تعالى<sup>4</sup>.

### باب في قصب السكر<sup>5</sup>.

1 - فلزيطيس راجع 25 Géponika, XII, كتاب الزرع، 7، 24

2 - كتاب الملاحة، 1، 25، 7

3 - ديمقراطيس، 15(ط)

4 - الكوئطيطيان راجع 19 Géponika, XII, كتاب الزرع، 7، 18

5 - ابن العماد، 27، 47

توافقه الأرض الرطبة الرملية و توافقه شطوط الأنهر و انصب قصب السكر في نونبر و دجنبر و كل ما زرع من قصب السكر نفسه كان أفضل من الذي يغرس من أطراوه.

### باب غرس الأزهار والأحباق والرياحين<sup>١</sup>.

من أراد غرس الزهر فليجعله في قفاف، فيحرر لها في الأرض، ويُسقيها ماء حارا كل يوم مرتين فإنها تسرع ب выход الزهر إن شاء الله تعالى. وجميع أصناف الأحباق والرياحين يحتاج الزيل وكثرة الماء. والأرض السوداء النقية أوفق لها من غيره. والبعل من الأزهار والأحباق والرياحين أطيب ريحًا من السقي. السوسن إذ غرستها فصب في أصلها عكر نيد أسود فإنه يصير **«كالسوسن»** اسمانجوني<sup>٢</sup> أو الأقحوان. الورد. احرر له في الأرض قدر شبر واغرسه واحتفظ به فإن كان من قابل فصب عليه كلم يوم ماء سخنا مرتين فإن يسرع إخراجه. وان صبيت في أصله ماء ورق الزيتون بقيت رطوبته ولم تتبدل. وإذا سقيت الورد طول الشتاء بالماء الحار أسرع إدراكه. ويلقم في التفاح واللوز خوفا من لحائهما غير نافذ إن<sup>٣</sup> (و) شاء الله<sup>٤</sup>.

### باب ما ينبغي أن يغرس في كل شهر من الشهور العجمية<sup>٥</sup>

شهر يناير<sup>٦</sup>. ينبغي أن يبدأ فيه بغرس الكروم وذلك بعد ثلاثة ساعات تخلو من صدر كل يوم إلى ثلاثة ساعات باقين من آخره. ومتى أردت أن تلقم شيئاً من الشجر في البلدان الحارة فليبتدئ به في هذا الشهر، ولتكن ذلك في البندق والخوخ واللوز والخروب. وفيه تغرس الأشجار كلها ما أمر

1 - أتمت الإصابة من (ب) ابن العوام، 27

2 - هو الإيرسا، وهو السوس الاسماكي ديسقوريدوس، 1، 1

3 - ويسمى راجح 18 Géponika, XI, كتاب الرّاع، 7، 38 آناطييو راجح 20 كتاب الرّاع، 7، 39

4 - ابن العوام، 30، 5

5 - راجح، III، Géponika، كتاب الرّاع، 2، 8

منها وما لم يشر. وفيه تنقل غرس الشجر كلها. وفيه تخرج الكروم وقضبان الشجر كلها لا ينزع شيئا منها إلا في يوم ساكن لا تهب فيه الرياح الغربية، وتكون الذبح بمناجل حادة. وفيه يزيل أصل الكروم والشجرة المشمرة ولا يلصق بأصولها. وفيه تغرس أوتاد الزيتون والرمان وكل ما يغرس أو تادا. وفيه ينور النرجس. وفيه يجمع قصب السكر وكل ما يقطع فيه من الخشب للبناء لا يتسموس بإذن الله. وفي العشر الأواخر منه يتزوج الطير. وفي غير هذا الكتاب قال: ينبغي أن تقطع الخشب من خمسة عشر من ديسمبر إلى آخر يناير، ويكون ذلك إذا قرب مستهل الملال، وفي الوقت الذي يكون فيه الملال صغيرا، فإن كثر ضوء الملال يصبح الخشب طري سريعا إلى التعفن. قال: وتغرس الكرم وسائر الأشجار في اليوم الثاني عشر من يناير لا سيما ما كان من هو منها سريعا مثل الخوخ والأجاص واللوز والمشمش والقراسيا. وينبغي أن يتدنى في ذبح الكروم من الثاني عشر من يناير أيضا إلى الوقت الذي تنبت فيه عيون الكرم. ويتدنى بالذبح من الساعة الثانية إلى التاسعة منه في يوم لا ريح فيه.

فبراير<sup>1</sup> ينبغي أن ينقل فيه الغرس الذي أنت عليه ستان، ولا ينقل غرس سنة لأن أصوله ضعيفة لا تعلق وفي غيره. وأجود منها كثيرا ما أنت فيه على ثلاثة سنين. وفيه ينبغي أن يغرس من أغصان شجر التفاح والأس. ويغرس فيه الكروم والأشجار كلها. والورود والياسمين. وفيها تلقم الأشجار ومن غيره. وينبغي أن يكون الغرس في زيادة الملال لأنه يكون عظيم مخضبا. وما غرس في نقصان الملال فيكون نموه قريب من الأرض راجعا. وفيه يفرخ النخل وتورق الأشجار. وتجني الكمة<sup>2</sup>. ويكثر الإستفراخ. ويتدنى الطير بالتغريد.

مارس<sup>3</sup>. يصح فيه تلقيم الأشجار في البلدان الباردة قبل أن تورق. وإذا

1 - راجع، Géponika, III, كتاب الزرع، 2، 8

2 - الترجمان تونس الاطلاقي، ص 93

3 - راجع، Géponika, III, 3، كتاب الربيع، 2، 8 " يقول تيفرانطس العالم آنوار الإنسان أربع في أصول شجر اللور المر من نلط الحرير

سقي فيه اللوز من أبوالصبيان الذين لم يختملوا عاد حلوا. وفيه يغرس قصب السكر والماقايي والحمص والعدس واللوبيا وسائر القطاوي. ويزرع القطن والعصفور<sup>1</sup>. وتسافر فيه الطواويس والبلارج وكثير من الطيور. وينبغي في هذا الشهر أن يحفر حول<sup>(١)</sup> جميع الأشجار وخاصة حول شجرة الزيتون وتكرب الأرض التي يريده زراعتها مرتان أو ثلاث. وكل ما أكثر كربها كان أجود لها.

ابريل<sup>2</sup>. ينبغي أن يغرس فيه الزيتون والرمان والأس. وفي العشر الأواسط تهب رياح يخاف منها على الفاكهة، وإن لم تهب سلمت بإذن الله تعالى. ويخاف من هذه الرياح على المراكب في البحر. وفيه يظهر الورد ويكثر ويستعمل في الماء وغيره. وفيه يظهر عقد عنب البكر ويظهر عقد التين. وفيه يذكر النخل ويلقم فيه. وفيه ينور الزيتون. وفيه يغرس أوتاد الأترج. وفيه يخرج أصول الشفائق وتجمع شفائق النعمان والجلنار<sup>3</sup> ولسان الثور<sup>4</sup>، وتصنع عصارته. وفيه يزرع الحناة. وتبنيض الطواويس والبلارج<sup>5</sup> والكثير من الطيور. وتبتديء بالحضانة. وفي غير هذا قال: ينبغي أن تزبر فيه الكرم الحديدة، فإن قطعها في هذا الوقت يكون أشد استواء. قال: وإن كان جميع القدماء يرون أن لا يضرب الكرم بشيء من الحديد إلى السنة الثالثة. قال: ويزيل الزيتون وتنمى فيه، وكذلك شجرة الجوز والياسمين فإنها إذا زبرت تكثر ثمرتها. قال: وينبغي في هذا الوقت أن يلقط بذر شجر الدردار<sup>6</sup>، وهي شجرة النبق، وأن تزرع من ساعتها، وقد يمكن فيه أن تحول شجرة التين بأصوله وتغرس في موضع آخر، وإن كان قد نبت لها أغصان.

1 - ابن قتال، ص 116 هو شجرة القرطم، الأنطاكي، ص 41

2 - راجع، 4 Géponika, III, كتاب الزرع، 2، 8

3 - للوش وتطلق في العربية التروسية كذلك على رهر الرمان الأنطاكي، ص 109

4 - وهو تكبير الأنواع الأنطاكي، ص 30

5 - هو الملقن وهناك البلارج الأبيض (*CICONIA ciconia*) والبلارج الأسود (*CICONIA nigra*)

6 - ابن وحشية، ج 1، ص 173

مايه<sup>١</sup>. ينبغي أن يتعاهد فيه جميع التراتيب بأن تنضح عليها الماء بالعشي كل يوم. وفيه يعقد الزيتون والعنب. وفيه يعمل التحل العسل ويظهر باكور التفاح والممشمش وعيون البقر<sup>٢</sup>. وفيه يجمع بزر الشاهرج<sup>٣</sup> ويزر الكرفس ويزر الشبت وحي العالم والخردل والحرف<sup>٤</sup> وتحمل عصارته والبانونج<sup>٥</sup> ويعمل دهنها. وفيه يغرس بصل الزعفران<sup>٦</sup> إلى أول أكتوبر وفي غير هذا. قال: ويمكن أن يغرس من الشجر ما قد نفتح عيونه لنبات أغصانه ما خلا شجرة التين، وما لم ينفتح عيونه فإنه يمكن أن يغرس في هذا الشهر. قال: وأفضل ما يعمل في هذا الوقت تعاهد شجرة الزيتون العظام وتزيلها، وكذا يجب أن يفعل بجميع الأشجار، أن يحفر حولها ويلقي عليها تراب ثم يلقي على التراب سرجين ثم يلقي عليه تراب كثيراً، وأن يتعهد شجرة التي قطعت ويرش عليها الماء بالعشي.

يونيه<sup>٧</sup>. يقطع فيه أصول الكرفس الذي أتى عليه سنة باليد لا بالحديد<sup>٨</sup> فإن ذلك يقوى أصله. وفيه يسقى الشجر ويقل سقي الزيونة دون غيره. وفيه تزرع البقول البكر. وفيه يعقد اللوز والجوز. وفيه تجمع عناقيد من البذر ونوى الأفستين وتعمل عصارته وإكليل الملك<sup>٩</sup> ويزر الأفتيمون<sup>١٠</sup> والكشرة<sup>١١</sup> والجعدة<sup>١٢</sup> والفوذنج<sup>١٣</sup>. وفيه يزرع الكرنب ثم ينقل في شهر أغشت. وفي العشر الأول منه يصلح فيه صيد الأفاعي وعمل أضراسها

1 - راجع، Géponika, III, 5 كتاب الرَّاعِ, 2, 8

2 - الإحاص عن أهل الأدلس الأطاكي، ص 30

3 - حشيشة الصُّبْيَانة الأطاكي، ص 151

4 - حرف السطوح، ويسمى الحارة الأطاكي، ص 64

5 - دفلرسية (Camomille)

6 - كذا في الأصل وقد يكون بصل الرَّارُ وهو الحشى بالعربية دياسقوريديوس، 2، 152

7 - راجع، Géponika, III, 6 كتاب الرَّاعِ, 2, 8

8 - عرف بتونس بالعلقة الأطاكي، ص 45

9 - يعرف في تونس بالرغبة وهو الرعن، ولا شبهه وبين الصعن الأطاكي، ص 43

10 - كذا في الأصل وقد يكون الحديث عن الكشرة وهو القابل الأطاكي، ص 92

11 - نوع من السمات الذي يسمى بالمرسيمة (Germandrée)

12 - منه الري وهو العليق الأطاكي، ص 81

الداخلة في الترائق. وهذا الشهر يزعم أهل التجربة أنها حصد فيه الزرع بعد كماله يقيم ولا يسوس أكثر ما حصل في غيره من الشهور. وفيه يؤخذ فراخ اليمام.

يوليه<sup>1</sup>. كل أرض فاهم شقوقها لثلا يصل الحر إلى أصول الشجر والكرروم فيؤذيها. وفيه تشق أصول الكرروم شقاً خفيفاً في أطراف النهار في ساعتين من آخره، وغبار المشق ذلك الحين نافعاً للعنب يعظم حبه ويسرع إدراكه. وفيه حصاد القمح العام. ويتبدىء التين والعنب بالنضج ويُعتق الفستق ويطيب الكمشري والتفاح. وفيه تجمّع العقاقير أيضاً. وفيه يغرس العليق<sup>2</sup> في البساتين. وفيه يكون فراخ الحجل.

اغشت<sup>3</sup>. فيه يشق أصول الزيتون في غبار المشق في ذاك الحين يسرع بإدراكيها ويكون أجود لها في غير هذا. قال: وهذا صار للكرروم والزيتون التي على الطريق كثرة الشمار لأجل غبار الطريق يظهر إليها الغبار من السالكين بها. وينبغي أن تأخذ لكل شجرة ملقطة بملقطه بشاف البحر فتبلها بهاء عذب وأجعلها على موضع التلقيم من مغيب الشمس إلى طلوعها فتنزعها حين إذن عنها، فإن ذلك يخرج عنها ما أصابها من حر الشمس. وما لا ينضج من العناب فيه فأسقه بالغدة فإنه يسرع نضجه بإذن الله تعالى. وفيه يتبدىء الرطب<sup>4</sup> والعناب ويطيب الخوخ البكري ويعقد البلوط ويطيب البطيخ والدلاع، ويزرع اللفت والجزر<sup>5</sup> والسلق. وفيه يهيج النعام للفساد (كذا)<sup>6</sup>.

اشتنبر<sup>7</sup>. فيه يطيب الخوخ والعناب والسفرجل والرمان، ويتبدىء فيه قصب السكر البكري ويسود بعض الزيتون ويظهر الزيت الجديد. وفيه

1 - راجع، 10 Géponika, III, 10 كتاب الزرع، 2، 8

2 - للاب وعبد العامة القرولية واللوبياء الألطائي، ص 94

3 - راجع، 11 Géponika, III, 11 كتاب الزرع، 2، 8

4 - هو نوع من النبات الذي يعرف بالمرسيمية (Campanula)

5 - اسمازية الألطائي، ص 62

6 - الصواب المعاد

7 - راجع، 12 Géponika, III, 12 كتاب الزرع، 2، 8

يطيب البلوط والقسطل. وفيه يذهب الخطاطيف. وفي آخره يتبدى النعام  
بيض.

اكتوبر<sup>١</sup>. فيه ينبغي أن تغطى أصول الأترج. وفيه يعمل الزيت الطيب.  
وفيه يغرس الزيتون واللوز والجوز والدردار. وفيه يجمع بزر الرازيانج<sup>٢</sup>  
والأنيسون<sup>٣</sup> والخسن والبصل إلى آخر ينابير. وفيه يخرج دهن البلسان من  
شجرة في مصر وفي غير هذا. قال: تغرس أشجار الفاكهة والجوز والصنوبر  
الذكر<sup>٤</sup>. قال: وأما شجر التين فلا يغرس في هذا الوقت. قال: وإن تلبس فيه  
قضبان لأترج بورق القرع<sup>(١٤)</sup> ويوضع رماده على أصول الأترج ولا يكثُر  
منه لأن رماد هذا الوقت محرق جداً. قال: ويجب أن يتبدى فيه بزرع الشعير  
والقمح، فإن جاء مطر بعد الزرع بأربعة عشر ليلة يكون الزرع مخصوصاً جداً،  
ولأن لم يحيي مطر فلا يضر ذلك ما قد زرع، إلا أنه يكون خصب الذي يحيي  
المطر كـ قلنا.

نونبر<sup>٥</sup>. أخدم فيه الكروم إلى آخر ينابير، وأحرث فيه الكروم وزبلها، وألقى  
زيل المعز منه عند أصول الشجر القليل الشمرة. وفيه يجمع البلوط والقسطل  
وحب الأسد. وفيه تسقط ورق الأشجار. وفي غير هذا قال: أما في الموضع  
الحار الأرضين الرقيقة ينبغي أن يتبدى فيه بغرس الكروم من دخول نونبر  
إلى آخر ديسمبر، وأما البلاد الباردة الرطبة فالأجود أن يتبدى بغرسها لسبعين  
من فبراير. قال: وينبغي في هذا الشهر وفي الذي يليه أن يتخذ الرماد ويزدهر  
على عيون الكرم، والأجود رماد الظرفة، فإنك إن فعلت ذلك رسخ الرماد في  
عيون الكرم فيدفع عنها الجليد الذي يسقط إن شاء الله تعالى.

١ - راجع، Géponika, III, 13 كتاب الزرع، 2، 8

٢ - الأساس الأنطاكي، ص 71

٣ - هو حمة حلقة الأنطاكي، ص 46

٤ - كتاب الأصل

٥ - راجع، Géponika, III, 14 كتاب الزرع، 2، 8

دجنبر<sup>1</sup>. تغرس فيه الكروم في الأرض الباردة الرطبة إلى فبراير فاصنع فيه كلما تصنع في ينابير، واقطع فيه وفي شهر ينابير خشب البناء والسقوف فإنه لا يسوس بإذن الله تعالى. وفيه يتبدى زهر الترجس وينور اللوز البطيء ويطيب الأثرج. وفيه يزرع الخشخاش ويزرع الثوم ثم ينقل في شهر أوسوا. انتهى بحمد الله تعالى ما تيسر تحريره. والحمد لله رب العالمين. في أو أوسط جمادى الآخرة سنة واحد وأربعين ومائتين وألف 1241. على يد أضعف الورى وأحقرهم حسين خواجه بن أحمد التركي. غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات. آمين والحمد لله رب العالمين.

---

1 - راجع، Géponika, III, 1 كتاب الزرع، 2، 8

## الاستعمار والتعليم الفلاحي

اقترن الاستعمار الفرنسي بالتخطيط لإحداث المدارس ومعاهد الفلاحية، خاصة وأن فرنسا كانت تعتقد جازمة في دور هذه المؤسسات التعليمية في إنجاح سياسة الاستعماري الزراعي. فقد كان لا بد من استخدام الوسائل العصرية لتطوير هذا القطاع والاستفادة من نتائج بحوث المخابر التي بعثت في أوروبا لعصبة الفلاحة، وهذا لا يكون إلا بإنشاء المعاهد والمدارس المهيأة لهذا الغرض القادر على تخريج الفنانين وتكوينهم في العلوم الفلاحية، وتمكين المعمرين الشبان من استعمار البلاد زراعياً. ونورد هنا مقالاً كان قد حرره مدير المدرسة الاستعمارية للفلاحة<sup>1</sup>، ونظراً إلى أهمية الوثيقة فإننا ارتئينا تقديمها في لغتها الأصلية:

« L'École Coloniale d'Agriculture de Tunis se range parmi les Écoles Supérieures d'Agriculture. C'est à la fois un établissement d'enseignement agricole, de recherches agronomiques et de colonisation générale. Elle a pour but principal la formation : D'agriculteurs instruits qui, soit pour leur propre compte, soit

1 - بطر Robine (directeur de l'école coloniale d'agriculture La vie technique, industrielle, agricole et coloniale, in *La Tunisie*, 1923

pour le compte d'autrui, se destinent à la gestion de domaines ruraux dans l'Afrique du Nord et des autres pays du bassin méditerranéen, ainsi que dans nos possessions coloniales plus lointaines. De directeurs et de chimistes pour les industries agricoles spéciales à l'Afrique du Nord (huilerie, vinerie, distillerie, etc). D'agents techniques et d'administrateurs pour les divers services privés ou publics touchant à l'agriculture (laboratoires, services agricoles, service des domaines, culture des tabacs, service topographique, etc). Elle s'adresse tout spécialement aux jeunes gens de l'Afrique du Nord ou de la Métropole qui désirent se consacrer à l'agriculture en Tunisie, et bénéficier des avantages réservés aux anciens élèves diplômés de l'École, en vue de faciliter leur installation personnelle sur les terres de colonisation. Située à quelques heures de la France, sous un climat sensiblement analogue à celui du Midi, elle constitue un excellent moyen de développer l'esprit d'initiative des jeunes gens, tout en les habituant à quitter leurs familles sans qu'ils soient, pour cela, abandonnés à eux-mêmes. Elle ménage une transition essentiellement profitable pour tous ceux de nos jeunes compatriotes disposés à s'installer hors de la Métropole. Son enseignement très étendu en fait, en outre, une véritable école de colonisation générale préparant les jeunes gens à s'installer dans nos possessions, plus éloignées. Ces possessions, suivant une très juste expression, sont dans l'âge de l'agriculture, et les connaissances qu'aura acquises un élève de l'École de Tunis lui seront toujours profitables, quelle que soit la branche de l'activité à laquelle il se voue par la suite.

Quelques jeunes gens, originaires des colonies et pays étrangers, que les conditions de milieu engagent à préférer Tunis à la Métropole, peuvent demander à l'École un enseignement technique qui fait défaut chez eux. Les résultats obtenus par

l'École jusqu'à ce jour prouvent qu'elle correspond à un réel besoin, et sa réputation s'est rapidement étendue, non seulement en France et dans l'Afrique du Nord, mais encore dans nos colonies et à l'étranger. Elle est en pleine prospérité.

Établissement public d'État, doté de la personnalité civile, elle n'offre pas les inconvénients que présentent bon nombre d'institutions dont la gestion est laissée à des particuliers, à leurs risques et périls. Au point de vue de l'existence matérielle et de l'instruction, l'École offre toutes garanties, et les familles peuvent, en toute confiance, lui envoyer leurs enfants. La discipline y est celle qui convient à des jeunes gens de 17 à 25 ans, et il va de soi que la tolérance la plus complète y est de règle absolue. À leur sortie de l'École, les élèves reçoivent selon leur classement, le diplôme d'ingénieur ou le diplôme de fin d'études de l'École Coloniale d'Agriculture de Tunis.

Les élèves les mieux classés peuvent bénéficier de bourses de stage leur permettant de parachever leur instruction pratique. Les élèves diplômés, qui désirent acquérir un fonds rural en Tunisie, jouissent, par rapport aux autres demandeurs, d'un droit de préférence sur les terres de colonisation mises en vente par l'État tunisien à des conditions avantageuses pour les acquéreurs. (Décret du 24 janvier 1914.) Ces facilités, l'essor particulièrement rapide de la Régence, les placements fructueux qu'elle offre aux capitaux, enfin l'attrait spécial qu'exerce la Tunisie sur tous ceux qui ont vécu sous son ciel et goûté de la vie active dans ses campagnes encore imparfaitement exploitées, ont décidé, jusqu'ici, la majeure partie des élèves de l'École à s'y installer.

Ceux d'entre eux qui désirent s'ouvrir l'accès des services agricoles des colonies peuvent compléter leurs connaissances en matière coloniale à l'Institut National d'Agronomie Coloniale,

de Nogent-sur-Marne (Seine). Le diplôme d'Ingénieur de l'École Coloniale d'Agriculture de Tunis est de plus en plus apprécié non seulement en France, en Tunisie, en Algérie et au Maroc, mais dans nos autres colonies et à l'étranger. L'École est située à moins de deux kilomètres du centre de la ville de Tunis, à proximité du grand parc municipal du Belvédère, dans un quartier agréable jouissant des meilleures conditions d'hygiène et de salubrité. Elle est reliée à la ville par un tramway électrique (Rue de Rome-Belvédère-Ariana), et par téléphone. Elle est installée sur une exploitation agricole et horticole de 110 hectares, à proximité d'une station botanique de même superficie. Le domaine de l'École, la station botanique et les laboratoires annexes, qui relèvent également de la Direction Générale de l'Agriculture, contribuent dans une large mesure à l'étude des questions scientifiques intéressant la production agricole et fournissent en même temps un vaste champ d'application sur lequel les élèves suivent les travaux d'une exploitation agricole aussi complète que possible et peuvent acquérir une pratique agricole raisonnée. Cette situation particulièrement heureuse de l'École, au centre d'une exploitation agricole et d'établissements de recherches et d'expérimentation, permet d'associer constamment la pratique à la théorie ainsi que l'organisation d'une entreprise à la technique d'exécution. L'École possède tous les locaux et aménagements que comporte l'internat (dortoirs avec cellules individuelles, lavabos, douches, réfectoire, infirmerie, etc.). Pour les besoins de l'enseignement, elle dispose de salles d'études, amphithéâtres, bibliothèques, laboratoires de chimie, minéralogie, géologie, technologie, botanique, zoologie, parasitologie, viticulture, agriculture, zootechnie, mécanique, génie rural, d'une huilerie expérimentale pour la fabrication de l'huile d'olive, etc., d'une vaste salle de collections, d'ateliers de forge, ajustage et Menuiserie,

d'une station de météorologie, d'un cours d'apprentissage de mécaniciens-conducteurs agricoles, etc. Les laboratoires sont pourvus de collections variées et du matériel nécessaire aux travaux pratiques et manipulations. En même temps qu'ils servent au besoin de l'enseignement, les laboratoires procèdent aux études scientifiques que nécessite l'adaptation des principes d'agronomie aux conditions particulières de l'Afrique du Nord. La ferme annexée à l'École a une superficie de 110 hectares. Elle possède de vastes bâtiments de ferme comprenant : écurie, bouverie, vacherie, bergerie, porcherie, basse-cour, silos à grains et à fourrages, magasins, ateliers, cellier, etc., aménagés suivant les données les plus modernes ; Un matériel de motoculture avec tracteurs et un outillage agricole moderne et complet ; Un réseau électrique de force motrice pour les travaux de la ferme (vinification, battages), ainsi que pour la commande des machines élévatrices installées sur plusieurs points du domaine (pompe centrifuge, pompe à chapelet, pompe multicellulaire) ;

Des cultures de céréales, plantes fourragères, plantes industrielles, etc. ; Un vignoble complanté des cépages présentant le plus d'intérêt pour les viticulteurs tunisiens et comprenant en outre une collection de plus de huit cents cépages, Un verger et une olivette comprenant les variétés les plus intéressantes pour le pays ; Un jardin de cinq hectares avec cultures maraîchères et florales, pépinières et serres. Le domaine du Service Botanique, qui joint celui de l'École, comprend d'importantes collections de végétaux ; en outre, les plantes de grandes cultures et notamment les céréales, l'arboriculture fruitière, forestière et d'ornement, la culture maraîchère, la floriculture y sont l'objet d'études méthodiques dans le but d'obtenir et de déterminer les variétés à propager et de dégager les meilleures méthodes culturales à leur appliquer. Ses pépinières livrent chaque année un nombre

considérable de plantes aux colons à des prix très faibles. Enfin, un domaine de 390 hectares, situé à une vingtaine de kilomètres de Tunis, doit être aménagé dès 1922, pour y recevoir les élèves de l'École ainsi que d'autres stagiaires désireux de compléter leur formation pratique avant de s'établir. Ce domaine qui comprendra les aménagements les plus modernes est situé à proximité de l'établissement d'élevage de Sidi-Tabet, qui servira lui même à l'initiation des jeunes gens aux meilleures méthodes d'élevage ».

لقد كانت البداية مع إحداث «مخبر ل التربية الماشية»<sup>١</sup>، وكان ذلك سنة 1897 . و تم بعث المدرسة الاستعمارية للفلاحة<sup>٢</sup> في سنة 1898 . وفي سنة 1913 أوجد الاستعمار الفرنسي مصلحة خاصة بالنباتات<sup>٣</sup> و التي أضيف إليها فيما بعد القطاع الفلاحي<sup>٤</sup> و كان ذلك سنة 1936 . ولم تقتصر هذه المدارس و المعاهد على العاصمة فحسب ففي سنة 1914 أحدثت فرنسا مدرسة فلاحية بسيدي ناصر ، و التي كانت تعرف بمدرسة سمنجة الفلاحية ، ليتم نقلها في سنة 1952 إلى المقرن و أصبحت تسمى المعهد الإعدادي للفلاحة . و إزاء هذا التغلغل الفرنسي في الأرياف قررت «حركة الشباب التونسي» تأسيس مدرسة فلاحية لتعليم أبناء كبار المزارعين و كان ذلك في أواخر 1903 بالأنصارين .

---

(Laboratoire de L'Élevage) - 1

(l'École Coloniale d'Agriculture) - 2

(Service Botanique de Tunisie) - 3

(le Service Botanique et Agronomique de Tunisie SBAT) - 4

# التعليم الفلاحي بعد الاستقلال

تفطن الجميع بعد خروج فرنسا من البلاد إلى مكانة الفلاحة في بناء اقتصاد قوي و المحافظة على الاستقلال و ضمان متانة النسيج الاجتماعي. فسلكت حكومة الاستقلال سياسة عقلانية، حيث كان المحرص -و منذ البداية- على عدم التغريط في المدارس و المعاهد الفلاحية التي أوجدها الاستعمار، بل كان العمل على مزيد دعمها بتخصيص حصة كبيرة من ميزانية البلاد لها. بعد مرحلة المحافظة، كان الشروع في تونسسة هذه المعاهد، عن طريق تغيير أسماها أولاً لكن دون المساس ببرامجها و نظامها التعليمي القديم، لتدخل البلاد بعد ذلك مرحلة إحداث مدارس و معاهد فلاحية تونسية المنهج و التعليم و الهيكلة. ففي سنة 1961، تحولت مصلحة البحوث و الفلاحة بتونس<sup>1</sup> إلى المعهد القومي الفلاحي بتونس<sup>2</sup>. وفي سنة 1964 تم إحداث مدرسة فلاحية بمجاز الباب عرفت بالمدرسة الإعدادية للهندسة الريفية بشمال إفريقيا<sup>3</sup>. و تحولت المدرسة الفلاحية الاستعمارية<sup>4</sup> إلى المدرسة القومية العليا للفلاحة<sup>5</sup> وكان ذلك في سنة 1970. وفي نفس السنة تحول مخبر تربية الماشية إلى معهد متخصص في البحوث البيطرية<sup>6</sup>.

---

(SBAT) - 1

(l'Institut National de la Recherche Agronomique de Tunisie INRAT) - 2

(le collège Nord Africain de Génie rural) - 3

(l'École Coloniale d'Agriculture) - 4

(ENSAT) - 5

(l'institut de recherche vétérinaire IRVT) - 6

وَتَخْرُجَ مِنْ هَذِهِ الْمَعَاهِدِ الْعَدِيدِ مِنَ الْفَنِّيْنَ كَانَ لَهُمُ الدُّورُ الْكَبِيرُ فِي تَطْوِيرِ الزَّرَاعَةِ التُّونْسِيَّةِ، بِالْعُودَةِ إِلَيْهَا فِي الْبَدَائِيَّةِ إِلَى الْمَسْتَوِيِّ الَّذِي شَهَدَتْهُ زَمْنُ الْاسْتِعْمَارِ الْفَرْنَسِيِّ، ثُمَّ تَطْوِيرِهَا لِتَصْبِحَ قَادِرَةً عَلَى اسْتِيعَابِ مَا يَحْدُثُ عَلَى الْمَسْتَوِيِّ الْعَالَمِيِّ. وَقَدْ عَمِلَتْ هَذِهِ الْمَدَارِسُ وَالْمَعَاهِدُ الْفَلاَحِيَّةُ عَلَى تَدْرِيسِ الْعِلُومِ الزَّرَاعِيَّةِ بِالْلُّغَةِ الْفَرْنَسِيَّةِ لِأَنَّ الْغَرْبَ بَرِعَ فِيهَا فَأَصْبَحَتْ غَرْبِيَّةً. فَكَانَ لَا بدَّ مِنْ تَدْرِيسِهَا بِالْلُّغَةِ الَّتِي تَسْاعِدُ عَلَى مُواكِبَةِ مَا يَحْدُثُ فِي مُخَابِرِ الْبَلَادِ الْمُصَنَّعَةِ. لَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُمْنِعِ الْجَيلَ الْأَوَّلَ مِنْ طَلَبِ الْمَعَاهِدِ وَالْمَدَارِسِ الْفَلاَحِيَّةِ التُّونْسِيَّةِ مِنْ التَّفْكِيرِ فِي الْعُودَةِ مِنْ جَدِيدٍ إِلَى مَا كَتَبَهُ الْأَجْدَادُ فِي مَجَالِ الْعِلُومِ الزَّرَاعِيَّةِ وَالتَّعْرِيفِ بِهِ لِدِي خَرَيجِيِّ الْمَعَاهِدِ، فَقَدْ أَعَادَ الْمَهْنَدِسُ الْزَّرَاعِيُّ، صَلَاحُ الدِّينِ الْعَامِيُّ نَشَرَ التَّرْجِيمَةَ الْفَرْنَسِيَّةَ لِكِتَابِ ابْنِ الْعَوَامِ فِي الْفَلَاحَةِ، فَمَهَّدَ بِالْقَوْلِ:

« L'histoire et les conditions variées du milieu ont marqué la civilisation agricole méditerranéenne qui a sécrété des technologies à fois riches et adaptées. L'apport de la civilisation arabo-islamique drainant dans son sillage l'immense expérience asiatique a été déterminant dans l'essor de cette agriculture méditerranéenne. L'une des figures la plus célèbres qui a contribué à cet essor est l'agronome arabo-andalous Ibn Al-Awam. À partir des pratiques intégrant les acquis locaux et l'apport du savoir faire arabe, il a forgé des concepts agronomiques originaux. L'agronomie en tant que science de l'observation et de l'expérimentation fut ainsi née.

La traduction en français, de son célèbre livre sur l'agriculture, au dix neuvième siècle, était devenue une nécessité pour renforcer l'école agronomique française et offrir un outil d'investigation et de propagation des techniques adaptées à l'empire naissant. C'est par cette traduction que l'ouvrage d'Ibn Al-Awam fut propagé

et connu du monde entier. Dans le monde arabe, à part quelques copies manuscrites possédées par les collectionneurs privés, le nom d'Ibn Al-Awam est demeuré curieusement ignoré. Seule la revue de recherche agronomique marocaine « Al-Awam » porte son nom.

La réédition de la traduction française en Tunisie permet aux Ingénieurs et techniciens de renouer avec leur passé technologique prestigieux. Elle offre en plus un outils pédagogique pour l'enseignement dans les écoles d'agriculture maghrébines utilisant la langue française comme véhicule technologique. La publication de la version originale en arabe faciliterait énormément l'arabisation de l'enseignement technique. Cette réédition donne enfin une idée sur le degré de raffinement et de progrès atteint par la civilisation arabe en Andalousie. Un exemple suffit pour illustrer ce niveau avancé, c'est l'application du principe de l'irrigation goutte par goutte déjà connu des arabes à cette époque. En effet des jarres en poterie enterrées au pied des arbres permettaient de diffuser l'eau et d'alimenter directement les racines de ces arbres. Il faut dire aussi que l'essor de l'agronomie andalouse fut favorisé par les conditions socio-économiques et politiques caractérisées par une décentralisation régionale des pouvoirs de décisions rapprochant ainsi gouvernants et gouvernés et permettant un épanouissement des techniques et des initiatives locales. Il était aussi de tradition que les gouvernants encourageaient les sciences et plus spécialement celles à caractère appliqué comme l'agronomie. Ibn Al-Awam avait trouvé auprès des califes de Séville toute l'aide nécessaire pour expérimenter et tester ses techniques. Les résidences et les palais des califes fonctionnaient comme des « jardins d'essais » et des « stations expérimentales » pour la mise au point et la réalisation des techniques agronomiques de pointe.

Les agronomes andalous ont ainsi atteint un niveau élevé dans la maîtrise du matériel végétal et des facteurs de production agricole. Parmi ces facteurs l'eau était considérée comme la plus importante dans les conditions semi-arides andalouses.

Ibn Al-Awam a voulu faire de son livre une encyclopédie ne négligeant ni les croyances ni les superstitions qui dominaient les pratiques agricoles de son époque. Il a même enregistré les rites et les dogmes qui accompagnent l'interprétation de ces pratiques. Mais son interprétation personnelle des phénomènes naturels est restée à base expérimentale et a conservé ainsi un caractère scientifique. Le continu de ce livre est, donc, à manipuler avec prudence et à placer dans son contexte. Les sciences naturelles et physiques, ont, depuis, précisé des phénomènes qui étaient ignorés au Moyen Age.

L'oeuvre ainsi complète reflète la contribution de l'agronomie andalouse au progrès de l'ensemble de l'agriculture méditerranéenne. Elle donne une idée réelle sur le patrimoine technologique arabo-andalous pour nos ingénieurs et techniciens souvent éblouis par le transfert technologique occidental et ignorant parfois leur propre apport culturel à cette technologie, apport qui est la synthèse de toutes les œuvres humaines dans ce domaine ».

و تواصل التفكير في تعریب العلوم الزراعية، و لئن كانت هذه الرغبة أحياناً فردية، ولم ترق بعد إلى مستوى المشروع الوطني، فإن ما قام به البعض من محاولات قد يساعد على تأصيل العلوم الزراعية في المجتمع التونسي. وفي هذا الإطار أصدر المركز الجامعي للنشر، في سنة 2000، كتاباً في الفلاحة بعنوان في أصول الزراعة العصرية، للدكتور فرج سلامة، المتحصل على دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية اختصاص فيزيولوجية النبات، جاء في

دياجة الكتاب ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أصدرنا منذ أكثر من عشر سنوات كتاب أصول الزراعة العصرية. وهو أول عمل قمنا به باللغة العربية في هذا الميدان الهام. ووجب اليوم مراجعته بنضج أكبر وخبرة أوسع لإصلاح أخطائه وزيادة تسهيل استيعاب ما ورد فيه من قواعد زراعية أساسية. وأيضا لتنقيحه بالمعلومات الجديدة. ولا يخفى على أحد أن نوعية التربة وعوامل المناخ تتغير من جهة إلى أخرى بل وفي نفس الجهة من منطقة إلى أخرى. و يجب أن يأخذ الفنانون وال فلاحون هذه التغيرات وهذه الفوارق بعين الاعتبار حتى يتوقفوا في عملهم الميداني كل في منطقته. فيكون مردود الفلاحة طيبا مريحا. ولأجل ذلك أوجد العلم أصولاً أي أساسيات زراعية عامة تختص: التربة الفلاحية، البنية الزراعية، عوامل الإنتاج النباتي والفيزيائية وعوامل الإنتاج النباتي الكميائية. ويبقى هدفنا من وضع هذا التأليف إيجاد مرجع ييسر فهم أصول الزراعة العصرية ليحسن استيعاب قواعدها الأساسية فتقطع و تطبق بإحكام حسب الجهات و تتطور كيفية إنجاز العمليات الزراعية. والله ولي التوفيق».



## خاتمة

لم نقصد من خلال إنجازنا لهذا العمل وضع كتاب عن تاريخ أرياف البلاد التونسية، بقدر ما سعينا إلى تأليف موجز، لأنّه من الصعب القيام بذلك خاصة مع ما تقدمه الأركيولوجيا الريفية-رغم أنها ما زالت في تونس في خطواتها الأولى-. من نتائج قد تعيد النظر في طريقة قراءة النصوص المدونة و التي تغطي مختلف العصور. لقد كان غرضنا من هذا العمل التنبيه إلى ما هو منسي في تاريخ البلاد، الأرياف. أن نحاول تتبع تطورها. و ينبغي أن أشير هنا أننا تعتمدنا التعسف على مسألة «القطيعة»، و ذلك قصد إعادة النظر من جديد في عديد الأطروحتات، التي أصبحت من المسلمات. مثل أطروحة ازدهار الفلاحة في التاريخ القديم و انتكاستها في الفترة العربية الكلاسية. العداء التاريخي بين الفلاحة و البدو. العداء بين المستقرين الزراعيين والرّحل. جذور التوتر بين الريف و المدينة و دور المخزن في ذلك. موقف سكان الأرياف من سياسات المخزن الداخلية و الخارجية. كما حاولنا من خلال هذه الدراسة البحث في أسباب فقدان كتب الفلاحة التونسية رغم أن أول من كتب في تدبير الأرياف و صناعة الفلاحة كان ماجُون. كما حاولنا أن نفهم سبب عدم إنخراط البلاد في هذا الصّف الأدبي في الفترة العربية

الكلاسكية. وعملنا على جمع ما يمكن جمعه من نصوص في الفلاحة تناولت في عديد الكتب القديمة والكلاسكية والحديثة، لعلها تفيد في دحض فكرة عدم «تواصل» الكتابة في الفلاحة والاقتصاد الريفي.

كما حاولنا من خلال هذا العمل أن نسأل، بطريقة غير مباشرة، سكان الأرياف عن موقفهم من هوية الأرض التي خدموها منذ آلاف السنين، فمن أفضل من خدام الأرض الحقيقيين ليرشدونا إلى هوية تونس والتونسيين، فهي ثابتة عند أهل الريف ومتحولة عند أهل المدن، فلئن كانت وليدة ممارسة يومية وأزلية وتfan في حب وخدمة الأرض فهي في المدينة وليدة فكرة انتهاء مشوش، ونشوة عابرة حبكتها نزعة الانتهازية. لذلك عندما نتحدث عنعروبة تونس وانتهائها إلى البحر الأبيض المتوسط فإننا نستند أولاً إلى الجذور المتوسطية لزراعة البلاد والتي هي أكثر وضوحاً في الداخل، لأن خدام الأرض هم أكثر سكان البلاد انتهاء للمتوسط، فقد عرفوا «الآخر» منذ آلاف السنين، وتأثروا به وتأثروا بهم، حتى إنه أعجب بقمح «افريقة» وزيت بلاد المزاق ودفلة واحات الجريد. أما عنعروبة البلاد فيكفي أن تسأل أهالي الريف كما سأله القديس «أوغسطينوس» زراعها بعد مرور قرون عديدة على سقوط قرطاج فأجابوه أنهم كنعانيون، فلو أعددت نفس السؤال على أحفادهم اليوم، لقالوا لك: «إنا أمازيغ وعرب وبقايا روم تعرّبوا فعَرَبَتُ الأرض التي أحبّوها فأحبّتهم بصدق».

# **قائمة المصادر والمراجع**

## **المصادر المخطوطة**

- كتاب الزَّرع: مخطوطة برلين تحت رقم 6204.
- كتاب الفلاحة الرومية نسخة تابعة للمكتبة الوطنية تحت رقم 14243.
- كتاب الفلاحة، النسخة المنحولة لـ ديمقراطيس، مخطوطة تابع كشف دي سلان للمخطوطات العربية بالمكتبة الأهلية بباريس، تحت رقم 8202.

## **المصادر العربية**

- ابن البيطار، تفسير كتاب دياسقوريدوس في الأدوية المفردة، تحقيق إبراهيم بن مراد، تونس، 1990.
- ابن بصال، كتاب الفلاحة، نشره وترجمه وعلق عليه خوسي ماريا مياس ييكروسا و محمد عزيزان، المغرب، مولاي الحسن، 1955.
- ابن بطوطة، تحفة الناظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، بيروت، د.خ.
- ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، 1963.
- ابن خلدون، المقدمة، بيروت، 1992.
- ابن سلام، كتاب الأموال، تحقيق خليل محمد هراس، القاهرة، 1975.
- ابن عبد الحكم، فتوح إفريقيا والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، 1964.
- ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ليدن-بريل، 1920.
- ابن العوام، كتاب الفلاحة، ترجمه وحققه بانكيري، مدريد، 1802.
- ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، القاهرة، 1996.

- ابن وحشية، الفلاحة النَّبَطِيَّةُ، تحقيق توفيق فهد، دمشق، ج الأول، 1993 والجزء الثاني، 1995.
- ابن النديم، الفهرست، تحقيق غوستاف فلوجل، 1971.
- أبو الحير الإشبيلي، كتاب الفلاحة، مدريد، 1991.
- أبو يوسف، كتاب الخراج، بيروت، 1979.
- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نابولي، منشورات المعهد الشرقي الإيطالي، 1982-1970.
- البكري، المسالك والممالك، بغداد، د.ت.
- البلاذري، فتوح البلدان، القاهرة، 1959.
- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، مختبة من كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار و هو معجم تاريخي لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المنعم الحميري، عنى بنشرها ليفي بروفنسال، القاهرة، 1937.
- الرازى، كتاب الحاوي في الطب، حيدرباد، 1964-1955.
- الطبرى، تاريخ الرسل و الملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، القاهرة، 1963.
- القرشى، كتاب الخراج، تحقيق أبو الأشبال أحمد محمد شاكر، بيروت، 1979.
- القسطنطيني، تأريخ الحكماء، ليزيك، 1903.
- العقوبي، تاريخ، بيروت، 1960.
- سنن أبي داود، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، القاهرة، 1951-1950.
- مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تحقيق أمبروزيو أوبيشى ميراندا، في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان التاسع والعشر، مدريد 1962-1961.
- محفوظ (محمد)، تفسير مفردات الأنطاكي باللجة التونسية، راجعه وعلق عليه إبراهيم بن مراد، بيروت، 1996.

## **المراجع العربية والمغزبة**

- إدريس (الهاجي روجوي)، الدولة الصنهاجية، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، بيروت، 1992.
- برنشفيك (روبار)، تاريخ إفريقي في العهد الحفصي، تقلع إلى العربية حماد الساحلي، بيروت، 1988.
- بن حادي (عمر)، «بعض المنعرجات الهامة في أوضاع الملكيات الزراعية إفريقياً»، دراسات تاريخية، السنة 13، العددان 42 و 44، أيلول-كانون الأول، 1992.
- بن وزدو (الهادي)/ متو (أحمد)/ حسن (محمد)، قانون المياه و التهيئة المائية بجنوب إفريقيا في العصر الوسيط، تونس، 1999.
- تيمومي (الهادي)، الاستعمار الرأسمالي و التشكيلات الاجتماعية ما قبل الرأسمالية، تونس، 1999.
- جنحاني (الحبيب)، دراسات في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب، بيروت، 1986.
- دغفوس (راضي)، «العوامل الاقتصادية لهجرة بني هلال، مجلة أوراق، عدد 4، 1981، ص 147-163، ص 148.
- دي إيلزا (ميقال)، «وثائق جديدة حول الأندلسين بتونس في أوائل القرن الثامن عشر»، المجلة التاريخية المغربية، عدد 17-18، تونس.
- ستهم (حافظ)، شخصية الأقاليم الجغرافية التونسية، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999.
- طالبي (محمد)، الدولة الأغلبية (184-296/800-909) التاريخ السياسي، نقله إلى العربية المنجي الصيادي، بيروت، 1985.
- طرابلسي (بوراوي)، «بساتين آسيا الصغرى من خلال رحلة ابن بطوطة إشكالية البداوة و الزراعة في العالم الإسلامي»، تقديرية أندري

- ريمون، تونس، آب / أوت، 2004.
- طرابسي (بوراوي)، نشأة علم الفلاحة العربي، تونس، 2005.
  - عمر (بن حمادي)، « بعض المنعرجات الهامة في أوضاع الملكيات الزراعية إفريقيّة »، دراسات تاريخية، السنة 13، العددان 42 و 44، أيلول - كانون الأول، 1992.
  - كراتشوفسكي (أغناطيوس)، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تعرّيف صلاح الدين عثمان هاشم، بيروت، 1987.
  - محجوب (علي)، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تونس، 1986.
  - محجوب (عمّار)، ولاية إفريقيا إلى نهاية العهد السويري (146 ق.م.- 235 م.)، تونس، 2001.
  - وسلامي (عامر)، المشاهد الطبيعية في تونس، تونس، 1994.

### **المصادر الأجنبية**

- Cassianus Bassus Scholasticus, *Geoponicorum sive de re rustica libri XX*, Lipsiae, 1895
- Columelle, *De l'agriculture*, Dans *Les agronomes latins*, M. Nisard, Paris, 1874,
- Cornelius Népos, *oeuvres*, Paris, 1970.
- Hésiode, *les travaux et les jours*, Paris, 1951.
- Léon L'Africain, *Description de l'Afrique*, trad. M. Hadj-- Sadok, Paris, 1980.
- Palladius, *De l'économie rurale*, trad. M. Cabaret-Dupaty, Paris, 1844.
- Pline L'Ancien, *Histoire Naturelle*, *texte établi*, traduit et commenté par ANDRÉ, (J.), Paris, 1964, XVII .
- XVIII, *texte établi*, traduit et commenté par Henri Le Bonniec, (J.), Paris, 1972, XVIII.
- XXI, *texte établi*, traduit et commenté par Jacques André, Paris, 1969.

- Salluste, *la conjuration de catilina. La guerre de Jugurtha* *Fragments des histoires*, Paris, 1989, XVIII.
- Varro, *Économie rurale*, trad. J Heurgon, Paris, 1978.
- Virgile, *Géorgiques*, trad. E. De Saint-Denis, Paris, 1982.

## المراجع الأجنبية

- Abdul-Wahab (H.H.), « *Coup d'oeil général sur les apports ethniques étrangers en Tunisie* », Cahiers de Tunisie, N°691970 ,70-.
- Arie (R), “*La vie économique de l'Espagne musulmane.*”, Handbuch der orientalistik, Band 6, geschichte der Islamichen lauder, Leyde- Cologne, E Brill, 1977.
- Bacherouch (T.), *Formation Sociale Barbaresque et Pouvoir à Tunis*, Tunis, 1977.
- Bolens (L.), *Agronomes Andalous au moyen-âge*, Genève, 1981.
- Chabot (J.B.), *Littérature chrétienne de l'Orient*, Paris, 1934.
- Chailley-bert (J), *la France en Tunisie*, in Revue générale des sciences pures et appliquées, op.cit, p.171.
- Chapoutot-Remadi (M.), *Tunis, in Grandes villes méditerranéennes du monde musulman médiéval*, école française de Rome, 200, p.p235262-.
- Charles-Picard(G./C.), *la vie quotidienne à Carthage*, Paris, 1958.
- Chérif (A.), *Secteur organisé et développement agricole dans le Haut Tell*, publication de la faculté des lettres de la Manouba, 1991.
- Chérif (M.H.), *Pouvoir et société dans la Tunisie de Husayn bin 'Ah (17051740-)*, Tunis, 1984.
- Colin (G.S.), « *Filâha* », EI2, t. II.
- Decret (F), *Carthage ou l'empire de la mer*, Paris, 1977.
- Decret (F)/Fantar (M.), *L'Afrique du Nord dans l'antiquité*, Paris, 1981.
- Depois(J.), *La Tunisie. Ses régions*, Paris, 1967
- Dubois (M), *la France en Tunisie*, in Revue générale des sciences

*pures et appliquées*, Paris, 1897.

- Gsell (S.), *Histoire ancienne de l'Afrique du nord*, Paris, 1928-1929.
- Heurgon (J.), "l'agronome carthaginois Magon et ses traducteurs.
- Idris (H.R.), *La Berbérie orientale sous les Zirides aux Xe-XIIIe siècles*, Paris, 1962.
- Idris (H.R.), » *l'invasion berbérienne et ses conséquences* », Cahiers de civilisation médiévale, 11, 1968, p.35371-.
- Kassab (A.), *L'évolution de la vie rurale dans les régions de la Moyenne Medjerda et de Bled Béja-Mateur*, Tunis, 1979.
- Kassab (A.)/Sethom(H.), Géographie de la Tunisie. *Le pays et les hommes*, publication de l'université de Tunis, 1980.
- Lancel (S.), *Carthage*, Paris, 1992.
- Lemerle (P.), *Le premier humanisme byzantin*, Paris, 1971.
- Leppeley (CL.), *l'Afrique, Rome et l'intégration de l'Empire*, Paris, 1977.
- Leveau (PH.), *L'Afrique du Nord, in Campagne de la Méditerranée romaine*, Paris, 1993, p.155200-.
- Marcais (G.), *Les Arabes en Bérberie du XIe au XIVe siècle*, Paris, 1913.
- Martin (R), *Recherches sur les agronomes latins et leurs conceptions économiques et sociales*, Paris, 1971
- Mielé (A), *La science arabe et son rôle dans l'évolution*, Leyde, 1966.
- Pellegrin (A.), La Medjerda aperçu historique
- Sethom (H.), *L'agriculture de la presqu'île du Cap bon, Géographie de la Tunisie. Le pays et les hommes*, Tunis, 1977.
- Talbi (M.), "Droit et économie en Ifriqiya au IIIe/ siècle... ", in *Études d'histoire Ifriqiyyenne*, Tunis, 1982.
- Temimi (A), « *Politique Ottomane face l'implantation et à l'insertion des Morisques en Anatolie.* », Revue d'histoire Maghrébine, N°61-1991 ,62.

- « *Évolution de l'attitude des autorités de la régence de Tunis face à l'accueil des morisques, à la lumière d'un nouveau firman du sultan ottoman.* », Revue d'histoire Maghrébine, N°691993 ,70-.
- Valensi (L.), *Fellabs tunisiens*, Paris, 1977.
- Varisco (D.M.), *The Almanac of a Yemeni Sultan*, London, 1994.
- Vaufrey (R.), *Préhistoire de l'Afrique*, Paris, 1955, t.1.

# الفهرس

عنوان المنشورة  
عنوان المنشورة

7	.....	مقدمة
11	.....	الفصل الأول: زمن الأرض
13	.. ..	البحر والأرض
15	.....	البحر: داخله مفقود و خارجه مولود
17	.....	ما قبل و بعد عصر جزيرة القصرين
23	.....	بين الجبال والسهول ..
29	.....	الأرض تتهيأ للإنسان .....
35	.....	بداية تاريخ الإنسان
41	.....	الفصل الثاني: دردشة فوق الأرض .....
43	.....	زمان الاستيطان
53	.....	زمان الفتح ..
63	.....	زمان الاستعمار ..
73	.....	عهد الاستقلال

79		الفصل الثالث: أهل الأرض
81	"	خَدَامُ الْأَرْضِ
87	"	موطن خَدَامُ الْأَرْضِ
91	"	خِدْمَةُ الْأَرْضِ
95	"	«المجمع الفلاحي»
107	"	غذاء الأهالي
111		الفصل الرابع : وصايا في الفلاحة
113.		مَاجُون و تدبیر الأریاف
121	"	مَاجُون من خلال مقاطع رومانية و بیزنطية
131..	"	فقد الذاكرة الفلاحية
137	"	مَاجُون من خلال كتب الفلاحة المُعَرَّبة
147	"	المورسكيون و تصدير «الثورة» الزراعية.
155		مختصر كتاب الفلاحة
201	"	الاستعمار و التعليم الفلاحي
207	"	التعليم الفلاحي بعد الاستقلال
213 ..	"	خاتمة



المغاربية لطبعات وإشهار الكتب

أبو العمارين - الحسنه الصناديق الشرقية - زرطه - تونس  
الهاتف: +216 70 838 975 - البريد: +216 70 837 683

## بوراوي الطرابلسي



أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب والفنون الإنسانيات بجامعة مذوبة بتونس، متخصص على الدكتوراه من كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس وعلى التأهيل الجامعي من نفس الكلية، له عديد الكتب والمقالات المنشورة بالمجلات العلمية تتناول بالأساس مواضيع تتعلق بتاريخ العلوم في الفضاء العربي-البيزنطي في العصر الوسيط، وتراث البلاد التونسية غير المادي. من مؤلفاته: نشأة علم الفلاحة العربي (تونس في 2005)، L'odyssée des plantes au Moyen Âge arabo-byzantin (تونس في 2009)، وكتاب الرّاع (تونس في 2005)، و Agriculture nostra (تونس في 2010)، و Tunis Thanatos (تونس في 2011)، و Agricultural (تونس في 2013).

## هذا الكتاب

حاولنا من خلال هذا العمل أن نسأل، بطريقة غير مباشرة، سكان الأرياف عن موقفهم من هوية الأرض التي خدموها منذ آلاف السنين، فمن أفضل من خدام الأرض الحقيقيين ليرشدنا إلى هوية تونس والتونسيين، فهي ثابتة عند أهل الريف ومحولة عند أهل المدن، فلئن كانت وليدة ممارسة يومية وأزلية وتanax في حب وخدمة الأرض فهي في المدينة ولدية نشوة عابرة. لذلك عندما نتحدث عنعروبة تونس وانتمائتها إلى البحر الأبيض المتوسط فإننا نستند أولاً إلى الجذور المتوسطية لزراعة البلاد والتي هي أكثروضوحاً في الداخل، لأن خدام الأرض هم أكثر سكان البلاد انتماء للمتوسط، فقد عرفوا «الآخر» منذ آلاف السنين، وتأثروا به وتأثروا بهم، حتى إنه أعجب بقمح «افريقي» وزيت بلاد المُراق ودفلة واحات الجريد.

أما عنعروبة البلاد فيكفي أن تسأل أهالي الريف كما سأل القديس أوغسطينوس زراعها بعد مرور قرون عديدة على سقوط قرطاج فأجابوه أنهم كنعبانيون، فلو أعدت نفس السؤال على أحفادهم اليوم، لقالوا لك: «إننا أمازيغ وعرب وبقايا روم تَعْزِيْبُوا فَتَعْرَبُوا الأرض التي أحبواها فأحببتم بصدق».

ISBN : 978-9973-47-152-9

